

179:A84aA:c.1

عساف، مخائيل (المطران)
الأخلاق المسيحية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

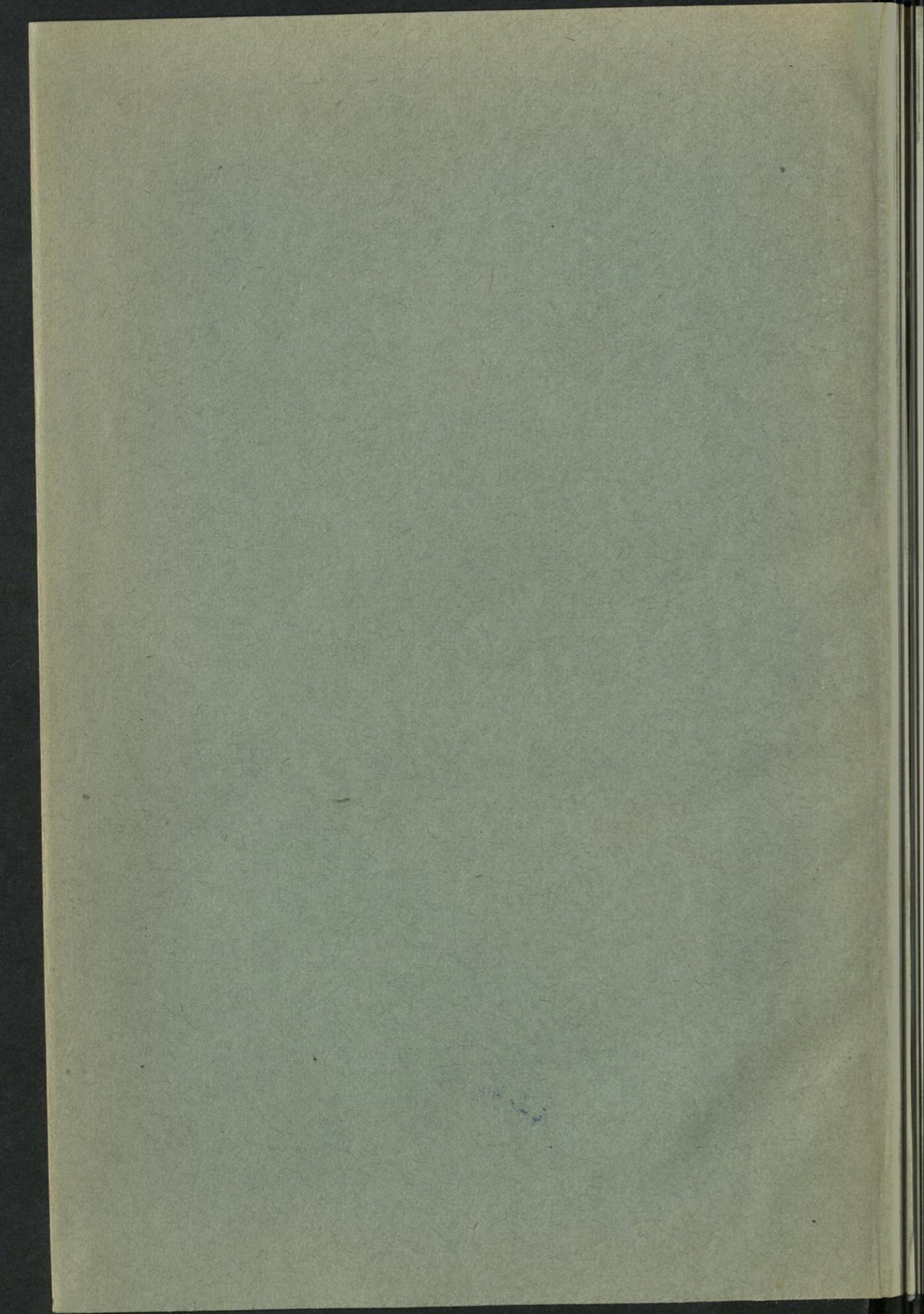


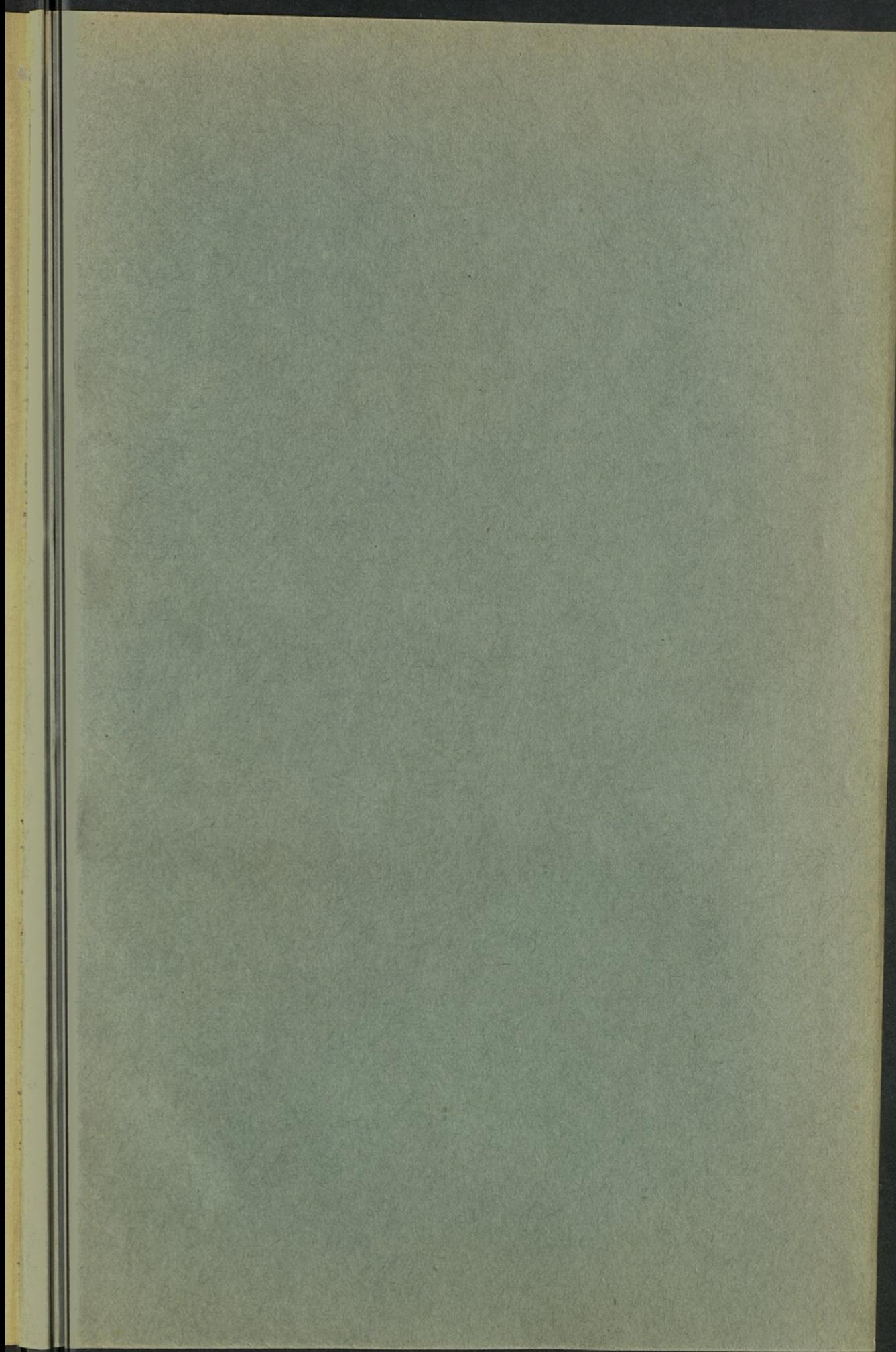
01002112

179
A84aA



- 9 Dec 69







الأخلاق المسيحية



Cat. 10 Mar. 53

179
A 84a A
C.1



الأخلاق المسيحية

بقلم
المطران مخائيل عساف

رئيس اساقفة بيتاً وفيفيا وساير شرق الأردن

مطبعة المخلص

المطبعة المختصة
دِير المخلص - صيدا (لبنان)

سنة ١٩٤٨

Cat. 10 Mar. 53



الحقوق محفوظة للاّباء المختصين

توطئة

متى تكلم الفم من فيض ما في القلب دخل الكلام الى قراره النفس
وجعل فيها ذلك الارتياح والمناء والاقتناع .

وإذا كان القلم ترجاناً صادقاً ابقي للنفس اثراً حياً يحيي فيها عاطفة اللذة
الفاصلة ، وابلاها من الحزن ما تقدم به على عظام الامور .

كذلك هذه الصفحات التي يقدمها لنا سيادة الحبر الجليل المطران
خائيل عساف رئيس أساقفة بترا وفيلاطفيا وسائر شرق الاردن ، وقد كتبها
اذ كان كاهناً يتنقل في خدمة النفوس ويتعرف على احوالها وحاجاتها ،
فوضع لها اولاً كتابه الشجاع في سير القديسين الذين تكرر لهم كنيستنا
الشرقية . ثم عمد الى درس الاعمال والفضائل التي قادتهم الى القدس فوضع
هذا الكتاب في الفضائل المسيحية الادبية واللامية ، بقالب متن جذاب ،
وأيد نصه بآيات الكتاب المقدس ، وبشهادات الآباء القديسين ، والعلماء
الروحين ، ومبادئ اللاهوتيين ؟ وزاد فاضاف ، بعد كل موضوع ، حوادث
تاريجية مما يستهوي القارئ ويرغبه في السعي الى تهذيب اخلاقه وتقويم
حياته ، توصلًا الى تلك الحياة المثلية ، من اي طبقة كان من المجتمع
البشري ، وعلى اي درجة وجد من حالة الكمال .

فالى النفوس التواقة الى التهذيب الخلقي او الادبي والديني نقدم هذا
الكتاب لتلتجأ اليه في فترات الايام ، فتتجدد ، بقراءة زينة منه ، نشاط
الروح ، وتتجدد التعزية النفسية التي هي فوق كل تعزية بشرية ، وتسلك في
انوار النعمة التي هي فوق كل الانوار العقلية .

«المطبعة المثلية»

مصارد الكتاب

الكتاب المقدس : طبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية.

الاقداء بال المسيح : ترجمة الاب فرنسيس ماريًا الفراه الحلبي الفرنسيسي ،
الطبعة الثالثة ، اورشليم ، مطبعة الارض المقدسة ، ١٩٣١ .

علوف (الاب لويس) : رياضة روحية للكهنة حسب طريقة القديس
افنطانيوس ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٧ .

برقيه (الاب) : كتاب سلم السعادة . ترجمه الى العربية بتلحيمص القس
الياس البكيريفاوي ، بيروت ، مطبعة الاجتهد ، ١٩٢٦ .

ARREGUI (Ant. M.) : *Summarium theologiae moralis*,
Bilbao, 1930.

BOSSUET : *Elévations sur les Mystères*, Desclée, 1923.

CATHERINE DE SIENNE (Ste) : *Le Dialogue*. Trad. du
P. Hurtaud, Paris, Lethielleux, 1913.

CHAUTARD (Dom J. B.) : *L'Ame de tout apostolat*, 9^e éd.,
P. Téqui, Paris, 1920.

DE SMEDT (Ch.) : *Notre vie surnaturelle*, Bruxelles, 1913.

DESURMONT (P. A.) : *La charité sacerdotale*, Paris 1899.

EYMIEU (A.) : *Le gouvernement de soi-même*, 3 vol.,
Paris, Perrin, 1911-1921.

FRANÇOIS DE SALES (S.) : *Introduction à la vie dévote*,
édit. d'Annecy.

— : *Traité de l'amour de Dieu*, Bruxelles, 1923.

FROGET (B.) : *De l'habitation du Saint - Esprit dans les
âmes justes*, Paris, Lethielleux, 1900.

GARRIGOU-LAGRANGE (P. Rég.) : *Perfection chrétienne
et contemplation*, 2 vol., Paris, Desclée, 1923.

GARRIGOU-LAGRANGE (P. Rég.): *Les trois âges de la vie intérieure*, 2 vol. , Editions du Cerf, Paris, 1938.

GAY (Mgr. Ch.): *De la vie et des vertus chrétiennes*, 2 vol. , 19^e éd. , Tours, Mame.

HAMON (A.-J.-M.): *Méditations à l'usage du Clergé et des Fidèles*, Paris, Gabalda.

Histoire de Sainte Thérèse, d'après les Bollandistes etc. , 2 vol. , Paris, Lethielleux.

HOORNAERT (P. G.): *A propos de l'Evangile*, Louvain.

LACORDAIRE (H.): *Lettres à un jeune homme sur la vie chrétienne*.

LEJEUNE (Mgr): *Manuel de théologie mystique*, Paris, Lethielleux, 1897.

LELONG (Mgr): *Le Saint Prêtre*, Téqui, 1901.

LIGUORI (S. Alphonse de): *Pratique de l'amour envers Jésus-Christ*, Paris, Ed. Casterman, 1859.

— : *De l'importance de la prière*, Paris, Lecoffre, 1898.

MARMION (D. Columba): *Le Christ, Vie de l'âme*, Paris, Desclée, 1930.

— : *Le Christ, Idéal du moine*, Desclée, 1932.

MASSOULIÉ (A.): *Traité de l'amour de Dieu*, Paris, Lethielleux.

MERCIER (Card.): *La vie intérieure*, Bruxelles, 1919.

MEYNARD (A. M.): *Traité de la vie intérieure*, Paris, 1889.

NOBLE (H.-D.): *L'amitié avec Dieu*, Paris, Desclée, 1932.

OILLER (J.-J.): *Introduction à la vie et aux vertus chrétiennes*, Gabalda.

PINY (A.): *La clef du pur amour*, Lethielleux.

RODRIGUEZ (Alph.): *La pratique de la perfection chrétienne*, 4 vol. , Paris, Lecoffre, 1921.

SAUDREAU (A.): *Les degrés de la vie spirituelle*, Paris, 1920.

SCHRYVERS (Jos.): *Les principes de la vie spirituelle*,
Bruxelles, 1922.

SCUPOLI (L.): *Le Combat spirituel*, Beauchesne, 1911.

SURIN J.-J. : *Les fondements de la vie spirituelle*, Editions
Spes, Paris, 1930.

SYLVAIN (P. Adr.): *Le livre des Professes*, 30^e éd. , Avignon
Aubanel.

TANQUEREY (Ad.): *Précis de théologie ascétique et mys-*
tique, Paris, Desclée, 1924 .

THÉRÈSE DE L'ENFANT-JESUS (Ste) : *Histoire d'une*
âme, Office Central de Lisieux (Calvados).

THOMAS D'AQUIN (S.): *Somme Théologique*, Editions de
la Revue des Jeunes, Desclée, Paris (texte latin
et traduction française).

VALENSIN (P. Alb.): *Une grande Retraite*, 4 vol. , Bey-
routh, Imprimerie Catholique, 1941.

مقدمة

« ليكن فيكم من الأفكار والأخلاق ما هو في المسيح يسوع ». (فيليبي ۴: ۹)

لقد افاض الكتبة اللاهوتيون والعلمون الروحيون في الكلام عن الكمال المسيحي ، وسموا مراميه ، وجزيل منافعه ؟ ووضعوا في ذلك المؤلفات العديدة ؟ ويبينوا بفصاحتهم وعلمههم ، وعلى الاخص بجهال سيرتهم وقداسة حياتهم ، ماهيتها ومعانيه ورسومه وطريقه فيختلفوا بذلك لنا كنوزاً عظيمة نغترف منها بل ، قاوبنا ، ومنا حل فائضة نردها فنستقي منها « ما في الحياة الدائمة » ^(۱) التي وعد بها المعلم الاهي كل من طلبها وسعى الى نيلها .

وقد قسم اللاهوتيون الروحيون حالات الكمال المسيحي الى درجات ثلاثة : فیخوا الدرجة الاولى بالمبتدئين ، والثانية بالمتقدمين المنورين ، والثالثة بالحشّع الكاملين . وجعلوا لكل فئة من هؤلاء رسوماً واحكاماً ووصفوهم ب زيارات تعرف بهم . وبذلك اناروا الطريق للمؤمنين ، وبالاكثر للكهنة المرشدين ، ليكون الاولون على يائنة من امرهم ، والآخرون على ثقة من تعليمهم وارشادهم .

وان اول من تفرد بهذه الطريقة المثلى المنظمة هو القديس توما الاكتويني ملاك المدارس ؟ وتبعه فيها جمفور من الكتبة والعلماء ، ابرزهم اساتذة « الكلية الفرنسية » في الجيل السابع عشر ، والمنسيور غاي ^(۲) (Mgr Gay)

(۱) يوحنا ۳: ۱۶

(۲) *De la vie et des vertus chrétiennes.*

وَالاب اليسوعي دِي شَحِيد^(١) (Saudreau)، وَسُودِرُو^(٢) (Ch. De Smedt)، وَتَنْكَري^(٣) (Ad. Tanqueray)، وَشِيل دِي سُورْمُون^(٤) (A. Desurmont) وَغَيرُهُمْ.

فالدرجة الاولى تشمل طغمة المؤمنين الذين يجاهدون لكي يتحرروا من قيود الخطايا الثقيلة بواسطه التكفير المؤسس على الصلاة العقلية والشفهية ، وعلى الصبر في الشدائـد ، ومتاؤمة الشهوات الرديئة ، وردع امياـل الحـيـثـة .

فإذا ما نجحوا فيها هم ذاهبون فيه دخوا في الولادة الثانية ، او
الدرجة الثانية من الكمال المسيحي ؟ فأقبلوا على درس حياة المسيح واقواله
واعماله ، بعاطفة صادقة ، وعزم ثابت المحبة ، لكي يعملا على التشبه به
وابداله تعاليمه ؟ فاندفعوا يارسون الفضائل المسيحية عثلاً به وتقرباً الى ابيه
واليه . « أنا نور العالم : من تبعني فلا يشيء في الظلم بل يكون له نور
الحياة » (٥) .

اما الدرجة الثالثة فهي درجة الكاملين من المسيحيين الذين اضحت حياتهم كاها لله ، حياة تجبرد كامل عن الارضيات ، حياة هذيد دائم في الماءويات ، حياة التحاد تم مع الله بفضلية الجبهة الالهية السماوية ، حياة صمت داخلي ، وهدوء قلبي ، وسكون عميق روحي ، رغم ما يعترضهم من ضرر ضراء الحياة ، ومصاعبها ، وشدائدتها ، بحيث يكتمنهم ان يتبردوا مع ^{٦٧} الرسول بولس : « انا حيٌّ ، لا انا ، بل انا المسيح حيٌّ فيَّ » ^(٦) .

(1) *Notre vie surnaturelle.*

(2) *Les degrés de la vie spirituelle.*

(3) Charité sacerdotale.

(4) *Précis de théologie ascétique et mystique.*

الا ان بحثنا الان لا يتناول سوى الكلام عن الفضائل المسيحية الاهلية والادبية ، اعني ما يدخل تحت لواء الدرجة الثانية من الكلال المسيحي ^(١) تاركين ما سواه لغيرنا ، او لبحث غير هذا البحث . لأن كمال الحياة الروحية يعود اكثـرـه الى القيام بافعال الفضائل المسيحية ، وهذا ما طلبناه الان في هذا الكتاب خدمة للنفوس المؤمنة التقية . والخطة هذه هي الخطة العملية التي اعتمدـهاـ الكثـيرـونـ منـ كبار الكتبة الروحيـينـ ، نظير كاسيانوس ، والقديس يوحـناـ كـاتـبـ سـلـمـ الفـضـائـلـ ، في الاجيـالـ الغـابـرـةـ وـ روـدـريـكـوـسـ ^(٢) Rodriguez) وـ اوـلـيهـ ^(٣) (J. J. Olier) وـ المـنـسـيمـورـ لـولـونـجـ ^(٤) (Mgr. Le long) وـ غـيرـهـمـ فيـ القـرـونـ الـادـنـىـ اليـناـ ؛ فـهـيـ اـقـرـبـ مـنـالـاـ ، وـاسـهـلـ عـلـىـ عـامـةـ المـؤـمـنـينـ سـيـلـاـ .

اما الخطـةـ الثـانـيـةـ التي سـارـ عـلـيـهاـ الاـكـثـرـونـ منـ الـآـبـاءـ القـدـيسـينـ وـ منـ كـبارـ المـعـالـمـ الـلاـهـوتـيـينـ ، نـظـيرـ القـدـيسـينـ يـاسـيلـيوـسـ وـالـذـهـبـيـ الـفـمـ وـاـمـبرـوـسـيوـسـ وـاغـسـطـينـيوـسـ وـاـسـلـموـسـ وـبـرـزـدوـسـ وـتـوـماـ الـاـكـوـينـيـ وـبـنـوـنـتوـرـاـ وـفـرـنـسـيـسـ السـالـسيـ وـمـنـصـورـ دـيـ پـوـلـ ، وـالـقـدـيسـةـ تـرـيزـياـ ، وـجـرـسـونـ وـالـكـرـدـيـنـالـ دـيـ بـيـرـولـ وـسـوـاـهـمـ منـ قـرـيبـيـنـ منـ عـصـرـنـاـ وـمـنـ بـعـيـدـيـنـ عـنـاـ ^(٥) ، فـهـيـ الـتـيـ ، وـانـ كـانـتـ اـكـثـرـ مـنـطـقـاـ وـاـكـلـ بـيـانـاـ ، الاـ انـهاـ اـطـولـ مـسـافـةـ ، وـاـكـثـرـ مشـقةـ عـلـىـ الـاـكـثـرـيـنـ مـنـ جـمـهـورـ المـؤـمـنـيـنـ . وـذـلـكـ لـاـنـهـاـ تـبـدـأـ فـتـسـتـعـرـضـ الـمـبـادـيـ الـلاـهـوتـيـةـ اـوـلـاـ ، ثـمـ بـعـدـهـاـ وـعـلـىـ نـورـهـاـ تـتـطـرـقـ الـىـ بـحـثـ الـحـالـاتـ الـرـوـحـيـةـ وـمـظـاـهـرـهـاـ وـسـبـلـهـاـ ، وـتـدـرـسـ اـنـوـاعـ الـفـضـائـلـ الـمـتـمـيـةـ لـهـاـ . وـهـذـاـ يـازـمـهـ ، كـمـاـ لـاـ يـخـفـيـ ، ثـقـافـةـ

(1) Ad. Tanqueray: *Précis...*, pp. 397 - 407.

(2) *Pratique de la perfection chrétienne.*

(3) *Introduction à la vie et aux vertus chrétiennes.*

(4) *Le saint prêtre.*

(5) Ad Tanqueray: *Précis...*, pp. 22 - 30.

عالية لاهوتية ، لا شأن لنا بها في كتابنا هذا .

فنحن نعتمد اذا الطريقة الاولى ، ونبحث في الفضائل المسيحية وكيفية القيام بها ، انصل الى ما نبغيه من الكمال المسيحي بمارستها .

* * *

وقد دعونا كتابنا هذا كتاب « الأخلاق المسيحية » لانه يحوي خلاصة الآداب المسيحية . فهو موجز لل تعاليم الانجيلية والوصايا الكنسية . فمن رغب في معرفة ما دعا اليه الفادي الاهي من جميل الاخلاق ، وما تعلمه الكنيسة من روائع الآداب ، فليتصفح هذا الكتاب ، فإنه يجد فيه صورة مصغرة ، وأكملها صادقة كاملة ، للآداب المسيحية بما فيها من معانٍ سامية ، واغراض نبيلة ، ومرامٍ شريفة . ويرى ان في اتباعها عظمةً وسعادةً الدنيا والآخرة . فان كل ما فيها هو فلسفة حقة عميقة ، وعلمٌ رائعٌ للألوهه كما هي بفخامتها وجلالها وحثتها ورحمتها ، وبيان صادق للبشرية بطبعها وترعاتها ، وضعفها وقوتها ، ونقاوتها وكمالاتها ، وما يطلب منها تصل الى الغاية القصوى السماوية التي وضعها الله لها ، ورفعها بمحوده وفضله الى محوها وبهائها . فيقف بذلك على ما يتربّ عليه من واجبات ، وعلى ما له من حقوق في علاقاته مع خالقه وملائكته ، وفي معاملته مع قريبه وفي سلوكه مع نفسه ، ويعلم ان الطريق السوي هو المسيح الذي « هو الطريق والحق والحياة »^(١) .

فالمسحي يجد في هذا الكتاب التعليم الصحيح للفضائل المسيحية . فيبدو له بوضوح ان هذه الفضائل هي زينة حياته وبيجتها ، وانه لا معنى للحياة البشرية الا بها ، وانها هي له ولذويه وللمحيط الذي يعيش فيه مجلبة

الغبطة في دنياه ، وستضحي له سبب السعادة المهاوية الدائمة في الآخرة .
والكافر يستعيد الى ذاكرته والى قلبه ، لدى مطالعته لهذا الكتاب
ما سبق له ان تعلمه وحفظه ومارسه من الثقافة اللاهوتية الادبية والعلوم
الروحية ؟ فينعش به الشيء . **الكثير** من معارفه الكهنوتية ومن عواطفه
التقوية . ويكون له هذا المؤلف الصغير المعين **الكبير** ، في خصوصياته ،
وفي مواضعه ، وفي ارشاد النفوس الموكولة الى عناته .

ولا بأس لغير المسيحي ان يتضمنه . فانه يستعرض في طياته اجمل
مجموعة من المبادئ الانجيلية ، والفرائض المسيحية . فيتحقق من متوّعاليمنا
وما احدثته فلسقتنا الروحية والادبية من التأثير العظيم ، على مر العصور ،
في حياة وتاريخ البشرية .

وقبل ان نبدأ ، لا بد لنا من ان نصدر **الكلام** ببعض ابحاث تهذيدية
تسهل فهم الموضوع وحسن الالام به ، والله الموفق الى الصواب .

ادرس شندر بت مهتم عاصف

في ٨ ايلول ١٩٢٣

بِحْوَتْ تَمْرِيدِيَّة

الْبَحْثُ الْأُولُ

نَظَرَةٌ عَامَّةٌ فِي اصْحَابِ الْفَضَائِلِ الْمُبَعِّدِيَّةِ

ان القديسة تريزيا الاقيلية ، من حلة الاعلام العليا في التعاليم الروحية ، تصف حالة المؤمنين المتقدمين في الفضيلة فتقول : « انهم يحرضون الحرص كله على ان يتبعوا عن كل ما من شأنه ان يهين العزة الالهية ؛ لا بل يجاذرون ان يستسلموا حتى للاخطايا الخفيفة ؛ ويرغبون في انواع التكفير وطرقه ؛ ولم اوقات معينة يحافظون فيها على الصمت ، ويترفرون للتأمل ؛ وهم لا يضيعون شيئاً من اوقاتهم ؛ ويفسدون على ممارسة اعمال الرحمة نحو الناس ؛ ويسيرون بانتظام دقيق في حياتهم بكل ما هو من حديثهم ولبوسهم وادارتهم بيومهم ، اذا كانوا من ارباب البيوت » ⁽¹⁾ .

فما تقدم يظهر باجلى بيان ان الذين يرغبون في اقتداء اثر السيد المسيح ، والاسترشاد بتعاليمه ومثله ، عليهم ان يارسوا الفضائل التي أوصى بها ، ودعا اليها ، وكان هو المثل الاعلى لها . لذاك كان لا بد لهم :

اولاً : من الحصول على شيء من نقاوة القلب ليستسلموا بها عادة الخادم مع السيد المسيح . وهذا لا يمكنهم الوصول اليه الا بافعال الفضائل التي يدعو اليها هذا المعلم الالهي . فالنفس التي ما زالت مرضة لاسقوط من حين الى حين ،

(1) Château de l'âme: troisième dem., ch. I, p. 80.

بل ربنا تسلّم لخطاياها الثقيلة أيضًا ، عليها بادئ بدءه ان تبذل الجهد الكافحة للتغور من هذه الخطايا ، وان تبتعد عن اسبابها ، وان تقاوم ميول الطبيعة الخبيثة الساقطة ، وان تصمد للتجارب المتنوعة . وعندما تكون قد فرغت من هذا كله واستثبتت لها عادة الامان والاطمئنان ، يسوغ لها ان تفرغ اذ ذاك لاجهة الايجابية في الحياة الروحية ، اعني لافعال الفضائل المسيحية . ثم لا بد لها افق ذلك من مقاومة عادة الخطايا العرضية التي تستسلم اليها برضاهما واختيارها . لأن ذلك مما يعوق سيرها وتقدمها .

نزيًّا : لا بد لهم ايضاً من ان يكونوا قد تشبعوا من التعاليم الانجليزية ، وملأوا اذهانهم من حقائق العقائد المسيحية ، فيستسلمون عادة التأمل العقلي المخل بالعواطف الروحية ، ويتعاطون بارتياح الصلاة القلبية ، فيكون لهم ذاك من النجع الوسائل لممارسة اعمال الفضائل المسيحية .

ولكن ماذا نبغى ، يا ترى ، من وراء ممارسة هذه الفضائل ؟ ان رفعتنا الكهربى في حياتنا يجب ان تكون السعي الحثيث للتشبه بالسيد المسيح ، انطبع حياتنا بطابع حياته الالهية ، فيصبح هو محور افكارنا واعمالنا وعواطفنا .

ولذلك نقبل على قراءة الانجيل بتؤدة وشفف ، ونستوعب معانيه الالهية ، ونلأ اذهاننا من رسومه وتعاليمه وفلسفته ، فنجده فيه الطريق والحق والحياة ، اعني السيد المسيح كاملاً بمعظمته وتواضعه ، وجماله وسخائه ، وعدوبته وحنانه ، فنقتصر عليه معلماً ومثالاً وقائداً وصديقاً ومدبراً ومحسناً ، ونحيي بحياته ، ونتعلق بكلماته ، على قدر ما تكثّفنا طبعتنا الناقصة الساقطة من اللاحق به ، وعلى قدر ما يوجد هو به علينا من زخم لتردد اندفاعاً في سبيل مرضاته .

وبقدر ما تتوفّر فيينا معرفة هذا المعلم الالهي والصديق الوفي ، تضطرّم فيينا عواطف الشفف به وبشخصه وتعاليمه وبفضائله ، فنهتف اليه مع الرسل على

البحث الأول

الجليل : « حسن يا رب ان نكون ههنا »^(١) . فعندما تقتلن عقولنا وقلوبنا من حقيقة محبتة لنا وشغفه بنا ، ونعلم علم اليقين الذي انه هو الذي بادأنا بالمحبة فبذل ذاته الاهمية حبًّا لنا ، تضطرم فيما عواطف الحب نحوه ، ولا نلبث ان نذوب في محبتة ، وان نكون على قمة الاهبة لبذل دمائنا بفوح وشكراً محبة له . لأن الحب ينادي الحب ، والحب يتوقد الى التمثال بمحبته .

اما طريقة الوصول الى هذه النهاية السامية والاعمال الشريفة فت تكون اولاً بالصلة والتضرع ؟ ثم بالتأمل الروحي ، ولا سيما بالتأمل المشبع بالاطفة القلبية ؟ واخيراً بمارسة افعال الفضائل المسيحية الاهمية والادبية . الا ان بحثنا الان لا يتناول سوى الكلام عن الفضائل ، بصرف النظر عمّا سواها من الوسائل . لكننا سرف نذيره بكلمة موجزة عن الصلة وعن مقاعدها العجيبة .

و قبل ان نبدأ بالكلام عن كلّ من هذه الفضائل الاهمية والادبية بفرديها ، لا بدّ لنا من بعض البيان المجمل عنها . فنقول :

ان الفضائل الاهمية والفضائل الادبية تسير دائمًا معًا جنبًا الى جنب . مثال ذلك انه لا يمكننا ان غارس الفطنة المسيحية من غير ان نجعل لها فضيلة الاعان اساساً ونبراساً . كما ان فضيلتي الاعان والرجاء يعسر عليهما ان تلهما في نفوسنا اذا ما كانت الفطنة مشائعة لها ، تسير في ركابها .

ولا بد للمتقدين في الحياة الروحية من ان يروضوا نفوسهم اولاً على افعال الفضائل الادبية ، نظير القناعة والشجاعة اللتين من شأنهما ان تهاجما الدّاء اذا نفذتا علينا ومضرّة لنا ، اعني المُحب والصلف والشهوة وما اليها . فاذا ما اتيح لهم الظفر على هذه الرذائل ، وقع جهازها واخضاعها للفضائل الادبية المقابلة

لها ، تسفي حينئذ لهم ان يلتقطوا الى الفضائل الالهية ويتخذوها قاعدة لحياتهم واعـ لهم .

والكتاب ندرك بمحلاه معنى ما تقدم ، ينبغي ان نبين بماذا تفترق الفضائل
الايمانية عن الفضائل الادبية ، بعد ان سبق لنا وقلنا كيف تتصل هذه بتلك
وتسير كاتها معاً صفوفاً متجلدة .

ان موضوع الفضائل الالهية هو الله ذاته ، وان الغاية التي تنشد لها هي احدى صفاتة تعالى الالهية . مثال ذلك اني اؤمن بالله لانه هو الحق الاذلي الكامل ، واحبه لانه كامل الجمال والحنان . فبهذه الافعال ارفع عقلي وقلبي مباشرة الى الله عز وجل ، واكرم بالبيان صدقه ، وبالمحبة جماله وحنانه ورحمته .

اما موضوع الفضائل الادبية فهو بنفسه خير زمي، وغايتها هو الشيء الصالح الحسن . خذ أى مثلاً فضيلة العدل : فان موضوعها هو المساواة بين البشر ، فنعطي كل ذي حق حقه . وغايتها هي ما في هذه المساواة من حسن وصلاح . الا اننا اذا ما مارسنا العدل اطاعة لا وامر الله ، تصبح اما فضيلة العدل درجة من سلسلة الفضائل الادبية ، نرتقي بها الى الله . وهكذا نسعى وراء العدل لان الله يأمر به ، ولانه هو تعالى العادل الاول الاكبر الذي ليس عنده محاباة الوجوه . - وهكذا ايضاً نبني الفطنة لانه هو تعالى مصدر كل غبطة ، وينبئ كل خير ولذة .

فـلـمـا كـانـتـ الـفـضـائـلـ الـادـبـيـةـ هـيـ طـرـيقـ الـفـضـائـلـ الـاـلهـيـةـ فـازـنـاـ بـهـ أـكـلامـنـاـ بـهـ؟ـ وـبـعـدـهـاـ نـبـحـثـ فـيـ الـفـضـائـلـ الـاـلهـيـةـ،ـ وـانـ تـبـكـنـ هـذـهـ اـفـضـلـ مـنـ تـلـكـ،ـ وـاـمـيـ وـاـكـلـ .ـ

卷之二

وختاماً لهذا البحث الأول نقول كلمة فيها نزىٰ من الفرق ما بين المفoss
القيقة العادية والنفوس التقية اخارة .

البحث الأول

فانفسos النقية العادیة هي التي لا تنقصها الاستعدادات الحسنة، ولا الجهد الصادقة في محاربة الاهواء، وفي المrob من الخطايا المفعولة بانتباه ورضا، الا انها لا تزال تستسلم لکثير من النقصان عن ضعف عزم، وقلة نشاط . فھي لا تبرح تعمد على قوتها و مضارها، ولا تأذن من العجب بنفسها ومن التسلك بشيء من التيه والخيلة؛ وتنفر من التوكل الشامل على الله ، ومن تسليم مقايد امورها بين يديه . وتتأذن من مصائب الحياة ، وتتراغى امام الشدائـد، وتتردد ما بين الصبر والتذمر . وهي وان عزمت عزماً صادقاً على خوض معارك الحياة الروحية بنشاط وثبات ، الا انها لا تثبت ان تقاوم ، وتنسى مقاصدها ، وتترك ما وعدت به ، او لا تقوم الا باقامة بعضه . فهل هذه النفوس لا يكون سيرها في طريق الكمال المسيحي الا بطيئاً . ولكن تتحرر من هذا التوانى ، وتبعث في صميمها روح الایان والنشاط ، عليها بالاقبال على الفضائل التي من شأنها ان تشير قواها وتبنيها ، نظير الشجاعة والتواضع .

اما النفوس الحارة فهي التي تمتاز بتواضع اكثر وسخاء اکثر . لا تعمد على مؤهلاتها بل على الله الذي منه كل نعمة وكل قوة وكل خير وبركة . وهي قد تمودت ان تکفر بذاتها ، وان تصرد على المكاره ، وان تصمد امام الشدائـد ، وان تثبت وقت التجربة . الا انها لم تصل بعد الى درجة الكمال في التجرد والتصرد والاحتمال . تصبو بلهف الى الكمال ؟ الا ان همتها ضعيفة بسبب ما ينقصها بعد من عادة حل الصليب . وهي تستسینغ العذوبات الروحية بأفراط وتوثرها على الصبر وقع النفس والتلذذ بالبلوى . تبدأ يومها بالصلوة والتأمل ، وتعاهد الله بان تكون له بكليتها نهارها كله ، منها تقبلت عليها ظروف الزمان وصروفه ؟ لكنها لا تثبت ان تستسلم لاومن ، لأن جهودها لا تزال قليلة ناقصة ؟ تحب الله محنة صادقة ، ولاجل جبهـا له تعالى تحاذر ان تتعرض المواقف الخطيرة ؟ لكنها تتساهم في التلذذ بكل ما تسمى به الوصايا الالهية والكنسية ،

وبما لا يقودها إلى الخطيئة . فتعجب الأهل مثلاً جبًا مفرطًا ، وتأتي ان تضحي بشيء من مظاهر حبهما لهم ؟ او تتعلق باصدقائها وتغالي في تعلقها بهم ؟ او تسارع وراء العذوبات الروحية ولا ترید عنها بديلاً . فهذا وما شابهه ، وان كان لا يخرج عن حدود الناموس والشريعة ، فهو دليل على ضعف التجدد ، ويبيّن
كثيراً تلك النّفوس في اتخاذها الكامل مع الله .

وفي بحثنا الآتي عن الفضائل سوف لا نفرق بين هذه الطفة وتلك من النّفوس التّقية الحارة والنّفوس التّقية العادلة . فعلى المرشد الفطن ان يتتبّع الى احوال النّفوس الموكولة الى عنایته ، ويهديها الى ما ينفعها من الفضائل المسيحية في مختلف حالاتها النفسيّة .

البحث الثاني

في الفضائل المسبحة المؤهبة⁽¹⁾

أي الفائقة الطبيعة والمفاضة من الله في نفوسنا

لما كان الله بفضله وعطفه قد رفمنا إلى حالة روحية تسمى على حالتنا الطبيعية ، وأرادنا للسماءيات بدل أن نبقى للأرضيات ، ودعانا إلى متى وغبطه في ملكوتة لا تقاد سواً وكذاً وعلى ما تستطيع طبعتنا ورغائبنا البشرية ان تصبو إليه ، كان لا بدّ له من ان يهيئ لنا قوى تتناسب مع هذه الحالة الفائقة الطبيعة التي ارادها لنا ودعانا إليها . وكما ان دعوته لنا إلى الحالة السمائية الفائقة الطبيعة هي مجانية وصادرة عن محض ارادته وجوده وحناهه ، من غير ان يكون لها حق طبيعي في مطابتها بها ، كانت القوى الفائقة الطبيعة التي ترفعنا إليه هي ايضاً صادرة منه ومن فضله وتنازله . لذلك يدعوها الالاهوتيون « مؤهبة » (*Vertus infuses*) .

والجمع التريندنتي يعلم انه من المؤكّد ان الله جات حكمته عندما يفرض النعمة المبررة في نفوسنا يومها الفضائل الالهية الثلاث : الإيمان والرجاء والمحبة . اما فيما يختص بالفضائل الادبية « المؤهبة » ، اعني الفطن والعدل والشجاعة والقناة وما إليها ، فإن الاعتقاد العام المقبول في الكنيسة هو ان الله يجود بها علينا ايضاً ويفرضها في نفوسنا مع النعمة المبررة نظير الفضائل الالهية .

واما عن كيفية فعل هذه الفضائل في نفوسنا فإن علم الالاهوت يقول⁽²⁾ : ان الفضائل الثلاث الاولى تدعى « الهمية » لأن الله تعالى هو موضوعها ، ولأن

(1) *Vertus infuses*: St. Thomas, I^a II^a q. 55-67, II^a II^a, q. 48-170

(2) Tanqueray: *Précis ...*, p 83, n° 121-122.

احدى صفاتِه عز وجل هي غاية كل واحدة منها . فبالاعان نتحدد بالله بصفته هو الحق السامي الذي لا يغلوط ابدا ولا يذكره ان يضللنا ، وبكونه ينحدر علينا فينير اذهاننا لنتنظر الى الامور ونحكم فيها على ضوء انواره الالهية . - وبالرجاء نتحدد ايضاً بالله بصفته ينبع كل خير ومصدر كل صلاح ، ولانه على استعداد دائم ليمنحكنا كل نعمة وكل موهبة ، ولكونه فرق ذلك يحملنا بعذوبة على الاتكال عليه اتكال الطفل على حنان ابيه . - اما بالمحبة فاننا نصعد الى الله ونتحدد به بصفته كامل الاوصاف المحبوبة ، وفانقاً في ذاته كل كمال وكل جمال . وهو الذي يحملنا على الاغبطة لكمالاته كما لو كانت ملائكة لنا ، وعلى الرغبة في ان تكون معروفة ومكرمة في الدنيا كاهها . فنتحدد به برباط الحب البنوي ، ونشبه به كل يوم اكثر فأكثر بفعل هذا الشوق القابي . - فالفضائل الالهية هي انا حقاً واسطة الاتحاد المباشر بالله عز وجل .

اما الفضائل الادبية فان موضوعها هو الشيء الحسن المليح . وغايتها هي الخير والصلاح . وهي تساعدنا على توجيه حياتنا الى الله والاتحاد به تعالى ، لانه هو الغاية الاخيرة لكل عمل من اعمالنا رغم ما يعترضنا من مصاعب لبلوغ هذه الغاية .

فالفضيلة تحملنا على اتخاذ النجع الوسائل التي توصلنا الى غايتنا القصوى السماوية . - والعدل يدفعنا الى تقدير حقرق الناس اكراماً لله المشترع العادل الاول . - والشجاعة تجعل في قلوبنا ما يلزمها من القوة لنجاهة المصاعب والاخطر ، وتسلينا بالصدر وقت البلوى ، وتدفعنا الى القيام بواجباتنا مهما صعبت ، وبسائر الافعال الحسنة مهما تنوّعت ، رغبة منا في تمجيد الله واصرامه والانقياد لاوامره وإلهاماته . - والقناعة تلجم امياضنا المتطرفة عن الاسترسال في طلب المذاقات ، وتحفظنا في دائرة الواجب المقرر لها .

فالفضائل الادبية تزيل المصاعب من طريقنا وتسهل انا سبيل الوصول الى

الله خلقنا وموهوب امانينا . فما هي هذه الفضائل الادبية ، وما علاقتها الفضائل المسيحية ببعضها ؟

٦ - الفضائل الادبية الطبيعية والفضائل الادبية الفائقة الطبيعية او الموهوبة .

ان الفضائل الادبية هي على نوعين : طبيعية وموهوبة . فالاولى مصدرها الطبيعة ، وغايتها الفعل الحسن بقطع النظر عن التطلع الى العماء وابتغاء وجه الله . مثال ذلك من يحسن الى البائس لانه اخره بالبشرية ؟ ومن يصمد على المكاره لانه عار عليه ان يكون جباناً ؟ ومن يقنع بالكافاف من الاكل والشرب لان في ذلك صحة البدن . فمثل هذه الافعال هي افعال فضائل طبيعية لا شأن لها مع الخير الادبي المعاوی . واذا تكررت هذه الافعال فانها تنشئ في المرء عادات حسنة وملكات راسخة طيبة ، يسهل بواسطتها السير في طريق الخير . اما الفضائل الموهوبة فهي التي يفيضها الله بنعمته في قلوبنا فتحملنا على طلب وجهه الكريم في اعمالنا وعواطفنا ، فتصبح غايتنا ايمى بما لا حد له من الغاية التي ترمي اليها الفضائل الطبيعية . فالابون شاسع ما بين القناعة التي يدعو اليها ارسطو مثلاً ، مستندأ في ذلك الى انوار العقل والمنطق الفلسفى ، سعيأ وراء خيار بشري زمني ، وبين القناعة المسيحية التي تستمد نورها من الاعيان المسيحى ، و تستوحى في نظمها وطرقها ومرادها التعليم الانجليزى ، وتسعى وراء خير معاوی المي ابدي .

ولا يتنافي مع طبيعة الفضائل « الموهوبة » ، ان تنشأ فيها بتكرار افعالها عادات تصبى مكتسبة وملكات راسخة ، يصير العمل بسيها سهلاً ، لا بل مستحبّاً ولذيداً . ولاجل ذلك فهي لا تض محل مع اضمحلال النعمة المبررة ، كما هو حال الفضائل الموهوبة . لان هذه توأك النعمة المبررة ، فتقدو معها وتروح معها . اما الفضائل المكتسبة فانها تبقى ملزمة انا حتى في حال الخطيئة

المحيطة ، ولا يبيدها الا اغضاها عنها واهماها ممارسة الافعال المناسبة لها .

ولكى ندرك بوضوح كيفية ذلك نورد الكلام هنا مثلاً قریب المأخذ : اعتقاد القاضي يوحنا ان يقدس العدل وان يعطي الكل ذي حق حقه حتى صارت له فضيلة العدل طبيعة ثانية لا يحيط عنها . فاذا كانت نفسه في حالة البرارة كانت فضيلة العدل فيه موهوبة ومكتسبة معاً . وهي موهوبة لأنها ثمرة النعمة المبررة التي تربى نفسه ، ولأنها تسهل له سبيله الى الله بواسطه افعالها التي يارسها جيداً له تمايل ، ولأنها تصبح له ذات اجر ساوية . وهي مكتسبة لأن افعالها تصدر عنه بسوية وارتكاب العادة وبدافع العادة او الملائكة الراسخة فيه . « ونحن نعلم ان الذين يحبون الله كل شيء يعاونهم للخير » (١) .

اما اذا سقط من النعمة بسبب الخطيئة المحيطة فقد سقط من الحبة ، وايضاً من فضيلة العدل الموهوبة . اما فضيلة العدل المكتسبة فانما تبقى ثابتة فيه ولو الى حين . الا انه لا يبقى لافعالها حق في الاجور المتساوية ، لأن النعمة المبررة هي التي تكيف افعال الفضائل الادبية وتشكيبها ميزتها الفائقة الطبيعية ، وتقننها من كسب الاجور العلوية .

٢ - علاقة الفضائل المسيحية ببعضها .

ان الفضائل المسيحية ، الحبة وادبية ، تتراكم النعمة المبررة في حلبها وترحالها وتعمل معها ، ولا يمكن ان تستقل واحدة عن الأخرى في كيانها ولا في عملها . والقول المأثور هو ان الفضائل كلهما مرتبطة بعضها ، فلا تعامل واحدة منها عللاً قيئماً الا وتكون سازر الفضائل في خدمتها ومساعدتها . ولما كانت فضيلة الحبة هي ملكة الفضائل كلهما ، فان هذه تنتهي بانتظام كجوارها . وهي كالشمس

(١) رومية ٨ : ٢٨

مع سياراتها ايضا سارت اسرعن من حولها . ولزيادة الايضاح نقول :
اولاً : لا ينكر احد ان فضيلة الحببة تشمل الفضائل كلها ، الهمة وادبية
 معاً . وكم ابدع القديس بولس في بيان ذلك اذ يقول في رسالته الى اهل كورنثوس :
 « لو كنت انطق بالسنة الناس والملائكة ولم تكون في الحببة فانما انا خناس يطن
 او صنج يرن . ولو كان لي الاعيان كله حتى انقل الجبال ولم تكون في الحببة
 فلمست بشيء . ولو بذات جميع اموالي لاطعام المساكين واسلمت جسدي لاحرق
 ولم تكون في الحببة فلا انتفع شيئاً . الحببة تتأني وترفق . الحببة لا تخسد ولا
 تتباهى ولا تتفاخ ولا تأتي قباهة ولا تلتسم ما هو لها ولا تختد ولا تظن السوء
 ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق وتتحمل كل شيء . وتصدق كل شيء . وترجو كل
 شيء . وتصبر على كل شيء . الحببة لا تسقط ابداً » ^(١) .

فهذا معناه ان من طلب الله قبل كل شيء وفوق كل شيء ، وأحب الناس
 لاجله تعالى ، فقد هيأ نفسه لاقيام بأفعال كل فضيلة من الفضائل مجيبة لله . لأن
 من خاصة فضيلة الحببة ان توجه اعمالنا كلها اليه تعالى لكونه غايتنا القصوى
 السنوية . وما هذه الاعمال سوى ممارسة الفضائل التابعة لها . ولقد جاء في كتاب
 حياة القديسة تريزيا الاوئلية في هذا المعنى ما نصه : « بقي علينا ان ننظر الى
 فضائلها الاخرى ، فانها كانت شهباً مباركة متقدة بهم بذات نار واحدة » يوجدها
 سعيد واحد ، وهذا السعيد هو حبها لله . فهذا الحب هو الذي بدأ فجردها من
 ذاتها ، واذله بالتواضع ، وذبحها بأفعال التكفير ، وصبَّ العبرة في قلبها بالصبر
 عند اشد الشدائـد ، وحملها على تضحيـة حياتها وكينانها في سبيل القريب ،
 وجعلها حـقـاً « ذبيحة فضيلة الحبـبة » ، كما تزـنـمـ الكـنـيـسـةـ المـقـدـسـةـ فيـ اـسـرـامـهاـ
 لهاـ » ^(٢) .

الا ان فضيلة الحبـبةـ هذهـ ، ولوـ كانتـ مـلـكـةـ الفـضـائـلـ كلـهاـ ، ولوـ انـهاـ دـفـعتـ

(١) كور ١٣ : ٨ - ١

(2) *Histoire de Ste. Thérèse: t. II, p. 369.*

ارادتنا الى ممارسة الافعال المختصة بكل منها وسهلت لها طريقها ، الا انه لا تكتسبنا كمال وتأصل هذه الفضائل من غير جهودنا ؟ فلا تتم لكتنا هذه الفضائل الادبية ولا تصبح عادات متصلة فينا الا اذا عدنا مراراً وتكراراً الى ممارسة الافعال المختصة بكل واحدة منها . لأن فضيلة الفطنة مثلاً ، او التواضع ، او الوداعة ، او العفاف ، او الطاعة ، الموهوبة لنا من الله مع النعمة المبررة لا تصبح فضائل مكتسبة وعادات سهلة لذريدة مستحبة الا اذا اندفعنا كل يوم وكل آن في ممارسة افعالها .

ثانية : لما كانت فضيلة الحببة اساساً لسائر الفضائل الاهمية الادبية فانه لا يبقى لهذه ميزة ولا قوام الا بها . فإذا ما فقدنا الحببة فقدنا معها فعل الفضائل كلها . ومني ذلك انه لا يبقى ولا لواحدة منها حق في الاجزر المعاوية ، حتى ولا لفضيلتي الايان والرجاء . بل تصبح اعمالها اعمالاً طبيعية بشرية ارضية . لأن من ارقد عن حببة الله بالخطيئة المميتة لا يعيده شيء الى الله الا الحببة . فإذا ما هذه عادت ، عادت معها سائر الفضائل ، وتجسيفت بها ، واستمدت منها صفتها القائمة الطبيعية ، واستحققت اجرورها .

ثالثاً : ان الفضائل الادبية المكتسبة المخلة بطبع الحببة الاهمية ، لا يمكننا ان نمتاز بافعال واحدة منها الا ان نعمد على اخواتها مستعينين بها . مثال ذلك ان فضيلة الفطنة لا يمكنها ان تلمع في نفسها وتشرق في حياتنا ، من غير مواكبة الشجاعة والعدل والقناعة لها . وهكذا فضيلة العدل ايضاً فانها لا تهز وتتجدد عملها الا ان تكون الشجاعة والقناعة رفيقات لها .

اما اذا كانت الفضائل الادبية فينا عاديّة ، لا اشراق لها ، ولا قوة لظهورها ولا دوام لعملها ، فيمكنها اذ ذاك ان تفرق عن بعضها ، وان تتفرد كل منها ببعملها . فان من الناس من يكون متواضعاً ولا يكون رحيمًا ، او يكون كريماً ولا يكون عادلاً ، وذلك اذا كانت هذه الفضيلة فيه عاديّة ، وكانت حالتها الروحية ضئيلة فاترة .

البحث الثالث

عمل المسيح في حياتنا الروحية

نظر يسوع بعينه العطفى الى الدنيا المتألمة الباكية ، نظر الى القاوب الكثيرة الكسيرة المتفجرة بالدموع ، فرق لها ورق حالمها . وكما تحن يوماً على الجموع التي كانت تتبعه في القفار المطلة على بحيرة طبريا وأشباعها خبراً ، تحف اياضًا على النفوس العطشى الى مياه الحقيقة والقوة والتغذية فأرواهما من معين قلبه ودعاهما اليه وقال :

« تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والمُقْلِين وانا اريحكم . احملوا زيري عليكم وتعلموا مني اني ودريع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لانفسكم .
فإن نيري لين وحملي خفيف » ^(١) .

تعلم سام ، كلام الهي سماوي ، دواء شاف . هل جسر احد قبل يسوع او بعده ان يقول هذا القول ، او يعلم هذا التعلم !

المسيح وحده استطاع ان يردع البشرية بشعوبها وعصورها الى هذه الدعوة الرائعة ، لانه الكلمة ، ابن الله ، المعلم السماوي ، الذي كلامه ليست قوله يطن في الآذان فحسب ويضمحل ، بل هي ايضاً فعل الهي يتحقق ما يقول . فهو المعلم الاكبر ، وهو العامل الاكبر في حياتنا الروحية ، وفي ممارستنا للفضائل المسيحية والكلمات الانجيلية .

هذا وان ما اردنا ان نبيته بوجيز الكلام قبل ان نشرع بدرس هذه الفضائل وهذه الكلمات هو ^(٢) :

المسيح يوحد بجهودنا الروحية وينظمها .

(١) متى ١١ : ٢٨ - ٢٩

(2) Cf. G. Hoornaert, S. J.: *A Propos de l'Evangile*, pp. 187-203.

المسيح يجذبنا إليه بسحر تعاليمه وجمال مثله .

المسيح هو إنا مثل أعلى نصبو إليه ونلتحق به صعداً .

أولاً - المسيح يوحّد جهودنا الروحية وينظمها .

كثيراً ما يخامر الانفس التقية المتبددة شيء من الحروف والقلق ، يتنهى بها أحياناً إلى حد القنوط ، عندما تستعرض مجموعة الفضائل المسيحية والأعمال التقوية المفروضة عليها ممارستها . فتتغور قواها وتتشاشى عزيمتها أمام تلك الواجبات العديدة المتنوعة .

و لكنها اذا ما تأملت في حياة يسوع ، وتبشرت من تعاليم يسوع ، و شففت بشخصيته الفريدة الفذة الحبية ، هان عليها كل امر . فيصبح يسوع لها محور الحياة ، وهدف الجهد . وهو المبدأ والمرجع . فيوحد لها في شخصه وفي حبه ، كل عمل روحي ، وكل جهاد محاوي .

حب يسوع هو خلاصة الفضائل المسيحية والأعمال التقوية والأخلاق الانجيلية . هو روح الحياة الروحية :
فما الفضيلة سوى التشبه بيسوع .

وما الانجيل سوى تعاليم يسوع وحياة يسوع .

وما عبادة قلب يسوع سوى اكرامنا لمحبة يسوع ممثلة في قلبه الانساني الحبيب .

وما القدس الالمي سوى ذبيحة يسوع مكررة ذبيحة الصليب .

وما التناول سوى تقدية نفوسنا بجسده ودم يسوع .

وما السماء سوى التمتع الابدي بيسوع .

فيسوع هو كل شيء . هو الكل في الكل . الحياة الروحية كائناً
ليست سوى يسوع : « منها أخذتم فيه من قول أو فعل فلين يكن باسم الرب »

يسوع المسيح »^(١) .

وما احلى ما قال احد الكتبة الروحيين من الآباء اليسوعيين : « ما الحياة الدنيا الا طلبنا ليسوع . وما الحياة الاخرى الا حظوظنا بيسوع » . فالديانة والتقوى والعبادة ليست قطعاً مفككة مبعثرة ، يضاف بعضها الى بعض لتكون مجموعة عديدة اجزاءها ، مستقلة عن بعضها ، بل هي حلقة واحدة تدور حول محور واحد وهو يسوع المسيح . من عادة العلماء ، بعد ان يتناولوا موضوعاً بالدرس والتنقيب ، ان يضعوا له قاعدة موجزة تلخصه وتعبر عنه . فلتكن قاعدتنا ، نحن المسيحيين ، التي تجمع لنا المعاني الروحية كلها ، سيدنا يسوع المسيح .

ثانياً المسيح يجذبنا اليه بسحر تعاليمه ومثله .

فالقوى لا تتوحد بيسوع يسوع فحسب ، بل تصبح به جذابة خلاة « وانا اذا ارتفعت عن الارض جذبت الى الجميع »^(٢) .

في عرف المعلمين الروحيين طريقتان تسلّيyan الى القوى والعبادة : الاولى تدعو الى الصبر والتواضع والرحمة والمحبة . وهي طريقة عقلية قلما تثير حماستنا وتضرم شواعرنا . - اما الثانية فانها ترينا يسوع صبوراً ، متواضعاً رحيمأً ، وديعاً ، وتقول لنا : هكذا كان يسوع فاعملوا على مثاله .. « تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب » . فتصبح الفضيلة شيئاً محسوساً ماموساً بعد ان كانت فكرأً عقلياً مجرداً . وقلما اثار الفكر المجرد عاطفة . اما شخصية يسوع فتشير كامن العواطف .

قال پسكال المفكر الفرنسي الكبير : « لا عمل كبيراً الا من رغبة

(١) كولسي ٣ : ١٧ : (٢) يوحنا ١٤ : ٣٣

كبير» . وقال ايضاً موريس باريس الشهير: «القوة الصحيحة في الرغبة المنظمة» . فإذا ما نظرنا الى يسوع ، الى يسوع الانسان ، يحييا ويصلب ويأكل ويشرب ويتعجب ويصعد ، ويضحى بكل ما لديه في سبيل غيره ، ويسمو فوق المطامع ، ويتبرأ عن الصغار ، ويرأف بالضعفاء ، ويشبع الفقراء ، ويشفى اصحاب العلل الروحية والزمنية ، يضطرم قلبتنا شغفاً به ، ونؤخذ بسحره فنقدم على عظام الامور حباً له .

— «ان حبك اطيب من الحمر .

ادهانك طيبة العرف .

وامرك دهن مهراق .

فلذلك احبتك العذارى » ^(١) .

— «اجذبني وراءك فنجري .

فنبتهج بك ونفرح .

ذا كرّين حبك الذي هو اطيب من الحمر » ^(٢) .

— «اجعلني كيختام ... على قلبك

فإن الحبة قوية كالموت » ^(٣) .

وهكذا لا تبدو الديانة المسيحية باردة عروسًا ، دائمًا ان تأمر وتنهى بل تتراءى لنا طيبة خلاة جذابة ، في شخص كله سحر ولطف ووداعة وابناس .

لذا قال بولس الوسول: «ليحل المسيح بالإيان في قلوبكم حتى اذا تأصلتم في الحبة تستطيعون ان تدركوا مع جميع القديسين ما العرض والطول والماو والعمق وان تعرفوا محبة المسيح التي تفوق المعرفة . الى ان ننتهي جميعاً الى

وحدة الاءان ومعرفة ابن الله الى انسان كامل الى مقدار قامة ملء المسيح»^(١).
وهذا ما حمل بولس الرسول على ان يضطرم حبًّا ليسوع ، لشخصية يسوع
الفريدة الخلابة حتى قال عنه فم الذهب : « قلب بواس قلب يسوع . اليه
هو القائل : « اعد كل شيء خسراناً لاجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى
الذى لاجله خسرت الاشياء كلها وأعدتها اقداراً لاربع المسيح . الذى
جعلت انا خادمه على حسب موهبة فعمة الله المعطاة لي بعمل قوته . لي انا
اصغر القديسين جميعاً اعطيت هذه النعمة ان البشر في الامم بمعنى المسيح الذي
لا يستقصى »^(٢).

وهكذا أخذ القديسون بحب يسوع واستسلماً في سبيله كل صعب .
قال القديس برنودوس : « اني وجدت قلب ملكي واهلي وصديقي »^(٣) .
وقال ايضاً : « مهما كتبتم فلا لذة لي في قراءته الا ان اقرأ فيه اسم يسوع .
يسوع هو العسل في الفم ، هو النغم العذب في الاذن ، هو العصطة في
القلب »^(٤) .

وان هذا التعلق بشخصية يسوع ليس وقوفاً على اولياء الله من الرسل
والقديسين ، بل هو نصيب الاكوف من النفوس والقلوب المسيحية نساء ورجالاً .
فيهذا احد الباريسين يترحم باسم يسوع ويشمل بذلك يسوع ويقول وقد
أخذته النسوة : « انت ، يا فلاسفه الدنيا ، لا يعکنككم ان تفقهوا مقدار
جينا له ، ولا ان تعرفوا من هو بالنسبة لنا . اننا نزاه دائماً حاضراً امامنا ،
كان يده على كتفنا . هو رفيقنا وقت العمل وحيونا وقت الراحة . يصعد

(١) افسس ٣ : ١٢ و ٤ : ٦

(٢) فيلي ٣ : ٨ و افسس ٣ : ٧

(٣) ق . برنودوس : العظة ٣ في الالام .

(٤) ق . برنودوس : العظة ١٩ على مفتر الشهد .

معنا على المنابر ، ويتقى معنا في الخازن ، ويجلس معنا على المائدة ، ويحرسنا في أسرتنا . لأن كل من آمن بال المسيح يجدها مع المسيح ويعيش بحضوره المسيح . بدون المسيح أين هي وما هي شياطين الشعراه ، والهامات الادباء والخطباء ، ونفاثس ولذائذ الحياة ! سيري سيري واذهبي ! وانت انت ايضاً ، يا لوازع الفرام العريء المقدس ، تواري . فلا الشعر ولا الحب ولا الجمال يقدر ان يثير فيينا ما تثيره عواطف الحب الحقيقي القلبي لشخص يسوع المسيح » ^(١) .

وهذا بول فيغافل ، الاديب الفرنسي الكبير ، يكتب هذه السطور الرائعة بعد ان تاب ورجع الى الله : « يا يسوع المخلص ، ايهما الرسول الدائم العمل ، اني اشكرك . اضم يدي واسكرك . بل هـ انا امسك عن الكتابة وارتقى امام صورة قلبك ، والعيون ملائى بدموع ثمينة ، لأسجد لك يا مخلصي الاهي . يا يسوع المصلوب ، يا يسوع الناضج من الاموات ، يا يسوع ابن مريم ، يا ملكي ، يا سيدى ، يا ابي ، يا الهى ، يا كل شيء لي ، اني احبك » .

وكتب الخطيب الشهير لا كوردير يقول : « يسوع هو الله وانسان معًا . فهو كالله لا حد لسلطانه ، وكأنسان لا مثيل لاطفه . فالإله يؤله الانسان ، والانسان يؤنس الإله . والاتحاد بينهما وثيق لا ينفصل . فلذاك نعبد عبادة لم ينلها سواه ، عبادة عذبة ، عبادة نقية ، عبادة عميقه ، لا يستطيع احد ان يفسد غورها . فهو الذي قرن العظمة بالوداعة ، والقوة باللين ، فاخرج منها رحيناً كنا نصبوا اليه ونحن نجهله . وكل من ذاق هذه الكاس ولو مرة في الحياة ، ايام الرجولة ، يعلم اني اقول الحق ، وان هذه الكاس نشوة ليس بعدها نشوة » ^(٢) .

(1) Cochin: *Espérance chrétienne*, p. 339.

(2) Lacordaire: *Lettres à un jeune homme*.

وينتقم الكاتب المعروف لويس فيليو كتابه « من هنا ومن هناك »^(١). بعد ان استعرض جميع الفضائل والكمالات بقوله : « ان هذه الكمالات كلها لبست جسداً وصارت قريبة منا ، وظهرت رائعة البهاء » ودعاية : يسوع المسيح » .

- والانسان في كل حقبة من سني حياته يجد في شخص المسيح يسوع ، جمالاً خاصاً يأسر لهه وينعش قلبه : فالطفل يفرح ، وهو على ذراعي والدته بان يبدأ في تناقض باسم يسوع ، ويعمل على ارضه يسوع . وغبطته الكبدي ، على ايمان عيد الميلاد ، في ان ينصب المغارة احتفاء بولادة يسوع .

والشاب ينظر الى يسوع شاباً وينضم اليه . ويعلم ان يسوع يجب الشباب . فانه لقى يوماً شاباً كريماً فأحبه .

اما الرجل فيعجبه في يسوع قدرته وسلطانه ، وقوته اخلاقه ، وتأثيره على الجموع ، وعطفه على الضعفاء ، وعظمته المتواضعة القريبة من القلوب والعقول .

والشيخ الهرم يجد هو ايضاً في يسوع عكازه وآماله والركن الثابت الذي يرجع اليه بعد ان خانته الاركان وتلاشت الدنيا ، او كادت ، من امام عينيه .

« يا الله سريري ، كن الله قبري ومصيري »^(٢).

فالمسيح هو صديق الكل ، ورفيق الكل ، وفرح الكل ، واليه يجذب الكل . وهو مثال الكل . لا بل هو المثل الاعلى للكل .

(1) Louis Veuillot: *Cà et là*

(2) *O Dieu de mon berceau sois celui de ma tombe.* (Lamartine).

ثالثاً المسيح هو المثل الاعلى للكل .

المثل الاعلى هو اسمى ما نراه او نتخيله فننصبو اليه في الحياة .
 الا انه غالباً ما يكون خيالاً بعيداً لا ندرى ما هي حقيقته و شأنه
 وكالاته .

اما يسوع فهو المثل الاعلى ، الحق المكمل الكامل ، القريب من الناس ،
 الظاهر للعيان بلحمه ودمه وكلامه وعمله . فما الفضيلة الا التشبه به . وما
 الكمال الانساني والكمال الروحاني الا العمل على الصعود اليه في قته .

ان ابدع كتاب خرج من قلم انسان يُسمى : «كتاب الاقتداء بالمسيح» .
 فما القدسية الا تعليم يسوع واعمال يسوع ، وما القديسون والأولياء الا من
 تتبعه يسوع . وما ابدع ما جاهر به يوماً الكاتب الكبير رينيه بازان
(René Bazin) في الندوة الادبية الفرنسية لما خطب في الجائزة المخصصة
 للفضيلة ، وتكلم عن الذين شرفوا البشرية بجياثهم اذ قال : «في اعمق كل
 واحد من هؤلاء ارى صورة تارة واضحة وتارة باهتة ، الا انها دائماً معروفة
 الا وهي صورة الرب المعلم ، هذا المعلم الذي ادعوه ، وقلبي يطفح بهجة
 وحبوراً ، ويدعوه معي الملائكة من الاحياء والربوات من الاموات : سيدنا
 يسوع المسيح » .

المسيح هو اروع صورة للجميل الادبي الكامل . فاقرب منه بها ، وكمال
 وعاوٍ في المكارم ، وعظمة نفس ، وسمو دائم . والابتعاد عنه الخطاط
 وتقهقر وانانية ومطامع ومفاسد .

فاحياة الاثيمة هي التي تخلي من يسوع .
 والحياة العادلة هي التي فيها القليل من يسوع .

والحياة السامية هي الملاي من يسوع . « ومن امتلأه اخذنا نعمة » (١) .
انه لا بد لنا من مثل اعلى . لأن الحياة افا هي جهاد واستشهاد .
وما مثلنا الاعلى الا يسوع المسيح . فهذا بواس الرسول الذي امتلأ من
يسوع المسيح لا يقول فقط تشبهوا بيسوع المسيح ، بل « البساوا الرب يسوع
المسيح » (٢) ، ولاهل فيليبي يقول : « ليكن فيكم من الافكار والاخلاق
ما هو في المسيح يسوع » (٣) .

فإذا ما لبس الإنسان المسيح وتحلى بأخلاق المسيح تسنى له ان يقول على مثال بولس الرسول : « أنا حيٌّ ، لا أنا ، بل إنما المسيح حيٌّ في »⁽⁴⁾ .

ولماذا كل هذا؟ لأنَّ الربَ يسوعَ هو، كاتسان، أعمى رجلَ ظهرَ على وجهِ البسيطةِ. هو فريدٌ بينِ الأئمَّةِ كلامُهم ولا مثيلٌ له في تاريخِ البشريةِ^(٩). قالَ هارنالك: «لقد أضحتَ المسيحَ الأساسَ الوحيدَ لكلَّ مدينةٍ أدبيةٍ. وبقدرِ ما تتجلّي في ذيـ أنا صورةُ المسيحِ أو تختفيـ، تتقدمُ المدينةُ الأدبيةُ في الشعوبِ أو تتأخرُ»^(١٠).

وقال جوته الفيلسوف الألماني الشهير : « ان المسيح هو المثال للناس كلهم »^(٢).

- ولكن هل بوسنا ان نحقق في حيّاتنا . هذا المثل الاعلى ؟
نعم . بل لا بد لنا من ان نسعى الى تحقيقه .

«أني أعطيتكم قروة حتى إنكم كا صنعت أنا بكم تصنعون

(١) يوحنا : ٦

(٢) رومية ١٣: ١٤ (٣) فلبي ٢: ٥ (٤) غلاطية ٢: ٢

(5) Strauss: *Vie de Jésus*, t. II, p. 729.

(6) Harnack: *Das Wesen des Christentums*, édit. 1908, pp. 1, 11, 78.

(7) Goeth: *Entretiens avec Eeckerman*, III^e V., p. 371.

ازتم ايضاً »^(١)

«اعطياكم وصية جديدة ان يجب بعضكم بعضاً وان يكون جبكم
بعضكم لبعض كا احببتكم انا »^(٢)

فاليسrist هو مثالنا ويريد منا ان نسير في اثره :

هو مثالنا في الصلة .

هو مثالنا في الطاعة .

هو مثالنا في احتلال الالام وفي استقبال الموت .

هو مثال العمال ، كان عاملاً .

هو مثال الرسل ، كان رسولاً .

هو مثال الكهنة ، فهو الكاهن الاعظم .

هو مثال التعبين والثقيل الحمل: حمل صاريب الحياة الشاقة وصاريب الجلجلة .

هو مثال المنتصرين الناجحين ، فهو الناهض مظفراً من التبر .

— ولكن ما هي الكهارات التي يجب ان يتتحقق بها المثل الاعلى
ليكون حقاً مثلاً اعلى ؟

لا بد المثل الاعلى من كهارات اربعة :

كماle العقل ،

وكماle القلب ،

وكماle الارادة ،

وكماle التداسة .

ولقد جمع يسوع في شخصه هذه الكهارات الاربعة كلها الى حد يفوق كل بغية بل كل تصور .

١ - اما عقله فهو النور النقي الساطع الضياء . لا ظل فيه ولا ظلام ،

(١) يوحنا ١٣ : ١٥ (٢) يوحنا ١٣ : ٣٦

البحث الثالث

ولا تردد ولا تناقض ، ولا تخمين ولا تراجع . بل ضياء كامل شامل وثقة تامة بنفسه وبعارفه وبتعاريفه : « و كان يعلمهم كمن له سلطان وليس ككتبتهم » ^(١) .

تسمعه فيسحرك تعليمه ولكنه لا يبهرك ، بل يلاذك نوراً ونشوة وارتياحاً ببساطته الطبيعية رغم ممدوه . ان الدنيا لم تشاهد ولم تسمع معلماً ، ولا فيلسوفاً ، ولا رسولاً وائقاً من نفسه كاليسوع ، سامياً في تعليمه كاليسوع ، بسيطاً في كلامه كاليسوع بتلك البساطة الصافية التي تحمل طابع الالوهة . يعرف القلب البشري كما هو لانه هو صنعه . وينظر بعين هادئة سماوية عالية الى مقدرات البشرية والى حياة الامم والدول فيتحدث عنها كما يتحدث العامل عن عمله ، والقائم على قمة جبل عما يراه من حوله . يرى اورشليم وقد احاطت بها الاعداء ، فيики علىها كأنَّ الجيوش الرومانية قد احاطت بها وبدأت تهاجها . يرى الشعوب تثور على بضمها ، والدنيا تتلاشى ، والبشرية تجتمع عند قدميه في مشهد رائع عظيم محيف لتسمع حكمه النهائي عليها بالسعادة او بالشقاء الى الابد . فيصف ذلك بكلام جمع الروعة العميقه الى البساطة النادرة .

٢ - اما القلب ، قلب يسوع ، فهو الطيب الذي يعطر الدنيا ويelaها حناناً ورحمة . لا يأذن من القلوب القدرة وهو النداوة السماوية ، ولا يشمئز من النقوص العاديه وهو ينبوع النبل والستخا ، والشرف ، ولا يستحق الهمم الضعيفة وهو الرفيق القوي . عاش مع الخطأ ولم يستطع أداء اعدائه ان يدلوا عليه برفوة . لقد هاجمه في كل شيء الا في نقاوة قلبه وطهارة حياته .

وهذا القلب المثالي كم صنع قلوباً شبيهةً به . هو الذي ابدع قلوب العذارى النقية ، وقلوب الرهبان والراهبات الملائكية ، وقلوب الملايين من

المسيحيين والسيحيات الذين بنقاوة سيرتهم وبها، حياتهم ، كانوا وبقوا شرفاً ومجدًا للبشرية .

٣ - واذا ذكرنا الارادة في يسوع تراثت لنا تلك القوة الجبارة التي لا يعتريها وهن ولا ضعف ولا تقليل ولا تلوّن . فهي القوية الوديعة . تبقى هادئة امام الانتصار ، امام حماسة وهتف الجماهير يوم الشعازين ، ويوم ارادوا ان ينادوا به ملائكة عليهم . وهي الصبور على النقصان والمطatum في تلاميذه ، وعلى الشراسة والاحقاد في اعدائه . وهي الصامدة الكريمة الجليلة امام الوثاق والبصاق والاطم والسياط ، واقليل الشوك والقصبة ، والساخريه والشتميه ، والمساميده والصليب ، والتهكم وهز الرؤوس ، وقهقهة التشفي وكعباء الانتصار .

فالبشرية لم تسجل في تاريخها ارادة جباره وديعة ، قوية هادئة ، صافية رائعة مثل ارادة يسوع .

فيسوع هو حقاً الانسان المثالي ، الاوحد البهي الجمال ، الفائق النقاء ، الكامل الكمالات ، اجمل زهرة واسهى ثمرة خرجت من جذع البشرية . بل هو الريحانة الوحيدة والزنبقة الفريدة الكاملة الحسن والبهاء .

٤ - واذا ما تأملنا قداسته ، قداسة حياته ، وقداسة تعليمه ، وقداسة اعماله ، نراه القدس الذي عنده تنتهي كل نقاوة وكل طهارة وكل كمال للنفس ، وكل اشراق الفضيلة ، الفية وادبية .

من يستطيع ان يضاهيه او ان يقاربه في قداسته . انك لا تجد قديساً ولانبياً ولا رسولاً ولا عذراً - ما عدا مريم البطل - الا وقد اخطأ امام العلي . اليك ان يواسى الرسول ذاته يقول عن نفسه انه اول الخطأ ، وهو النار المتقدة غيره رسولية . اما يسوع المسيح فانه يتهدى اعداه ويقول :

البحث الثالث

«من منكم يقدر ان يثبت علي خطيئة»^(١).

سنين عديدة قضاهَا يسوع في الناصرة ، وحضر العرس في قانا الجليل ، وطاف في كل المدن والقرى حتى تخوم صور وصيدا ، وجالس الخطأة وأكل معهم ، وترك المجدية تقبل قدميه ودموع الندامة واللاب تفيض من عينيه ومن شعرها ، وجلس على البئر يجادل السامرية ، ودافع عن الزانية ، ودعا الاولاد اليه وقام يعانتهم ويقبلهم ، ورغم ذلك كله استطاع ان يتهدى اعداءه ويقول لهم : «من منكم يقدر ان يثبت علي خطيئة». وما ذلك الا لانه التدوس ، ينبع كل طهور ، بل القدسية المتجسدة ذاتها .

وهذه القدسية اعطتها مثلاً للدنيا لتنسج على منوالها . هل ذكر التاريخ يوماً رجلاً جعل قداسته اساساً للديانة التي يبشر بها ؟ يسوع المسيح هو وحده هذا الرجل .

وقداسة المسيح ليست سابقة ، بل هي القدسية الاجيادية العملية الكبرى . هي مجموعة الفضائل والاخلاق **الكاملة** السماوية والارضية . فهو سماء فسيحة كل فضيلة نجمة متألقة فيها . فلا تراحم فغالية فضيلة ، ولا تتنافى معها ، ولو كانت من اصدادها . كان يسوع رصيناً وكان حنوناً . كان متقدساً صواماً . وكان يحضر الولائم والاعراس . كان العفاف المشرق وكان يجالس الخطأة بل يسعى وراءهم ليشفى نفوسهم وأجسادهم .

هذا هو يسوع . هذا هو الله . هذا هو الانسان ، مثال البشرية ، ومجد البشرية ، ومخلاص البشرية .

وهذا هو عمله في النفوس : عمل توحيد الجمود ، عمل جذب القاوب ، عمل اعطاء المثل الاعلى في الكمالات والفضائل والاخلاق .

(١) يوحنا ٨: ٤٦

الباب الأول

في الفضائل المسبحةة الادبية

الفصل الأول

في فضيلة الفطنة

سيتناول بحثنا :

أولاً - ماهية فضيلة الفطنة وقوامها .

ثانياً - ضرورة ممارسة افعالها .

ثالثاً - الوسائل التي من شأنها ان تزيدها غرابة وكملاً .

البحث الأول

ماهية فضيلة الفطنة وقوامها

١ - يائراً . - الفطنة هي فضيلة ادبية مسيحية ، فائقة الطبيعة ، تحمل قوانا العقلية في مختلف ظروف الحياة على اختيار افضل الوسائل للوصول الى ما زغب فيه من المطالب الحسنة ، جعلين هدفا الاكبر تمجيد الله لكونه غايتنا القصوى السامية .

فالفطنة المسيحية هي غير فطنة الجسد الدنيوية الدنيا ، فطنة الخبر والمطامع الارضية ؛ كما ان الفطنة المسيحية ايضاً هي غير الفطنة الحضرة البشرية ، فطنة الانانية والمصلحة الذاتية .

فان فطنة الجسد تبحث بكل قواها عن الوسائل التي توصلها الى مطامعها وكبرياتها ومذانتها واهواتها لكي تشبعها . فهي عدوة الله والناس معاً . «فان فطنة الجسد موت وفطنة الروح حياة وسلام . لأن فطنة الجسد عداوة لله» ^(١) .

والفطنة الحضرة البشرية هي ايضاً غير الفطنة المسيحية ، لأن هدفها خير ارضي مجرد عن الغاية السماوية . فالصانع الفطن مثلاً يتبصر في امور صناعته كيف يحققها ؟ والتاجر ينظر في طرق تجارتة كيف يستغلها ؟ والفنان الشاعر او الرسام او الموسيقي يسعى في اعمال فكرته كيف يصل بفننه وعقريته الى الشهرة ومكاسبها واجادها . في كل واحد من هؤلاء ينشد غاية زمنية بشرية ، ويسعى اليها بكل ما اوتيه من ذكاء وقوة ، ولا يفطن الى الغاية الصحيحة الكبرى السماوية . ففطنة هؤلاء هي فطنة بشرية ارضية حقيرة ، وهي غير الفطنة المسيحية . والسوداد الاعظم من الناس يرمي اليها متناسين او غير مدركون قول رب ان «ما ذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» ^(٢) .

(١) رومية ٨ : ٧٦ . (٢) متى ١٦ : ٢٩ .

اما الفطنة المسيحية فهي التي تستثير بانوار الاعياء ، وتعتمد على تعاليم الانجيل في البحث عن الوسائل التي توصلها الى ما تريده من الرغائب ، وتجعل الله غايتها الاخيرة في كل ما تصبو اليه وتستخدمنه من المطالب والوسائل ، إن في امور الدين او في امور الدنيا . فتقدير نحو الله دفة افكارنا وعواطفنا ورغباتنا واعمالنا وتجارتنا وصناعتنا ، ومعاملتنا مع الناس ، وحياتنا في بيتنا . وتباحث في الانجيل عما رسمه السيد المسيح من منهاج الحياة فتتبعه ، وتحمل خطاب المعلم الالهي على الجبل دستور الحياة العملي لكل يوم وكل حالة ، فتسير على صوته . ثم تنظر في حياة القديسين والانام الصالحين كيف استعملوا الدنيا ، فتنسج على منوالهم ، وتصفي الى تعاليم الكنيسة وارشاداتها ، فتعمل بها . وهذا لا يمكن ان تتعثر ولا ان تضل . وفوق ذلك فهي تدفعنا الى استعمال الصلاة وقبول الاسرار فيكون الفلاح حليفنا في ذيانا وفي آخرتنا .

٢ - فواماها . - تقوم الفطنة المسيحية بامور ثلاثة : بتفكير رصين ، وتقدير قويم ، وتنفيذ حازم .

فالانسان المسيحي الفطن يفكر برصانة تفكيراً جدياً في اموره وطريقه وكيفية تطبيق تعاليم المسيح في حياته . فيستفيد اولاً من خبرة الاجيال السالفة ، ثم من خبرته الذاتية . فيحذر

السقوط في اخطاء واغلاط من سبقوه ، ويتنبه إلى ما استسلم هو ايضاً إليه من الشطط والزلل باندفاعه وتهوره . ثم ينظر بعين ثاقبة إلى المستقبل فيزن قوّته ومؤهلاته بميزان التواضع والثقة بالله ، ويأخذ الحبيطة لنفسه من اهوائه الذاتية وأماليه المنحرفة ؛ و اذا تم له ذلك يقرر خطته في اعماله واسغاله و مختلف اطوار حياته .

فإذا ما أردت أن تستعمل الفطنة في ممارسة فضيلة الطهارة مثلاً ، فاذكر ما استخدمه القديسون والأنام الصالحون من شتى الوسائل لحفظ نضارة زوجتها ؛ واعد إلى فكرك ذكر الاخطار التي استهدفوها ، والتجارب التي هاجتهم وكيف صدوا لها او لماذا لم يصدوا لها ؛ وانظر فيها يحيط بك من ظروف الزمان والمكان والانسان ، فتأخذ الحبيطة لنفسك لكي تحافظ على جوهرة طهارتكم وتحميها من العدوان ، فتبقى نقية بهية في كل حين .

ويساعدنا على التفكير الرصين استشاراتنا رؤسائنا ومعايمينا واصدقائنا واهلنا اذا كانوا من رجال الخير والصلاح . وربما وجدنا نصيحة حسنة احياناً لدى من هم دوننا سنًا وثقافة وقدراً ومكانة اجتماعية ، فلا زائف من ان نقتبسها من افواههم وقلوبهم بداعية وتواضع ، فانها كثيرة ما تفيينا في مواقف الحياة ، وخدمتنا في

حل العقد المستعصية، والمشاكل الخطيرة. ولا يسهو عن بانا
ان المشورة من الروح القدس.

اما خير الوسائل الفعالة التي تعيننا في حسن تفكيرنا، قبل
ان نقدم على عمل من اعمالنا فهي الصلاة والابتهاج الى الروح
القدس، روح المعرفة والفهم، روح الحكمة والتعزية؟ ثم النظر
الى يسوع والى امه الطاهرة، والتوصيل اليها لكي يلهمان الى ما
به خيرنا وصلاحنا وتجهيز الله في حياتنا واعمالنا. ليس هو
الكلمة الازلية؟ اليست امه هي «خزانة حكمة الله»^(١)؟ فان
الصلوة مراراً كثيرة تبعث للحال في عقولنا ضياءً يعسر علينا ان
نصل اليه ولو بعد ساعات طويلة من التفكير.

وبعد التفكير الرصين المؤسس على التأمل والمشورة
والصلاحة، يأتي دور الاعتماد على رأي صائب، اي تقرير ما ينبغي
عمله. ولكي ننجو من الغلط علينا ان نخذل الاستسلام الى اهوائنا
وعواطفنا ومطامعنا، بل نرفع ازظارنا وقلوبنا الى السيد المسيح
ونذكر عواقبنا الاخيرة؛ وعلى ضوء هذه الشموس النيرة نقرر
منهاج عملنا بلا تردد ولا وجع، لاسيما في الامور **الكبيرة**
والموافق الخطيرة. هكذا كان يفعل رجال الله القديسيون ويقولون:
«ما نفع هذا الابدية» Quid hoc ad æternitatem «ولا ريب

انهم دنوا من ائمة الناس عقلاً وثقافة ومنطقاً وفطنة. وعلى مثالهم
نسائل ذواتنا : الى اين يقودنا هذا العمل او ذاك ، أإلى الله ام الى
خدمة ذاتنا وشهواتنا .

فاما فعلنا هذا لا نضل ، وان ضلنا لا نؤخذ ، لاننا نكون
قد اعتمدنا في تفكيرنا وفي تقريرنا على افضل الوسائل الاليمية
والبشرية معًا ؛ فلا لوم علينا امام الله ولا امام الناس ، ولا امام
انفسنا .

عليينا اخيراً بالتنفيذ لانه هو المطلوب ، وهو ثمرة التفكير
والتقرير ، فبعد التفكير الرصين المشبع بروح الامان ، وبعد
الاعتماد على خطة العمل ، يلزم ان لا نتردد في التنفيذ ، ولكن
بتوة ورزانة وحكمة ، بلا تهور ولا عنف ولا تصلب ولا
عناد . لانه لا بد من المرونة في تسخير الامور البشرية التي غالباً
ما تكون عرضة للمفاجآت الغير المنتظرة ، وللمصاعب الغير
المعهودة . ولكن حتى في مثل هذه الظروف الاستثنائية الحرجية
يبقى طريق النجاة من التهور مفتوحاً امامنا ، وذلك بواسطة
الصلوة والاستشارة والصبر والثبات .

٣ - انواعها . - الفطنة انواع منوعة حسب الغاية التي
ترمي اليها . فهي شخصية حينما تنظر في امور الناس كل بفرده ،
وهي اجتماعية عندما يكون هدفها مقدرات الجماعات الكبيرة

او الصغيرة ، نظير العائلة والمدينة والمقاطعة والدولة ، او الجماعات الدينية والادبية والخيرية والثقافية والتجارية وما يشابهها . فعلى كل انسان مسيحي في خصوصياته ، وكل رب عائلة في عائلته ، وكل رئيس في رئاسته ان يستعمل الفطنة المسيحية في حياته وفي قيادته ، فهي المصباح الذي يقي من المأثر ، ويقود بامان في الطريق القويم . اما الطيش والتهور والخفة فهي طريق الدمار المنحدرة الى الجحيم .

البحث الثاني

ضرورة فضيلة الفطنة

ان افتقارنا الى فضيلة الفطنة فهو حقيقة من الامورضرورية ، ان في حياتنا القردية ، وان في حياتنا الاجتماعية .
اما في حياتنا القردية فان الفطنة المسيحية تغير اذهاننا فتركتنا مخاطر الماضي لمبتعد عنها وفوائد الفضائل لنقدم على ممارساتها .

اما الماضي فان اجتنابها والانتصار على التجارب الداعية اليها لا يتم لنا الا اذا عرفنا اسبابها ومواقعها او اضرارها وادواها .
فليس كالفطنة ترشدنا الى مثل ذلك ، فتتغير عقولنا وتربينا شرها ، فنسارع الى اتقانها .

واما الفضائل فالفطنة هي لها بثابة القائد للجيش المارد .
وهي العين الساهرة ، والرقيبة المتطلعة الى آفاق حياتنا ، فترى
وتريننا خير السبيل ؟ وهكذا تسهل لنا المصاعب فندرأ عنها وطأتها ؛
وترفع امامنا الستار عن جال الفضائل ومنافعها فنقدم على
ممارستها . فلا قوام لفضيلة من الفضائل الالمية والادبية الا بها .
 فهي التي تنظر فيما يهدد فضيلة الایمان من الاخطار فتحملنا
على دررها والمهرب منها ؛ وهي التي تسهر على حفظ التوازن ما
بين ما يحق لنا من الثقة بالله وما يتوجب علينا من الخوف من
احكامه الرهيبة ؛ وهي التي تقودنا في الطريق الوسط ما بين
الطمع برجته تعالي واليأس من خلاصنا ؛ وهي التي بنوع اخص
تنظم فيما اعمال فضيلة الحبة وافعال الرحمة فتتفق حائلا دون
الافراط والتفريط في كل مناسبة من مناسبات حياتنا .

ونشعر بالاكثر بضرورتها في القيام باموال بعض الفضائل التي
تراءى لنا كأنها في خلاف مع بعضها : نظير العدل مع الرحمة ،
والقوة مع الوداعة ، ومبشرة التقشف مع واجب حفظ الصحة ،
والمرؤة في خدمتنا للقريب مع صون عفاف قلوبنا واجسامنا ،
وتعاطي اعمال الحياة الداخلية الروحية مع الانبهاك بشتى الاشغال
الخارجية . فالفطنة هي التي تنظم التوفيق بين اعمال هذه الفضائل
فلا تعارض بعضها بعضاً ، ولا تراهم بعضها بعضاً .

واما في حياتنا الاجتماعية فالفطنة يجب ان يكون لها المقام الرفيع الاول . فهي رئيسة الفضائل وفضيلة الرؤساء : «ان كثرة الحكمة خلاص العالم ، والملك الفطن ثبات الشعب»^(١) . ولما تجلى الرب للملك سليمان في جبعون في الحلم^(٢) ، وخيّره في ان يطلب من المواهب ما يريد ، اجابه سليمان وقال : «ايهما الرب المهي انت ملكت عبدك مكان داود ابي ، وانا غلام صغير السن لا اعرف ان اخرج وادخل . وعبدك فيما بين شعيبك الذي اخترته شعيب عظيم لا يحصى ولا يُعد لكثرته . فهو عبدك قلباً فهِمَا ليحككم بين شعيبك ويزير بين الخير والشر ... فحسن الكلام في عيني الرب ... فقال له الله بما : اذك سألت هذا الامر ولم تسأل اياماً كثيرة ، ولا سألت لنفسك الغنى ، ولم تطلب نفوس اعدائك ، بل سألت لنفسك تمييزاً لتفقه الحكم ، فها نذا قد قعت بحسب كلامك . ها نذا قد اعطيتك قلباً حكيمَا فهِمَا ... وايضاً ما لم تسله قد اعطيتك اياه ، الغنى والمحبد ، حتى لا يكون رجل مثلك في الملوكي كل ايامك » . فالحكمة هي مجلبة الخيرات كلها . هي للرئيس مصباحه وضياؤه ومجاس مشورته ورئيسة فضائله . «الحكمة خير من القوة والحكيم افضل من الجبار»^(٣) . وقد قيل : الرأي قبل شجاعة الشجعان .

(١) حكمة ٦ : ٢٦ (٢) ملوك ٣ : ١٥ - ١٦ (٣) حكمة ٦ : ٢٦

وفضيلة الفطنة هي على الأخص رفيقة الكافر في خدماته الروحية والزمنية. فهي التي توحى إليه في موافقه الخطابية الكنسية ما تفضي الماجرة به، وما لا يحسن ذكره، وما لا ينبغي إلا التلميح إليه. وهي ميزانه في تعاليمه وارشاداته للكبار والصغار، وللنساء وللرجال، ولكل فئة من الناس. وهي التي يجب أن تتحكم في كل حركة من حركاته، وفي كل كلمة من كلماته لدى زيارته للرعاية، لكي لا يتسرّب إلى الأذهان ولا يظلُ الشك في سيرته وسيرته. وهي التي تجلس معه في منبر الاعتراف فترشدُه إلى أفضل ما يكون من حسن القيام بواجباته كأب عظوف، ومعلم عالم، وطبيب حاذق. وهي التي تكون عوناً له في توزيعه الأسرار على المؤمنين، والقيام بخلافات العادات، والمناولات الأولى، والاكاليل، والجنايز، فترشدُه إلى حسن التوفيق ما بين القوانين الكنسية المفروضة وبين مطالب بعض الناس، وتطرُّفهم أحياناً في رغائبهم من حب الظهور، والمعجرفة الباطلة، والمطامع المُستَترة الظاهرة.

وهكذا قُل في إدارة الأوقاف، وفرض الرسوم الكنسية، وجباية الأموال لتغذية الأعمال الخيرية. كل ذلك يلزم فطنة ودرایة وتفكير ومرونة ورصانة، لكي لا تتسرب الشكوك إلى أذهان الناس؟ فيبقى الكافر بعيداً عن الشبهات، وبذلك يجد الله.

البحث الثالث

الوسائل التي من شأنها ان تزيد فضيلة الفطنة نفوأ وكمالاً
 ان الوسيلة الاولى والكبرى التي من شأنها ان تزيد فضيلة
 الفطنة نفوأ وكمالاً هي الصلاة . وبهَا تتغذى الفضائل كلها وترهو
 وترهز . لأن كل عطيّة صالحة وكل موهبة كاملة تنحدر من
 لدن أبي الأنوار .

والوسيلة الثانية التي بها تتقدم الفطنة وترتقي هي حرصنا
 على ان لا نقصد الا ووجه الله في كل عمل من اعمالنا ، وان يكون
 حكمنا في هذه الاعمال ، في حسنها وسوئها ، وخيرها وشرها ،
 على ضوء هذا النور الكبير ، نور طلبتنا وجه الله في مختلف امور
 حياتنا . وهذا ما يوصي به بولس الرسول اذ يقول : « ومهمها
 اخذتم فيه من قول او فعل فليكن الكل باسم رب يسوع
 المسيح شاكرين به لله الآب » ^(١) . وهو ما يرشد اليه ايضاً
 القديس اغناطيوس في رأس العمليات الروحية التي تفرد في
 طريقة وضمهما .

ولكي يسهل علينا ايضاً وضع هذا التعليم موضع العمل
 يمكننا ان نعتمد على آية من آيات الحكمة التي جعلها بعض

القديسين نبراساً لهم يسترشدون بها في بده كل عمل من أعمالهم
فتغتير سبباهم . نظير هذه الآيات :

ما زفف الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ^(١) .

ما زفف هذا للأبدية . Quid hoc ad æternitatem

كل ما هو ليس ابداً ليس شيئاً .

فإذا ما تشبّعنا من هذه المبادىء، الأساسية الكبرى سهل
 علينا الحكم في امور الحياة مهراً تقلبات وتعددت وتنوعت ،
 ويكون حكمنا فيها بفطنة وحسن دراية .

* * *

فلننظر الان في كل فئة من المؤمنين كيف يغذون فضيلة
 الفطنة ، وكيف يصعدون بها سلم الكمال .

فن كان منهم في الدرجة الأولى من الحياة الروحية عليه
 ان يجاهد لكي يتحرر من النعائص التي تعيّب فضيلة الفطنة ،
 وتعيقه في سلامه الرأي وصوابية الحكم في امور الحياة .

فعليه ان يقاوم « فطنة الجسد » التي اثنا تسعى وراء « شهوة
 الجسد ، وشهوة العين ، وفخر الحياة » ^(٢) . ولا يتم له ذلك الا
 باستعمال انواع الامانة والتقوش ، متسلحاً بالمبادئ المسيحية
 الأساسية التي ذكرناها ، ومردداً في ذهنه قول الرسول : « ان

فطنة الجسد هي موت وفطنة الروح هي حياة وسلام »^(١) .
وعليه ان يجاذر الطرق الملتوية، والخيل الخداعية، والسياسة
الكاذبة التي يظن الكثيرون في طيشهم انها خير ما يعتمدون عليه
للحجاج في مقاصدهم . فينسون ان الكذب ممقوت عند الله
والناس ، وان عاقبته الدمار ، وان الغاية لا يمكن ان تشفع
باليواسطة وتبررها ، وان من يحسن سريرته يحسن الله علانيته .
آلا يقول لنا الانجيل : « كونوا حكماً كالحيات وودعاً كالثمام »^(٢) .
فعلى المسيحي الحقيقى ان يكون شهماً شريفاً في اقواله وافعاله ؛
وان يكون سليم الطوية في معاملاته مع قريبه .
والفطنة تقضى بان لا نستسلم لأوهامنا واميانا واهواننا .
فالاوہام هي اعداء الفطنة ومن الموانع الكبرى التي تحول دون
تقدمنا في الكمال المسيحي . لانها تتسلط على عقولنا ، وتضيق
الخناق على ارادتنا ، فنفقد حرية التفكير ومعها حرية العمل .
و كذلك الاھوا ، فهي امراض نفسية تُظلم العقل ، وتبعث
فيها روح الكبراء والعجب ، فتبعدنا عن محجة الصواب ، وتجعلنا
نتيه في الضلال ، ونندفع وراء المذات الارضية والمطامع البشرية ،
فتensi غايتنا السامية ونبذ وراء ظهرنا وصية رب : « اطلبوا
اولاً ملکوت الله وبره »^(٣) .

(١) رومية ٨: ٦

(٢) متى ١٠: ١٦

(٣) لوقا ١٢: ٣١

وعلى المسيحي الذي بدأ يسير في طريق الكمال ان يتتحاشى الخفة والتسرع والتهور في اقواله وافعاله ؛ وان يتبعوا التأمل والتفكير قبل العمل ؛ وان يزن اسباب عمله ونتائجها بميزان الاعان ، فلا يقدم على امر خطير الا بعد ان يثبت من صلاحيته ، ومن موافقته لمبادئ الانجيل وللغاية القصوى السامية التي لا جلها خلقه الله تعالى . و اذا ما اشكل عليه الامر فليسترشد برأي مرشد حكيم فطن . وهكذا يعتاد ان يسلك دائمًا بحسب المبادئ المسيحية السماوية .

ومن الناس من يتخذون جميع الوسائل الازمة لانارة طريقهم في اعمالهم . فيستعملون الصلاة والتفكير والمشورة ، وتظهر لهم صوابية عملهم . ولكنهم عند التنفيذ يحجون عن العمل بداعي الخوف او التردد او الوسواس . فالفطنة المسيحية تفضي اذذلك بان ياتجىء مثل هؤلاء الى مرشد عاقل يدفعهم الى العمل ، فيسيرون حسب نصائحه وارشاداته .

اما المؤمنون المتقدمون في الكمال المسيحي والذين وصلوا الى الدرجة الثانية منه فاضحت الفضائل لهم عادات مستحبة ، فانهم يارسون اعمال فضيلة الفطنة على انواع ثلاثة :

يبحثون اولاً كل يوم في الانجيل عما قاله وعما فعله رب يسوع في حياته الخفية والعلنية فيتخدونه قاعدة لهم في اعمالهم

ودستوراً في حياتهم . لأن هذا المعلم الاهلي والمشروع السماوي
يتراهم لهم بكل ما في حياته من جمال وكمال وفضيلة وعاطفة ،
وعلى الاخص من فطنة سامية سماوية . وتتجلى لهم فضائله بكل
بهائمها واشرافها : تواضعه العجيب ، وطاعته الكاملة ، وفقره
المدهش ، في ايام حداثته ؟ ثم في ايام ظهوره : حنانه مع الصغار ،
ورحمته مع المرضى والخطأة ، وصبره مع قليلي الفهم ومنكري
الجميل ، وشجاعته امام نفاق وكبراء بعض الرؤساء من الفريسيين
ومعلمي الناموس ، ونهايته في معاشرته لرسله البسطاء ، الغير المشقين
الذين رغم قربهم منه ، ونظرهم الى عواطفه وتجدده ، ونبل
مقاصده ، ورفعة اميائه ، بقوا صغيري النفوس ماديين مستسلمين
لطامعهم الزمنية الحقيرة . فهل اجمل من هذه الدروس ، وهل
اوقع منها في النفوس .

ثم يررضون ذواتهم على الرصانة وعادة التأمل والتفكير ،
وعلى الاسترشاد بآراء المعلمين الروحيين ، وبامثال رجال الله
القدисين . ويملون على اكتساب روح الحزم ، وينحاطرون
للطوارى ، المفاجئة ؛ ويتبصرون في امورهم بتوادة وروية ؛
ويجاون على الاكثر الى الصلاة في يده كل تفكير ، وعند كل
تنفيذ . فتتم لهم هذه الفضيلة الرئيسية الاولى .

واخيراً يتخدون ما قاله القديس يعقوب في فضيلة الفطنة

دستوراً لهم في ممارستهم اعمال هذه الفضيلة السامية الرئيسية .
قال القديس يعقوب في رسالته^(١) : « هل فيكم ذو حكمة و دراية
فليبيد اعماله من حسن تصرفه بوداعة الحكمة » .

ثم يتكلم عن الفطنة الكاذبة فيقول :

« فاما ان كنتم ذوي غيرة مرة ومنازعة في قلوبكم فلا
تفتخروا ولا تكذبوا على الحق . ليست هذه الحكمة نازلة من
فوق بل هي ارضية حيوانية شيطانية . »

اما الفطنة الحقيقية فيقول عنها :

« اما الحكمة التي من فوق فانها اولاً عفيفة . » لأن العفاف
يحرد الانسان عن الاهواء والشهوات فتضيىء له انوار السماء :
« طوبى للانقياء القلوب فانهم يعainون الله »^(٢) .

وهي « مساملة » : فالسلام هو خير الوسائل لحسن التأمل
والتفكير الداخلي ، والله هو السلام وليس الله تشویش واضطراب .
وهي « حليمة سهلة الانقياد مملوءة رحمة واعمالاً صالحة لا
تدين ولا ترائي » .

اما الكاملون من المسيحيين الذين وصلوا الى درجة الترفع
ال TAM عن المآثم والمطامع ، وصارت الفضائل فيهم ملكات مستقرة
ثابتة ، فانهم يمارسون فضيلة الفطنة بنوع كامل سامي ، بفعل

(١) يعقوب ٣ : ١٣ - ١٧ (٢) مقى ٥ : ٨

«موهبة المشورة الصالحة» التي ينحها الروح القدس للنفوس
المتكلمة في الفضيلة.

فوهبة المشورة الصالحة هي التي تجعلنا نحكم فيما ينبعنا لنا
عمله او تركه من الامور ، لاسيما الصعبة والخطيرة ، وذلك بنوع
سريع وبصيرة نيرة صادقة كان الالهام الالهي يوحى اليانا طريقة
عملنا ويفودنا بيدنا .

ان الروح القدس كثيراً ما يتكلم في داخل المؤمنين الذين
تعودوا ان ينصلحوا الى كلامه والهاماته ، ويهدوهم الى ما يجب
ان يقولوه او يفعلوه او يحكموا فيه في مختلف مواقف حياتهم
ووظائفهم ، لاسيما اذا ما تعقدت الامور واستعصى على الناس
حلها . وما ابدع ما جاء في سفر الحكمـة في هذا المعنى^(١) :

« حينئذ تنبأت فأوتيت الفطنة ، ودعوت فحلَّ عليَّ روح
الحكمة . ففضلتها على الصواحة والعرش ، ولم احسب الغنى شيئاً
بالقياس اليها ، ولم اعدل بها الحجر الكريم . لأن جميع الذهب بازانتها
قليل من الرمل ، والفضة عندها تحسب طيناً . واحببتها فوق
العافية والجمال واتخذتها لي نوراً لأن ضوءها لا يغرب . فأوتيت
معها كل صنفٍ من الخير ونزلت من يديها غنى لا يُحصى ... لأنها
ضياء النور الأزلي ومرآة عمل الله النقيّة وصورة جلاله ... وفي

(١) حكمة ٧ : ٢ - ١١ و ٢٦ و ٢٧

كل جيل تخل في النفوس القدسية فتنشىء احباء الله وانبياءه .
ألم يقل رب يسوع لرسوله واصفيائه : « فإذا اسلموكم فلا
تهتموا كيف او بماذا تتكلمون ، فما زکم ستعطون في تلك الساعة
ما تتكلمون به . لأنكم لستم انتم المتكلمين لكن روح ابيكم هو
المتكلم فيكم » (١) .

ولقد رأينا هذا الوعد قد صدق بالفعل في حياة الرسل
والكثيرين من القديسين . اولهم القديس بطرس . لأن هذا الصياد
المسكين ، بعد ان حل عليه الروح القدس وملاه من موآبه ،
وقف خطيبا بلا وجل امام محفل اليهود العظيم . ولما سمعهم
يتهددونه ويتوعدونه ان هو عاد الى التبشير باسم يسوع ، اجابهم
لفوره بثبات وصدق عزيمة : « ان الله احق من الناس بان
يطاع » (٢) .

وان سير القديسين لهم ملائى بامثال كهذه . وهي تعد من
الخوارق ، لأن مصدرها هو الروح القدس ، يكفى بها اصفياءه
ويكفينهم من حسن تسخير امورهم ، ومن خدمة الناس ومنفعتهم
جباراً وكراماً لله عز وجل .

فالقديس انطونيوس الكبير كان ملها من الله في ادارة
وارشاد ائوف الرهبان الذين كانوا يأتونه طالبين ارشاده ، وراغبين

في حياة المنسك تحت يده . فكان يسهّل لهم مصاعبهم ، ويزيل احزانهم ، ويقرأ في قلوبهم مخاوفهم وافكارهم ، ويحلل لهم مشاكلهم . والقديسة كاترينا السيافية كانت رغم حداثة سنها وجه لها للعلوم البشرية ، بصيرة في الامور الخطيرة ، الى حد ان الباباوات والكرادلة والامراء والمعظماء والاساقفة ورؤساء الاديارات كانوا يطلبون رأيها في معضلات الامور ويسترشدون بقولها في شدائدهن تلك الايام العصيبة التي عاشت فيها ، ايام الحروب والفتنة والاضطرابات الدينية والسياسية في القرن الرابع عشر .

ومن يذكر على جان دارك نظرها السماوي في عملها الارضي . حتى ان هذه الابنة القروية البسيطة التي قضت حداثتها في رعاية الاغنام صارت تضع دسم الواقع الحربي كأمهر القواد المخرجين في المدارس العليا العسكرية . ولما كانوا احياناً ينكرون عليها خططها كانت تجيئهم بحزم وثبات : لكم مشورتكم وللي مشورتي . ولقد بذلت حياة الكاهن القديس يوحنا ثيافي خوري درساً بفرنسا ، معجزة من المعجزات الالهية . فان هذا الكاهن البار ، بعد ان كاد يُطرد من المدرسة الاكاديميكية لما كان يجده من المشقة والصعوبة في حفظ العلوم اللاهوتية ، اضحت نوراً ساطعاً في آفاق فرنسا ، ومرشدًا مصيبياً للالوف من كل طبقات الشعب المشفق في زمانه . فلم يبق اسقف ولا امير ولا كاهن

ولا رئيس ولا غني ولا فقير الا ذهب اليه وطلب ارشاده ، وعاد
مبهوتاً من فهمه ، وسداد رأيه ، وصوابية نصائحه .

فوهرة المشورة الصالحة التي يفيضها الروح القدس في
اذهان مختاريه واصفياه وبها يتم لهم فضيلة الفطنة ، تبعث
النور في اذهانهم ، وترسل الضياء في بصائرهم ، فيرون الرأي
السديد في امورهم وامور غيرهم .

اما ضرورة المشورة الصالحة فهي لجميع المؤمنين على مختلف
حالاتهم ، وظروف وظائفهم ، وعلى الاخص لما يأتي عليهم في
حياتهم من مواقف صعبة وساعات خطيرة . نظير توجيه الحياة
مثلاً يميناً او شمالاً : هل نسلك طريق البتولية ام الزواج ؟
هل نختار السلك العسكري ام السلك المدني ، في التجارة ام في
الصناعة ، في المهن الحرة ام في الوظائف الحكومية ؟ .. وقس
على ذلك من الحالات التي لا تقع تحت حصر . فهذا كله لا بد
له من فطنة كبرى ، وفوق الفطنة ، لا بد له من موهبة المشورة
الصالحة لكي لا نضل في اختيارنا ، ولا نعرض آخرتنا وابديتنا .
لان مداركنا ضعيفة ، وحكمتنا قليلة ، وهمتنا بطيئة ، ولا
زال عرضة لفقدان طريق الرشاد ^(١) .

(1) « Sed quia humana ratio non potest comprehendere singularia contingentia quae occurtere possunt, fit quod « cogitationes mortaliū sint timidae et incertae providentiae nostrae » (Sap. IX, 14). Et ideo indiget homo in inquisitione consilii dirigi a Deo qui omnia

ولقد قال أحد الكتبة الروحيين : ان العقل المستنير بموهبة المشورة الصالحة تكون لديه قوة التمييز الصحيح فيما يحب عليه ان يعتمد من الامور ، ويرى طريقه بوضوح وجلا ، ويسير فيه بثبات وطمأنينة ، ولا يخاف ما يعترضه من المصاعب والمتاعب ، ويعرف متى يحين الوقت المناسب للعمل وللنرجاح ^(١) . اما اذا حرمنا هذه الموهبة السامية « فتظلم افكارنا ، وتعمى بصائرنا ، ونضل السبيل في سعينا وراء رغائبنا ، ونتهور في مقاصدنا ، ونستسلم للخفة في اقوالنا ، ونجازف في افعالنا » ^(٢) .

والحاجة الكبرى الى موهبة المشورة الصالحة تظهر على الاكثر في حياة الرؤساء والكهنة . لأن واجباتهم كبيرة ، ومسؤولياتهم كثيرة ودقيقة ، ان في ادارة نفوسهم وتقديسها ، وان في ادارة وتقديس نفوس مرؤوسيهم والمؤمنين الموكولين الى عنایتهم .

فاشد ما يعترض الكاهن من المصاعب في التوفيق ما بين الحياة الروحية الداخلية والحياة الجهادية الخارجية ، وما بين التفاني في خدمة النفوس والمحافظة على العفاف والنقاوة ، وما بين حكمة الحيات ووداعة الجماد . نعم ان انوار الروح القدس لهي من اجل

comprehendit, quod fit per donum consilii, per quod homo dirigitur quasi consilio a Deo accepto. » (S. Thomas, II^a II^{ac}, q. 52, a. 1, ad 1).

(1) Mgr Landrieux: *Les dons du St. Esprit*, p. 163.

(2) St Jure: *Le livre des Elus*, 1ère P., ch. IV.

الوسائل ضرورة في حياة الكهنة .

وهي لا تقل اهمية وضرورة ايضاً في حياة الرؤساء ، وفيما يطلب منهم من السهر على مرؤوسיהם ، ومن استعمال الشدة واللين في ادارتهم لهم ، ومن حملهم على حسن اتمام فرائضهم وواجباتهم ووظائفهم ، ومن الحرص على ان يكون اقامهم لتلك الواجبات بدقة ونشاط وفرح وارتياح ، ولكن من غير ان يفقدوهم ثقتهم بهم وحبهم لهم .

اما المرشدون فهم احوج الناس الى انوار المشورة الصالحة . لأن مهمتهم صعبة دقيقة ، وتتطلب منهم فطنة فائقة ، وحكمة نيرة ، وسداد رأي ، وعدوبة مقال ، وحزماً في التوجيه ، وثباتاً في الحكم . فان اختلاف الاحوال النفسية ، والطبع البشري ، والاواع المслكية ، والدعوات الخصوصية الروحية ، لهي اكثر تنوعاً واقوى اثراً بما لا حد له من اختلاف الوجوه والاجسام بين الانام .



فلتنظر الان في كيفية الحصول على موهبة المشورة الصالحة ،

وفي تغذيتها وانماطها .

لا يسهو عن بالنا ان موهبة المشورة الصالحة هي مجانية ، يفيضها الروح القدس كيف يشاء ، وain يشاء . الا انه يمكننا

ان نعملل النفس بالحصول عليهما ، اولاً بالصلوة المتواضعة
والابتهاال الى هذا الروح المعزي الصالح . وهذا ما عودتنا اياه
كنيستنا الشرقية اذ تفرض علينا ان نبدأ دائماً صلواتنا الطقسية
بهذا الابتهاال البديع :

«ايهـا الملك السماوي المعـزي ، روحـ الحق ، الحاضـر في كلـ
مـكان ، والـمالـي الكلـ ، كـنـز الصـالـحـات وـراـزـقـ الـحـيـاة ،
هـلـمـ وـاسـكـنـ فـيـنـا وـطـهـرـنـا مـنـ كـلـ دـنـسـ ، وـخـاصـ اـيـها الصـالـحـ
نـفـوسـنـا » .

اما الطريقة الشاذة التي تزيلنا نعمة هذه الموهبة السامية فهي
التواضع والتذلل . فنقر امام الله بضعفنا وبقلة ادراكنا وبقصر
بصیرتنا ، ونتقدم اليه بشقة راغبين في خدمته وطاب مرحماته ،
معتمدين على انواره واماماته ، ونرتق نحوه من اعماق قلوبنا :
«يا رب عرفني طرقك ، وسبilk علمي »^(١) ، فيسمع لصراخنا ولا
يحيينا ؛ ونشرع بضيائه القدس يغمر اذهاننا ؛ وتنفرج الازمات
امامنا .

اخيراً ينبغي للنفوس المتقدمة في الكمال ان تكون دائمة
السهر ، مستمرة الانتباه لصوت الروح القدس المتكلم في
دواخلها ، فتسمع صوته العذب يرن دائماً في اعماقها ويرشدتها الى

ما به مرضاته وخيرها وفلاحها . ولقد قال الكاتب الشهير دونزو كورتيس : ان افضل المرشدين هم اصحاب الحياة الروحية العقلية (les contemplatifs) . وقال في موضع آخر : « ان الناس الذين عرفتهم عن كثب ، وهم كثيرون ، لم اصادف بينهم من كانوا اصحاب رأي سديد كامل ، ولباقة صادقة في حسن تسهيل الامور ، واهلية تفوق حد التصور في حل المشكلات الصعبة ، الا اولئك الذين كانوا قد تفرغوا للحياة العقلية ، بعيدين عن ضوضاء العالم » (١) .

وهذا القول مبني ليس على الاختبار الشخصي فحسب ، بل على المنطق الصحيح ايضاً . لان مثل هؤلاء الناس الروحيين العقليين ، تغمر اشعة الروح القدس بصائرهم بضمائهما ، وتكون نفوسهم مجردة عن حطام الدنيا ومطامعها ، فيرون ما لا يراه غيرهم من حكمة سامية ومشورة صالحة . ومن يقرأ سيرة القديسة تريزيا الكبرى الافيلية التي كتبتها احدى بناتها (٢) ، بمناسبة التذكار المئوي الثالث لوفاتها ، يتتحقق بالفعل من صحة هذا القول ، ويлемس بيديه كيف الذين عاشوا بجوار هذه القديسة ، ذات الحياة العقلية السامية ، كانوا يفلحون كلما ساروا حسب نصائحها ، وكانوا يمثرون كلما حادوا عن ارشاداتها .

(1) *Essai sur le Catholicisme*, p. 200

(2) *Histoire de ste. Thérèse*.

﴿ حادث تارينجي ﴾

الملك سليمان

كان الملك داود قد طعن في السن ، وكان قد فاق بعده وعظمته كل من
عاصره من ملوك مصر وفارس . وكانت اطراف مملكته تتراوح إلى حدود
وادي النيل والفرات . وكان قد ملك على اسرائيل اربعين سنة . فلما رأى
ان اجله قد دنا اجلس ابنه سليمان على عرشه ومسجه ملائكة بدلًا عنه ، و وكل
إليه متابعة ما بدأ به من الاعمال العظيمة ، وأوصاه ببناء هيكل الرب .

فلما ملك سليمان كان ابن سبع عشرة سنة . فكان العرب ثقلاً على
كامله . وما لبث ان أخذ ببناء هيكل الرب . فجاء هيكلًا بدليلاً فاق
بهندسته وجوائه وزخرفه كل ما سبق من إماراته في الممالك الأخرى قاطبة .
واقيمت الاعياد الكبيرة ، وذبحت الوف الذبائح ، وبهر اسم سليمان الدنيا .
« وكان الرب الله معه وعظمته جداً »^(١) .

« وفي جمعون تحلى الرب سليمان في الحلم ليلاً وقال الله: اطلب ما اعطيك .
فقال سليمان قد صنعت الى عبديك داود الي رحمة عظيمة بحسب سلطتك بين
يديك بحق وبر واستقامة قلب معك ، وحفظت له تلك الرحمة العظيمة ورزقته
ابنًا يجلس على عرشه كما هو اليوم . والآن ايها الرب الذي انت ملوكك عبدك
مكان داود الي وانا غلام صغير السن لا اعرف ان اخرج وادخل . وعبدك فيما
بين شعبك الذي اخترتهم شعب عظيم لا يُحصى ولا يُعد لكثرته . فهو مبدك
قلباً فهـا ليحكم بين شعبك ويعيز بين الخير والشر . لانه من يقدر ان يحكم
بين شعبك هذا الكبير .

الفصل الاول

« فحسن الكلام في عيني الرب لأن سليمان سأله هذا الامر . فقال له الله : يا اراك سأله هذا الامر ولم تسل لك اياماً كثيرة ولا سأله لنفسك الغنى ولم تطلب نفوس اعدائك بل سأله لنفسك تقييضاً لتفقه الحكم ، فهاءنذا قد فعلت بحسب كلامك . هاءنذا قد اعطيتك قلباً حكيمَا فَهِيَا حتى انه لم يكن قبلك مثلك ولا يقوم بعده نظيرك . وايضاً ما لم تسله قد اعطيتك اية الغنى والحمد حتى انه لا يكون رجل مثلك في الملوک كل ايامك » .

وحقَّ الرب وعده لسليمان . فان هذا الملك الشاب ما عتم ان حكم بنهاية فائقة رفطنة نادرة جعلته احکم وافطن ملك قام في اسرائيل . وهذه الحكمة ظهرت في قضية معقدة رواها لنا الكتاب المقدس . قال :

« حينئذ جاءت الملك امرأتان بغيان ووقفتا بين يديه . وقالت احدهما : الى يا سيدى . اني وهذه المرأة مقيمتان في بيت واحد . فولدت انا في البيت ، وفي ثالث يوم من ولادي ولدت هذه المرأة ايضاً وكذا معها وليس معنا غريب في البيت غيرنا نحن كلتينا في البيت . فمات ابن هذه المرأة في الليل لانها اضطجعت عليه . فقامت عند نصف الليل فاخذت ابني من جاني ، و كانت امتك راقدة ، وجعلت ابني في حضنها وابنها الميت جعلته في حضني . فلما قات بالغداعة لارضع ابني اذا هو ميت . فتفورست فيه في الصباح فاذا هو ليس بابني الذي ولدته .

« فقالت المرأة الأخرى : كلاً ، بل الحي هو ابني والميت ابنك . فقالت تلك : لا بل ابنتك الميت وابني الحي . وكانتا تتكلمان بين يدي الملك .

« فقال الملك : على بسيف . فأتوها بسيف الى امام الملك . فقال الملك : اشطروا الصبي الحي شطرين وادفعوا شطراً الى الواحدة وشطراً الى الأخرى . فكلمت المرأة التي ابنتها الحي لأن احشها اضطررت على ابنتها وقالت : الى يا سيدى ، اعطوها الصبي حياً ولا تقتلاه . فقالت الأخرى : بل لا يكون

لي ولاك . اشطروه . فاجاب الملك وقال : ادفعوا الصبي الحي الى هذه ولا تقتلوه لانها امه .

« فسمع جميع اسرائيل بالقضاء الذي قضاه الملك ، فهابوا وجه الملك لانهم رأوا حكم الله فيه في اجراء الحكم » ^(١) .

* صلاة سليمان الملك *

في طلب الحكمة ^(٢)

« يا الله الاباء ، يا رب الرحمة ، يا صانع الجميع بحكمتك وفاطر الانسان بحكمتك لكي يسود على الخلائق التي كونتها ويصوّس العالم بالقداسة والبر ويجري الحكم باستقامة النفس ، هب لي الحكمة الخامسة الى عرشك ولا ترذاني من بين بنائك . فاني انا عبدك وابن امتك ، انسان ضعيف قليل البقاء وناقض الفهم في القضاء والشرع . على انه ، ان كان في بني البشر احد كامل ، فا لم تكن معه الحكمة التي منك لا يحسب شيئاً . اذك قد اخذتني اشعبك ملكاً وبنائياً وبنائتك قاضياً ... ان معك الحكمة العلية باعمالك والتي كانت حاضرة اذ صنعت العالم ، وهي عارفة ما المرضي في عينيك والمستقيم في وصايك . فارسلها من المهاوات المقدسة وابعثها من عرش مجده حتى اذا حضرت تجد معي وأعلم ما المرضي لديك . فانها تعلم وتفهم كل شيء . فتكون لي في افعالي مرشدًا فطيناً وبعزمها تحفظني . فتغدو اعمالي مقبولة وأحكام لشعبك بالعدل واكون اهلاً لعرش ابي » .

الفصل الثاني

في فضيلة العدل



البحث الأول

في طبيعة فضيلة العدل واحوالها

١ٌ يائزها . — العدل هو فضيلة ادبية مسيحية فائقة الطبيعة

تدفع ارادتنا الى ان نعطي كل ذي حق حقه . فالمراكز الرئيسي
لهذه الفضيلة هي الارادة ، كما ان العقل هو المركز الرئيسي
لفضيلة الفطنة . وتقناع هذه الفضيلة عن الرحمة ، او محبة القريب ،
بان هذه تحسن اليه احساناً ، واما تلك ففترض القيام باداء
حقوقه فرضياً .

وتترفرع من هذه الفضيلة الرئيسية فضيلتان سامتتان ،
الاولى فضيلة العبادة ، والثانية فضيلة الطاعة . لان فضيلة العبادة
تحملنا على القيام بواجباتنا نحو الله لما له من الحقوق السامية علينا .
وفضيلة الطاعة تفترض علينا ان نقدم للرؤساء ما لهم علينا من
حقوق في مختلف نواحي حياتنا الروحية والاجتماعية .

٢ٌ منافعها . — لا احد يجهل ما لفضيلة العدل الطبيعية اولاً

من المنافع العديدة الجليلة . فالعدل هو قوام الممالك ، وسعادة الأفراد والشعوب والمجتمع البشري بأسره . ولو ساد العدل في الدنيا بين الأفراد وبين الأمم لبطلت المنازعات ، وعطلت دواز المحاكم ، وأغلقت أبواب السجون ، وتقلص ظل الحروب ، وعاش الناس بسلام وفرح وطمأنينة . لأن به يعرف كل إنسان ما له من الحقوق وما يترتب عليه من الواجبات ؛ فكل حق ينادي واجباً يخدمه ويصونه . فتزول الضغائن ، وتبطل السرقات ، ويتلاشى الاحتيال ، ولا يسطو القوي على الضعيف ، ولا يأكل الكبير الصغير ، يعيش الكل بئناه ورخاء .

ولقد قال بوسويه (Bossuet) كبير خطباء فرنسا في هذا المعنى : « عندما انادي بالعدل ، انادي بالرابطة المقدسة التي تربط الجماعة البشرية ببعضها ؛ انادي باللجام الذي يعقل الشهوات ... عندما يسود العدل يسود معه الصدق في العقود ، والنور في الاعمال ، والنظام في الاحكام ؛ وتخلد الارض الى الراحة والطمأنينة . حتى السماء نفسها ترسل اشعتها على الارض ببهجة ، وتملاً الدنيا سروراً وحبوراً » (١) .

اما اذا انتهك العدل واختزل نظامه ، فهناك الفوضى والخصام والحروب والدماء ، وموت الضعيف والصغير والعاجز والمسكين .

(1) *Sermon sur la justice*

فإذا كانت فضيلة العدل الطبيعية هي هكذا جزيلة الفائدة
فإذا تكون منافع فضيلة العدل المسيحية الفائقة الطبيعية التي إنما
هي شطر من العدالة الالهية . فإن الروح القدس يزرعها في اعماق
قلوبنا ويدفعنا إلى ممارسة افعالها بثبات واستمرار وكمال ، ليس
احتراماً فقط لحقوق القريب ، بل لأن الله يأمر بها ، ويرتاج إليها ،
ويكافي عليها . وهكذا تساند ليس حقوق القريب فحسب ، بل
أقل مطلب من مطالبه ، وأقل رغبة حسنة من رغائبه .

٣٣ انواعاً . - العدل على نوعين اجتماعي وفردي .

فالعدل الاجتماعي هو ما يشمل حقوق المجتمع على الأفراد
الذين يؤلفون ذلك المجتمع . لا ينكر احد ان المجتمع يؤدي
للالفراد والجماعات ، في كل بلد وفي كل دولة ، خدماً جلي لا
تقع تحت حصر ولا يستطيع ان يتناولها وصف . لاجل ذلك
يتمتع بحقوق يأمر العدل كل فرد من افراد ذلك المجتمع بان
يؤديها له ويحترمها ويقدسها . ولما كان الخير العام يسمى على الخير
الخاص المناسب له ، وجب على هذا ان يخضع لذاك ، وان يتاخر
عنده . هكذا وجب على المرء ان يضحى في سبيل المجتمع جزءاً
من امواله ، ومن راحته ، ومن حريته ، بل ان يجود عند
الاقضاء بدمه وحياته في سدا الدفاع عنه وصانته .

ويقابل واجبات الأفراد نحو المجتمع ما لها أيضاً عليه من

حقوق كثيرة مقدسة . فعلى المجتمع ان يساوى بين الافراد في توزيع الوظائف والضرائب ، وفي الحافظة على الارواح والاموال والحرمات الدينية والثقافية والعائلية والشخصية ؟ وعليه ان يتتحاشى المحسوبية والحزبية والمصلحة الذاتية الفردية . وهذا ما يدعوه الشرع بالعدل الاجتماعي . فلتتم بذلك سعادة المجتمع وراحتته وكفایته .

اما العدل الفردي فهو الذي ينظر في حقوق الافراد بعضهم نحو بعض . فعلى كل فرد ان يحترم حقوق الآخر الاساسية . فان لكل فرد الحق على التمتع بحياته ، وبحرية معتقده ، وبكيان عائلته ، وبصيانة ملكه ، وبضمان راحتته ، وبالحافظة على صيته ، وباحترام شرفه وسمعته . ويطول بنا الشرح الى ما لا نهاية له لو اردنا ان ننظر في مآل هذه الحقوق حقاً حقاً ، وفي كيفية صونها وخدمتها . فهذا من اختصاص المؤلفات الكبرى الفلسفية والادبية . اغا نكتفي باستعراض المباديء الاساسية التي هي قوام هذه الفضيلة الرئيسية .

البحث الثاني

فيما تاموا به وتنهى عن فضيلة العدل

ان الناس على بعضهم في ذنياهم حقوقاً شتى، منها مادية
ومنها ادبية.

فالحقوق المادية تشمل كل قدمنا حتى الانسان على الحياة وعلى
ما له من ملك او مال.

لذلك يتربّى على الانسان ان يترفع عن كل ما هو سرقة،
إن كبيرة وان صغيرة. وان يطبع في قلب بنيه ومرؤوسيه وذويه
احترام مال القريب. وعلى التجار والصناع ان يصونوا تجارتهم
وصناعتهم وبضاعتهم وحساباتهم من انواع الغش والخداع في
الكمية والنوع والصنف وجواهر الشيء، ولا سيما فيما كان منه
متلئفاً او مستوراً لا يبدو للعيان، او لا يقدر ان يصل الى معرفته
وتفويذه كل انسان. ويجب ان تكون الاسعار معتدلة، والارباح
مقبولة، متناسبة مع السوق ومع الشراء. فلا تستفيدن من
سذاجة البائع فتغبنه حقه في الثمن ونشتري منه سلعة بابخس
الاسعار لنعود فنبقيها بارفع الامان. وينبغي ان لا نجاذف باموالنا،
وعلى الاخص باموال غيرنا، فنضرب ضرباً كبيراً، طمعاً برابح
فاحشة، ونعرض ذواتنا وغيرنا لخسائر فادحة. فلأكتم كسرت

مثل هذه العمليات الجنونية من محلات تجارية ، والقت بالالوف من الناس على الحضيض ، وخرّبت بيوتاً كثيرة لعمالٍ وارامل وايتام وسقهاه اصبحوا عرضة للفقر والفاقة بسبب طيش بعض اصحاب المتاجر والمصارف .

وعلينا ايضاً ان نخادر استدانة الاموال عندما نكون عارفين او مقدرين ان لا طاقة لنا على وفائها . فاذا ما اقترضنا مالاً «قرضة حسنة لوجه الله» او اخذناه كدين بفائدة مشروعة ، وجب علينا ان لا نماطل بوفائه في وقته ، وباعادته لاصحابه في الميعاد المتفق عليه . لأن التسويف والماطلة نوع من السرقة .

وعلينا ان نصون ما نكون قد اخذناه من القريب على سبيل الاعارة ، وان نُعْنِي به عناءتنا بشيئنا ، وان نزدِه في حينه . والا نكون قد ساهمنا في نوع السرقة بسبب اهمالنا وتوازيتنا .

واما اذا سببنا عمداً بعض الضرر للقريب ، فالعدل يقضي بان نعوض عليه خسارته ؛ والا فلا مغفرة لنا لا في دنيانا ولا في آخرتنا . ان لم نكن قد ندمنا وتعذر علينا التعويض لقلة ما بيدنا .

واما لو صدر ذلك منا عفوأ وبغير قصد ولا اهمال ، فلا حق لقريينا علينا بشيء من العوض . الا ان الكاملين من المسيحيين لا يتوانون في تعويض بعض الشيء في ظروف كهذه ، على قدر وسعهم وطاقتهم .

ومن العدل والحكمة معاً ان ننظم شؤوننا ونرتّب امورنا، حتى اذا ما فاجأتنا المنية بفترة لا يلحق احداً ضرر ما بسبب ما يكون لدينا من ودائع ، او امانات ، او ديون او دراهم ، او اي شيء من امثال هذه للناس ، او للجمعيات الخيرية ، او المؤسسات التقوية .

وعلى الكهنة ان يكون لديهم سجلات منتظمة يدونون فيها بكل صيغة ودقة جميع ما يقدم لهم من القداديس مع بيان حسناتها، وكل ما يعطى لهم من المساعدات في سبيل المشاريع الخيرية او التقوية مع بيان كيتها ونوعها ؛ وان يعيروا، وهم في قيد الحياة، من ينوب عنهم بعد وفاتهم في تأدية الحقوق المؤتمنين عليها لأربابها . والافضل لـ كل اسقف ولـ كل كاهن ان ينظم وصيته في حياته، على حسب الاصول المنشورة في بلاده، فيأمن التلاعب في مخلفاته من بعده . فيكون قد امن بذلك تأدية ما عليه من الواجبات ، وصان سمعته وارضى ربه في الحياة وبعد الممات .

اما حقوق الانسان الادبية التي يجب من باب العدل احترامها

وتأديتها ، فهي صون شرف اسمه وحسن صيته وسمعته .
 (١) لذلك وجب علينا اولاً ان نطرح جانبنا عننا الدينونة الباطلة التي تحكم بها على قريتنا ، مستندين الى ما نراه ، او ما قد

يتراهى لنا احياناً اتنا نراه ، من ظواهر افعاله وظروف حياته . فلا يسوغ لنا ان نحكم مجرد ذلك عليه . لأننا لانعام نياته ، ولا مقاصده ، ولا الباعث الذي حمله على ذلك العمل ، ولا الاحوال النفسية والجهازية التي دفعته الى ذلك . فان الله وحده هو علام الغيوب وفي حواس القلوب . ويا ما كانت الظواهر خداعة ، ان في الخير وان في الشر . فلنترك الحكم فيها . و كثيراً ما يأتي الانسان عملاً يظننه خيراً فيكون وبالاً ، او يصبح شرّاً . فلا تقع قبعة ذلك الشر اذا عليه . فكيف يسوغ لنا ، ونحن ننظر فقط الى الظواهر ، ان نحكم بالسوء عليه . ولذلك قال رب كلمة عميقة في معناها ، سامية في مغزاها : « لا تدينوا لثلاثة تدانوا » ^(١) . وقال بولس الرسول : « من انت حتى تدين عبد غيرك انه لمولاه يثبت او يسقط » ^(٢) .

ثم اليك ان حكمتنا كثيراً ما نبنيه ليس على الظواهر الخداعة فحسب ، بل ايضاً على اهوائنا وامنياتنا وانانيتنا وبغضنا وحسدنا وتحزبنا . وهكذا يكون ناقصاً ، بل يكون مراراً كاذباً وجائزأ و مجرماً . فالعدل يقضي ، والمحبة ايضاً ، والطاعة لوصية الله ايضاً ، بان نترك الحكم لله ، وان نعذر القريب في سلوكه وفي عمله .

(١) متى ٢ : ١ (٢) رومية ١٣ : ٤

(ب) وفضيلة العدل توجب علينا ثانيةً، ان نتحاشى الغيبة والنسمة. فلا يجوز لنا ان نكشف عيوب الناس امام الناس، ولا ان نشهر ذنوبهم، ولا ان نبين من احوالهم ما يحيط من قدرهم، ولا نظهر ما من شأنه ان يعود افشاوه ضرراً عليهم، او يتسبب غمّاً لهم، او يمس كرامتهم، او يضعف ثقة اقرانهم بهم، فيصبحون مراراً كثيرة من جراء ذلك عرضة للخسارة والأضرار ربما لا تتوارد. فكم من نظرة، او اشارة، او كلمة اوقدت ناراً عظيمة ذهبت ضحيتها انفس عديدة بريئة كريمة.

ولكي نزوض نفوسنا على الامتناع عن النسمة فلتكن عيوبنا دافئاً وذنبنا نصب أعيننا. ولنتذكر قول رب : «ما بالك تنظر القدي الذي في عين اخيك ولا تقطن للخشبة التي في عينك»^(١). وقوله ايضاً للشيوخ الفجوار الذين جاؤوه يشكون المرأة الزانية : «من كان منكم بلا خطية فليبيداً ويرمهها بحجر»^(٢).

واما تصفحنا سير القديسين نجد لهم هذه الميزة الكبرى انهم كانوا يصونون طرقهم عن نفacious القريب، ولسانهم عن عيوبه، ويعدرون ضعفه، ويخشون ان يحكموا عليه بالسوء، لئلا يجربوها هم ايضاً ويسقطوا.

(١) مقى ٢ : ٧ (٢) يوحنا ٨ :

اما اذا اضطرتنا الاحوال الى اظهار عيوب القريب او ذنبه ، امام من له الحق على معرفتها ، وب Sidney السلطان لدعه وتهذيبه واصلاحها ، فلا يكون ذلك من باب الظلم ، بل من باب العدل ، والمحبة الاخوية ، والشفقة المسيحية .

(ج) اخيراً اذا كانت واجبات العدل ومعها المحبة الاخوية تقضيان بان لا ننشر ما نعرفه من نقائص القريب ، فبالاخرى كثيراً وجب علينا ان نمسك لساننا عن الافتراء عليه زوراً وبهتاناً بما ليس فيه ، مما يمس حقوقه الزمنية والادبية . ان الافتراء هو اختلاق الاكاذيب بحق القريب . وهو اثم فظيع لا يبرره مبرر ، ولا يقره شرع من الشرائع ، وتعاقب عليه قوانين الشعوب المتمدنة كلها ، كما يعاقب عليه الله في الدنيا وفي الآخرة . وفوق ذلك يتلزم من سبب اضراراً للقريب في ماله ، او في شرفه ، او في صيته ، بداع **الكذب** والافتراء ان يسرع الى تعويض الضرر الذي سببه ، والا فلا مغفرة له عند ربِّه . ولما كان التعويض في مثل هذه الاحوال عسراً شاقاً ، ولا سيما فيما يعود الى الحقوق الادبية من حيث الصيت والسمعة والمكانة ، كان الاجدر بنا ان نتحاشى مثل هذه الفظائع ، وان لا نقتري على قريينا بالاكاذيب ظلماً وبهتاناً .

هذا موجز ما تأمر به وتنهى عنه فضيلة العدل الادبية المسيحية الفائقة الطبيعة، اعني التي لا ترغب في اقامة العدل وتقديسه لازه خير عظيم اجتماعي فحسب، بل ايضاً لأن الله يأمر به ويرضى عنه ويكافئ فاعله.

الا ان المسيحي الذي يرحب في الكمال، ويريد ان يصل حقاً اليه، عليه ان يتتجاوز فضيلة العدل الى فضيلة المحبة، فيكون قد ضمن لنفسه حق القيام بافعال فضيلة العدل. لأن الحبة الاخوية تحرص على التنازل حتى عن الحقوق المشروعة في سبيل القريب ف تكون قد ادت له بذلك اكثر من حقوقه. وعندما نفعل هذا محبة الله ولاجل تمجيده تعالى، يتتحقق الكمال الذي ينشده الرب يسوع في الانجيل وفي تعليمه، ويأمر به اخصاره وتلاميذه والمؤمنين به. وفضيلة العدل هي، على الاخص، من اكبر فضائل الكهنة والرهبان والناس الاتقياء. لأنهم بمقتضى حالمهم طلاب كل، وقاده الشعب في طرق الفضائل، ومثال حي صالح في كل الاحوال؛ ولما كان العدل من الفضائل الاجتماعية البارزة، كان خيراً ما يتحلى به رجال الله في حياتهم ومعاملاتهم ومعاطاتهم مع الناس من كل الطبقات ومن كل النحل والملل. لأن التعاليم المسيحية تعني بكلمة « قريب » كل انسان منها كان منشأه ووطنه ومعتقداته.

﴿ حوادث تاريخية ﴾

الرسولان بطرس ويوحنا امام محفوظ اليهود ^(١)

« وصل بطرس ويوحنا معًا الى الميكيل لصلاح الساعة التاسعة ، وكان رجل اخرج من بطن امه يحمل ، وكان يوضع كل يوم عند باب الميكيل الذي يقال له الحسن ، ليسأل صدقة من الداخلين الى الميكيل . فلما رأى بطرس ويوحنا مزمعين ان يدخلوا الميكيل سألهما صدقة . فتفرس فيه بطرس مع يوحنا وقال : انظر اليها . فاصفعي اليها ومؤملًا ان يأخذ منها شيئاً . فقال بطرس : ليس لي فضة ولا ذهب . ولكنني اعطيك ما عندى . باسم يسوع المسيح الناصري ثم وامض . وأمسكه بيده اليمنى وانهضه . ففي الحال تشددت ساقاه ورجلاه فوثب وقام وطفق يتشم ويسبح الله . فرأاه جميع الشعب يتشم ويسبح الله . وكانوا يعرفونه انه هو الذي كان جالساً لاجل الصدقة عند باب الميكيل الحسن . فامتهلوا ازدهاراً ودهشةً لما وقع له .

» وفيما هو متعلق ببطرس ويوحنا تبادر اليهم الشعب كله الى الرواق المسمى رواق سليمان وهم متذهلون . فلما رأى بطرس ذلك اجاب الشعب : يا رجال اسرائيل ، ما بالكم متعجبين من هذا ولماذا تتفرسون فيما كاننا بقوتنا جعلنا هذا يتشم . ان الله ابرهيم واسحق ويعقوب الله آباءنا قد مجد فتاه يسوع الذي استجموه انتم وانكرتوه امام وجه بيلاطس وقد حكم هو باطلاقه . فانكرتم انتم القدس الصديق وسامتم ان يوهب لكم رجل قاتل وقتلتم مبدىء الحياة الذي اقامه الله من بين الاموات ونحن شهود بذلك .

الباب الاول - الفصل الثاني

و هذا الذي تنظرونه و تعرفونه بالإيان باسمه شده امه ، والإيان بواسطته هو الذي منحه هذه الصحة التامة امامكم اجمعين » .

« وفيما هم يخاطبان الشعب اقبل عليهما الكهنة و والي الهيكل والصدوقيون مشائخن تعليمها الشعب و ندائها في يسوع بالقيمة من بين الاموات . فالقروا عليها الايدي و وضعوها في الجبس الى الفد اذ كان قد اقبل المساء .

« وان كثيرين من الذين سمعوا الكلمة آمنوا فصار عدد الرجال خمسة الاف . « وفي العد اجتمع في اورشليم رؤساؤهم و الشيوخ و الكتبة و حنان رئيس الكهنة و قيادا و يوحنا والاسكندر و جميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة . ولما اقاموا هم في الوسط سأولوهما : باي قرة او باي اسم صنعتها هذا .

« حينئذ قال لهم بطرس وهو محتلي من الروح القدس : يا رؤساء الشعب و شيوخ اسرائيل ، ان كنا نفعص اليوم عن احساننا الى رجل سقيم بل اذا برى . فليكن معلوما عند جميعكم و جميع شعب اسرائيل انه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبهتموه انتم ، الذي اقامه الله من بين الاموات ، بذلك وقف هذا امامكم متعافيا . هذا هو الحجر الذي ازدرتموه ايها البناءون الذي صار رأسا للزاوية . وليس باحد غيه الخلاص . لانه ليس انتم آخر تحت السماء منحوحا للناس به ينبغي ان تخلص .

« فلما رأوا جرأة بطرس و يوحنا و علموا انهما ايمان و عالميان تعجبوا و كانوا يعرفونهما انها كانوا مع يسوع . و اذ نظروا الرجل الذي شفي و اقنا منه لم يكن لهم شي . يقولونه في ذلك . فامر و هم بالخروج من المعلم و أثروا فيها بينهم قائلين : ماذا نصنع بهذه الرجال فقد جرى على ايديهما آية مشهورة ظاهرة لجميع سكان اورشليم ولا تستطيع انكارها . ولكن

لثلا ترداد شيئاً بين الشعب فلتهدهمَا إلَّا يكلِّهَا أحداً من الناس فيما بعد
بِهَذَا الاسم .

« ثم استدعوهما وامررهمَا أَلَا ينطِقَا الْبَيْتَةَ بِاَسْمٍ يَسْوَعُ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ » .
فهل اغرب من هذه النتيجة لما رأينا من المقدمات . هل تكون نتيجة
الاعجوبة الباهرة ، والاحسان العميم ، التهديد والوعيد .
« فاجاب بطرس ويوحنا وقالا لهم : احکموا انتم . ما العدل امام
الله ؟ ان نسمع لكم ام نسمع لله ؟ فانا لا نقدر ان لا نتكلم بما عاينَا وسمعنَا .
« فتهددوهما وصرفوهما اذ لم يجدوا سبيلاً لمعاقبتها خوفاً من الشعب . فأن
الجميع كانوا يجدون الله على ما جرى . لأن الرجل الذي قتلت فيه آية الشفاء
هذه كان له اكثراً من اربعين سنة » .

﴿ اونيا الكاهن الاعظم ﴾

وهليودورس ^(١)

كان أونيا المكافي كاهناً اعظم ، وكانت اورشليم على ايامه آمنة
والشائع محفوظة . وكان الله راضياً عن شعبه .
فطماع سلوقيس ملك آسيا بالاموال المودعة في هيكل اورشليم، وحدثته
نفسه بالاسيلاء، عليها ظلماً واستبداداً . فاختار لذلك هليودورس قيم مصالحة
وارسله الى اورشليم لتنفيذ اوامره ورغباته . وكانت هذه الاموال لارامل
وایتم ولبعض افراد الشعب الاسرائيلي . وكانوا اودعواها في الميكل لتقتلم
بحرمته بيت الله ، صوناً لها من الضياع .

فجأة هايدورس مع نفر كثير من رجاله وطلب ان تؤمّن اليه تلك الاموال . فدعش اونيا الكاهن لهذه الجسارة وهذه الملاصقة الواقعة ، واجاب بصرامة وشهادة : لا يجوز بوجه عن الوجوه هضم حقوق الذين انتمنوا قداسة الموضع ومهابة الهيكل . لكن هليودورس اصرَ على حمل الاموال الى خزانة الملك . وضرب موعداً لدخول الهيكل والاستيلاء على تلك الودائع .

فانطرب الكهنة امام المذبح بحملهم الكهنوتيه واخذوا يبتلون الى الله بنفس منكسرة لكي يصون قداسة بيته من ظلم الفجار المعتدين . واخذ الناس يتباردون افواجاً الى الهيكل ويشاركون الكهنة في الصلاة والتضرع . وازدحمت النساء في الشوارع مت محزمات بالمسوح . ورفعت العذاري ، ربات الخدور ، ايديهن الى السماء بالتوسل والابتهاج . فكان انكسار الكهنة والجمهور مما يصدع القلب ويثير الرحمة . فسمع الله اصراخ شعبه واتى لنجدته .

و جاء هايدورس على رأس رجاله ودخل الهيكل بكبر وجسارة ومدد يده الى الخزانة يoid بها . اذا بفرس يظهر فجأة وعليه فارس مخيف يرفل بجهاز فاخر . فوثب عليه ، وضربه الفرس بجواهر يديه . وفي الوقت نفسه تراى هليودورس فتىان عجيبة القوة ، بدريعا البهاء ، حسنا الاباس . فوقنا على جانبيه واخذنا يجلدانه جلداً عنيفاً متواصلاً حتى اخناء بالجراح . فسقط مغشياً عليه حتى اصبح على آخر رق . فحملوه وخرجوه خارج الهيكل . وخاف اصحابه خوفاً عظيماً .

ولكن خالج قلب اونيا ان ربها اتهم الملك اليهود بـ كيدة كادوها لرسوله ورجاله . فصلى الى الله لاجل شفاء الرجل فشفاه الرب . فقام ل ساعته واخذ رجاله وعاد مسرعاً الى الملك ، وقصَ عليه ما

جرى له وقال له : « ان كان لك عدو او صاحب دسيسة في المملكة ، فارسله الى هيكل اورشليم . فيرجع اليك محظوظاً ان نجاه . فان في ذلك الموضع قدرة الالهية لا محالة » .

لَا يترك الله الظلم والاستبداد والسرقة بلا عذاب . كذا اذنه لا يضم
آذانه عن صلاة التواضع والخشوع والازكـار .

فرنسسکو روئی

عنوان الامانة^(١)

قصة فرنسيسكو روتي هي من اروع قصص الامانة والشرف . وتکاد تكون خيالية في عصرنا الحاضر لولا ان البعض من ابطالها لا يزالون في قيد الحياة وقد رواها غير واحد بتفاصيلها كلاما .

نَرَحْ فِرْنَسْكُو روتي من إيطاليا إلى الولايات المتحدة في أوائل القرن الحاضر، على مثال الكثيرين من الإيطاليين ومن السوريين والبلجانيين ، طلباً لارزق . وبعد جهود جبارة من المكك الم التواصل في مهنة القصابة ومن الاخلاص في العمل جمع ثروة صغيرة وفتح مصرفًا في الحي الإيطالي في مدينة شيكاغو . وما لبث أن حاز ثقة الطبقة العاملة ، فأخذوا يودعون فيه ما يذخرونها من المكاسب الضئيلة والتوفيرات القليلة ، يمحظونها لمواجهة غدرات الزمان .

ولكن حدث يوماً من أيام شهر شباط (فبراير) سنة ١٩١٥ ما لم يكن في الحسبان . فان ثلاثة من اللصوص اقتحموا المصرف نحو العصر

(١) مجلة «المختار» شهر تشرين الأول سنة ١٩٤٢ .

وداهموا روتى وحده في المصرف وشهروا عليه مسدساتهم . فاوتقوه وسلبوا من الاموال ما وصلت اليه ايديهم .

وانتشر الخبر كالبرق واعلنته جرائد المساء في ملاحقها . فذعر العمال والعاملات اصحاب الودائع فازدحروا على باب المصرف يطلبون اموالهم ، وهي حصاد عرق جيابهم سنتين طويلة ومحط آمال شيخوختهم .

فدفع روتى كل ما كان لديه . ثم صفع كل الممتلكات التي استطاع ان يصفيها ، واضاف اليها كل ريال يملكته ، بل افترض من اقربائه ما وسعه ان يفترضه . وبذل جهد اليائس لايوقف حركة سحب الودائع . لكن النفوس ظلت خائفة ثانية . فاعلن افلاسه . فكان من جراء ذلك ان مئتين وخمسين من اصحاب الودائع خسروا ١٨ الف ريال .

وهكذا قضت السرقة التي لم تستغرق سوى ثلاثة دقائق على عمل روتى وبنته ومدخراته . وتركته هو وزوجته واطفاله الحمامة بغير عمل يترقب ويعيش منه . ولم يبق لهم من حطام الدنيا سوى قطع قليلة من الاثاث واثني عشر ريالاً فقط لا غير . وانتقل روتى الى بيت صغير حقير تبرع له به احد اصدقائه الى حين . وهكذا عاد روتى الى صف العمال كما كان .

الا انه اذا كان قد اضحي فقيراً في المال والمعقار فلقد كان غنياً بقرة الارادة ونشاط النفس والاستعداد للتغلب على نوائب الدهر . فعاد قصباً كما كان وجداً كفاحه في الحياة . ولم يكتفي بهذا بل ارسل الى اصحاب الودائع الكلمة الآتية : « اتعهد لكم بتسديد ما لكم كاملاً متى صار ذلك في وسعي . فارجوك ان تثقوا بي » .

وقال له صاحب مصرف آخر : « لست انت الملوم يا روتى . فلقد كانت السرقة اشبه بحقيقة من مصائب القدر . واللوم كل اللوم على الناس انفسهم . لا بهم هرعوا الى سحب ودائتهم فافضي ذلك الى افلان المعرف » . فردد

عليه روتي بقوله : « قد لا يكون هذا الدين ديناً في عرف القانون . ولكن دين في عرفنا ، انه دين شرف » .

وقام روتي بمحرص على « صندوق دين الشرف » اعظم حرص . فكان يودع فيه القروش والمالات . وكان يركب دراجته كل يوم الى مقر عمله في حانوت الفصاب . وفي ايام الثلوج كان يذهب ماشياً على رجلية . والمسافة ثلاثة اميال . وفي الليل كان يعمل اسكافياً ويرقع احدى جيرانه . وكان اولاده الكبار يبيعون الصحف ويودعون ما يكسبونه في « صندوق الدين » .

فاما تجمعاً لدى روتي مبلغ بعض مئات من الريالات قرر توزيعها على الدائنين . ولكن كيف يوزعها وبين يبدأ ؟ فأراه الله ذات ليلة حكيم يتصرف . فلقد جاءه في تلك الليلة نباً دائناً من دائنيه اصيب برض خطير ، وهو في اشد حالة البؤس مع زوجته وأولاده . وكان المصرف مدیناً له بمبلغ ١٢١ ريالاً . فهورع روتي الى المريض وسدّد له كل دينه دفعة واحدة . فعانته الرجل ودموع الشكر تنهمر من عينيه . فاتضح لروتي المنهج الافضل الذي يجب ان يسير عليه ، وهو ان يبادر الى تسديد حساب من هو اشد حاجة الى ماله قبل غيره .

وبعد اشهر قليلة ، علم روتي بحالة ارملة من دائنياته اصبحت مريضة وقد رزحت تحت انقال عائلة كبيرة . وكان المصرف مدیناً لها بمبلغ ٣٩٠ ريالاً . فذهب اليها ودفع لها منه ريال واتفق معها على ان يدفع لها الباقي اقساطاً شهرية كل قسط ١٠ ريالات وهو المبلغ المطلوب منها ايجاراً للقبو الذي كانت تسكنه .

وبقي روتي على وعده يفي دائنيه سنة بعد سنة مدة ثلاثين سنة ، حتى وفي مبلغ الثانية عشر الف ريال التي كان مصرفه مدیناً بها . وحدث مرة ، وكان قد مضى عشرون سنة على افلال المعرف ، أنَّ ربَّ

عائلة كاد يسلم للهيبس لأن مصلحة الضرائب تنوى ان تبيع بيته تسديده لمطلاوها منه . فتقذر الرجل ان كان له مال في مصرف روتي . فكتب اليه يستنجد به . فلم تقض اربع وعشرون ساعة حتى كان الدين مدفوعاً . وبقيَّ البيت اصحابه .

وبقيَّ روتي يسمى هو و أولاده مدة خمس وعشرين سنة بلا سُكُل ولا ملل حتى عادت اليه بمحنة العيش . فصارت مهمته ان يبحث عن الدائنين القلائل الذين لم يأخذوا حقهم منه ، او عن ورثتهم .

وراح يعلن في الجرائد وفي مكاتب السمسرة وعند شركات التأمين ، ويبحث في سجلات المواليد والوفيات وفي كشوف المدارس والمعاهد لكي يتوصل الى معرفة مقر من تبقى من دائنيه . فما لبث حتى جاءته رسالة في نشرة احدى شركات الاخبار هدتها الى ثلاثة في كايغورينا كان قد طال بحثه عنهم . فلما استوثق من اشخاصهم ومن المبالغ التي تستحق لهم ، ارسل اليهم ما لهم . فقبل الاول المال وهو ١٢٩ ريالاً وبعث يشكوه . اما الثاني فرد اليه المبلغ وهو ١٥٠ ريالاً شاكراً وطلب اليه ان يوزعه على الفقراء . والثالث رد اليه المبلغ ايضاً ، وهو ١٣٠ ريالاً ، ورجاه ان يوزعه على اولاده .

واعلن قسيس الحي في الكنيسة ان يطلعوا روتي على كل انسان يكون له عليه دين . وكان قد مضى على حادث الانفاس ثلاثة سنين . فجاءت روتي امرأة عجوز واخبرته بأنها تعرف زوجين عجوزين هما في اشد حالات البوس ، وكانتا قد ذكرتا امامها ان لها على مصرف روتي مالاً . وهم يقطنان بلدة تبعد مسافة تسعين ميلًا .

فركب روتي الى تلك البلدة وكان الثلوج يغطي الدنيا . فوجد العجوزين وكان الرجل قد اوشك يفقد البصر ، وكانت المرأة طريحة الفراش . فأخبرهما روتي عن غاية زيارته . فأخذ الرجل يسكي من فرط قاتره . لكنه

تردد وقال : انه فقد كل مسكنه يهزمه ليثبت به حقه . فطمأنه روبي ودفع له المال على آخر قرش . فعادت الى العجوزين روحها الفانية من شدة الفرح . وفي آخر سنة ١٩٤٦ ألتأم تمثيل اسرة روبي بعد ان فرقتها الحرب فوجدوا في « صندوق دين الشرف » مبلغاً من المال يزيد على ما بقي من الدين للدائنين . فاقتراح احدهم : « لترسل الى كل فرد من المودعين الباقيين بطاقة معاهدة مع تحويل المبلغ المستحق له ». وهكذا صار . فارسلوا المبالغ مع هذه البطاقة : « تحية من اسرة روبي ١٩١٥ - ١٩٤٦ » .

« في سنة ١٩١٥ اضطر ابونا فرنسيس كوروي ان يغلق « مصرف التوفير الغربي » بعد حادثة السطو عليه . ولكنّه وعد المودعين ان يرد اليهم يوماً ما لهم . وقد كانت رغبته الصادقة ورغبتنا نحن ايضاً في بحث هذه السنين ان ننجز هذا الوعد . وانه لمن دواعي سرورنا ان نكون قد وفينا بوعدنا . فنهنشككم بالعيد ونتمنى لكم ان تعود عليكم الاعوام بالصحة والسعادة » . فلما ارسلت البطاقة الاخيرة تنهى فرنسيس كوروي وقال : « لقد خفرت ذمي ووفيت بوعدي . فانا الان طليق موتاح البال » .

الفصل الثالث

في فضيلة العبادة

فضيلة العبادة هي فرع من فضيلة العدل ، لأنها تحملنا على اداء ما يتوجب علينا من الاكرام لله صاحب الحقوق الكبرى على البشر . ولكن لما كان ليس في مقدورنا ، ونحن خلقة ، ان نؤدي له تعالى حقه كاملا ، لكونه مبدعنا ، وخالق الجميع ، ورب السموات والارض ، كانت العبادة شيئاً من العدل ، وان لم تكن كل العدل .

وسيتناول بحثنا طبيعة فضيلة العبادة ، وضرورتها ، وكيفية القيام بها .

البحث الاول

في طبيعة فضيلة العبادة

أ يازها . — العبادة هي فضيلة ادبية فائقة الطبيعة تحمل ارادتنا على تقديم الاكرام الواجب لله لانه كامل الصفات ورب الجميع .

فهي تتميز عن الفضائل الالمية التي اما موضوعها الله مباشرة . اما هذه فان غايتها الاكرام الواجب له تعالى في السر

والعلانية . الا انها تعتمد على الفضائل الالهية في عملها ، فلا قيام لها الا بها . فان فضيلة الاعيان هي التي ترشدها الى طبيعة الله ، والى صفاته ، وكاملاته ، ومحبته لنا ، وسلطته علينا ، وحقوقه على جميع مصنوعاته . ولا تكمل العبادة الا بفضيلة الحبة . لأن لا معنى لا كرام الله بدون حبة الله . فالعبادة هي زهرة الفضائل الالهية ، والعرف الذي يفوح منها كلها .

فغاية العبادة اذا هي اكرام الله الازلي ، الفائق الكمال ، القادر على كل شيء ، خالق الجميع ، ورب الكائنات . «فلنسبح رب تسبيحاً وزنماً نشيداً جديداً لإننا . إيهما رب ادوناً» ، اذك عظيم شهير بجبروتك ولا يقوى عليك احد . إياك فلتعبد خلائقتك باسرها لاذك انت قلت فكانوا . ارسلت روحك فخلقوها ، وليس من يقاوم كلتك »^(١) .

٢ انواعها . — تقوم فضيلة العبادة بافعال داخلية قابية ،

وبافعال علنية خارجية .

فالافعال الداخلية هي التي تتكون في القلب وتصدر عن القوى العقلية ؛ وهي اساس العبادة المسيحية . وقوامها اولاً فعل السجود للعزيمة الالهية القادرة الخالقة ، ثم فعل الشكر له تعالى لانه المحسن الجoward ، المعطوف على عباده ، الرؤوف عليهم

(١) چهودیت ١٦ : ٩٥ - ١٢

وعلى ضعفهم وفقرهم ؟ ثم فعل الاستغفار من رحمته على ما أَسأنا
بها اليه ؟ ثم فعل الطالب بالصلوة والابتهاى ، لانه هو الغنى
الكريم ، ونحن احوج ما نكون الى نعمه ومواهبه .

وهذه الافعال الداخلية التي بها نناجي خالقنا ، والمحسن
الينا ، الغفور لمعاصينا ، المصغي الى توسلاتنا وابتئـالاتنا ،
ونذكره بالسجود والشكر والاستغفار والصلوة ، لا يكفي
ان تبقى سرّاً مكتوماً في قلوبنا ، واما دفينةً في صدورنا ،
بل يجب ايضاً ان تبدو في افعالنا الخارجية ، وتتلاـأ في حياتنا
العلنية . وأجل فعل علني نكرم به العزة الالهية هو ذبيحة
القدس السامية . لأنها ذبيحة يسوع المسيح الاله المتأنس الذي
اخذ جسداً ك أجسادنا في احساء العذراء النقيـة ؛ ومات على
الصلـيب لكي يقدم لابيه الشهـاوي الاكرام الفائق عـنا ولاجلـنا ،
ولكي يفتديـنا ويـکفر عن خطـيانـا ويـقدـس نفـوسـنا ؛ وهو يـذبحـ
كل يوم على هـياـ كلـنا بـجـدـداً بـهـنـهـ الذـبـيـحةـ الـاـلهـيـةـ السـرـيـةـ ذـبـيـحةـ
الصلـيبـ الدـمـوـيـةـ .

فـذـبـيـحةـ الـقـدـاسـ الـاـلهـيـ هيـ اـجـلـ فعلـ سـجـودـ نـسـجـدـ بـهـ اللـهـ ،
لـانـناـ نـسـجـدـ معـ يـسـوعـ المـسـيـحـ لـعـزـةـ التـالـوـثـ الـاـلهـيـةـ الـقـادـرـةـ
المـبـدـعـةـ . وـهـيـ اـعـظـمـ فعلـ شـكـرـ نـقـدـمـهـ اللـهـ اـقـرـارـاً بـجـمـيـلـهـ عـلـيـنـاـ
واـحـسـانـهـ اليـنـاـ . وـهـيـ اـقـوىـ فعلـ استـغـفارـ نـرـجـوـ بـهـ تـجاـوزـهـ تـعـالـىـ

عن ذنوبنا ومعاصينا . وهي أكرم فعل صلاة وطلب نرفعه إلى عرشه الالهي في استمطار غيث مواهبه علينا . فالقدس الالهي هو خلاصة الديانة المسيحية بكل ما فيها من عظمة وجمال وروعة وكمال . وهو العبادة الوحيدة التي تأمرنا الكنيسة المقدسة بمارستها تحت طائلة الخطأ المميت أيام الأحاد والأعياد الكبرى الرئيسية .

ومن بعد القدس الالهي فإن عبادتنا لله تقوم بحضورنا الاحتفالات الكنسية ، والصلوات الطقسية ، والزيارات ، والأخويات ، وساعات السجود الحشووية ، والحفلات الرائعة التي تنظمها الكنيسة في بعض الأعياد السيدية أو التذكارات الخصوصية ؛ والطقوس البديعة في الميلاد ، والصوم الكبير ، وأسبوع الآلام ، والفصح الحميد ، والعنصرة ؛ وصلوات الغروب والاغربنية في ليالي الأعياد الكبرى ، وغير ذلك من الحفلات التي تعنى الكنيسة المقدسة بوضعيها وترتيبها وتنظيمها لتكون شعار عبادتنا لله في ثلوثه الأقدس ، وأكراماً للسيد المسيح في لاهوته ونأسوته ، واقراراً بما افاضه تعالى من نعم غزيرة سنوية على اصحابه وقديسيه . وهي في جمالها وروعتها وتنويعها وتنظيمها افضل باعث لنا على تعذرية فضيلة العبادة في حياتنا . وعبادتنا لله تقوم أيضاً بصلواتنا الفردية والعائلية ، وببعض

العادات التقوية الخصوصية ، نظير اجتماع العائلة كل مساء للصلوة امام بعض الايقونات المقدسة ، وتلاوة السبحة الوردية ، والاشتراك بالاعمال الروحية ، ان في البيت وان في الكنيسة ، في شهر آذار (مارس) اكراماً للقديس يوسف البطلول ، وفي شهر ايار (مايو) اكراماً للمعذراء مريم العجيدة ، وفي شهر حزيران (يونيو) اكراماً لقلب يسوع القدس ، وفي شهر آب (اغسطس) اكراماً للام البطلول ايضاً في طقسنا البيزنطي . وغير ذلك من العادات التقوية العجيدة كتقديم الزهور ، وحرق الجخور ، وتربين الكنائس ، وما الى ذلك من انواع العبادة والاكرام التي ترشدنا اليها محبتنا الله وشكرانا لا لائمه وطالينا لرحمته وحناته .

فيتضح مما تقدم ان فضيلة العبادة هي اجل الفضائل الادبية عملاً ، و اكراماً شاناً ، وارفعها مقاماً ، لانها تقربنا الى الله اكثر من غيرها ، وتنزج في كلها بفضيلة المحبة الالمية السامية .

البحث الثاني

في ضرورة فضيلة العبادة

ان ضرورة فضيلة العبادة تبدو جلياً اذا ما نظرنا الى من هو الله في طبيعته وسلطاته وكالاته، والى ما هي الخلية التي ابدها بتفضله ورحمته، وجعلها على الارض بشرأ وحيواناً ونباتاً وجاداً. ان للصانع ملء السلطان على ما صنعت يداه . فصنعيه هو ملكه ، وهو ينادي بقدرته واهليته وذوقه واستعداده ودرجة حذاقته . وللصانع ان يتصرف بمصنوعاته بكمال حرفيته ، فما زالت تخضع لارادته ، كما انها تنطق بصفاته ، وهي عنوان مجده وافتخاره . فحقوق الرسام لا تนาزع على رسومه ، والمصور على صوره ، والاديب على شعره وتأليفه ، والنجار والحداد والاسكافي والزاجع وسواعهم كل منهم على مصنوعاته ومزروعاته . ولذلك نرى في عالم الدنيا المتعدد ان الحكومات تحمي حقوق الناس في مؤلفاتهم واحترازاتهم ومصنوعاتهم ؛ وتقيم انواع المعارض الصناعية والزراعية ، واسواق الفنون الادبية ، لظهور مؤهلاتهم ؛ وتكافىء من يربز بين الصفوف منهم في علم ، او فن ، او صنعة ، او تجارة ، او زراعة ، اقراراً منها بفضله

وحقوقه على عمله .

فإذا كانت هكذا حقوق الصناع في الدنيا ، الذين رغم تعبيهم وجدهم وبراعتهم لا يقدرون مع ذلك ان يعملوا الا في مادة موجودة وقوة مخلوقة ، فيبدلون شكلها ، او يكترون كميتها ، او يثيرون فيها كوابن قوتها و فعلها ، الا انهم لا يدعونها ابداً ، اي انهم لا قدرة لهم على ايجاد شيء كان عدماً فاصبح موجوداً ، فإذا نقول في الصانع الاكبر وفي حقوقه على عمل يديه ؟ ذلك الذي قال للدنيا كوي فكانت ، وخرجت مسرعة من العدم الى الوجود وفي حضرته مئات ؟ الذي نثر الكواكب في الآفاق كانها مصابيح معلقة في كبد السماء ؟ الذي فجر عيون المياه من الاودية والجبال ، وساق الانهار في الفيافي والامصار كأنها قطعان من الاغنام ؟ الذي مد على الارض البخار ، وفصل ما بين الليل والنهار ؟ الذي ارسى النسور والبلابل في الفضاء ، والسبع والثمان في كل الارجاء ، وابدع من كل فن كل عظمة وكل جمال وكل بهاء . «اللابس النور مثل الثوب ، الباسط السماء مثل الخيمة »^(١) . ان السماء تتنطق بمحده وفلكه يخبر بامال يديه . ان الدنيا هي له بمالها وكنوزها وجمالها وروعتها . وهي تبدي عظمته وقدرته وحكمته وعنایته : «ما اعظم اعمالك يا رب

لقد صنعت جمِيعها بالحكمة^(١) . فجمِيعها يعظِّمه ، وصفاتها تشني عليه ، والحانها تسِّحه ، وهناؤها يشَّكره على عطفه وحناؤه ، واصواتها تتصاعد اليه اناه الدليل واطراف النهار ، مسبحة مهللة مباركة مرغة بتغريد الاطياف ، ونغمات الانوار ، وعرف الازهار ، وخفيف الاشجار ، ولمعان الانوار ، وهدير البحار . فالدنيا كلها سماوتها وماؤها ونباتها وحيوانها ليست سوى نغمة تسبيح واحدة دائمة ابدية تشني على بارثها ومبدعها .

الا ان الله جعل لهذه الدنيا ملكاً يسودها . ابده من تراها ؛ ولكنه نفع فيه نفساً حية عاقلة يعرفه بها ويعرفها . ومنحه الفم والارادة والعقل والحرية ليعرفه ويتفهم ايجاءاته ووصياته ، ويذهب اليه بكل رضاه . ثم سلمه السلطان على الدنيا ، على ان لا ينعم بها فحسب ، بل يقودها اليه تعالى ، ويقود نفسه معها . فاذا كانت الدنيا بعظمتها تذيع بعظمتها خالقها ، وبنظامها تبني عن حكمته ، ونجير ايتها تظهر غواه ورحمته ، افلا يكُون الانسان ، وهو الدنيا الصغيرة البديعة الرائعة العاقلة ، افلا يكُون هو الكارة الاولى التي تسُبِّح خالقها بفهم ومعرفه ورضي ومحبة . افلا يكُون هو حبر الدنيا التي لا تعقل ، فيسبح عنها ويُسجد باستهها ، ويشكر عنده وعنها ، ويدفع بمراحم هذا الخالق بفمه وفيها .

ظالما العمل ينططق لذاته بجودة عامله ، فان الانسان بطبيعة حاله وجوده على الارض ينططق بقدرة الباري وحكمته وعذائبه . الا ان الحق يقضي بان هذا الانسان العاقل يسبح ربه ويعبده عن رضى ومحبة ، فعبادة الانسان لله صانعه ومبدعه هي اذاً حتماً واجبة . هي واجبة عنه وعن سائر الدنيا التي لا تعقل . ان الله سلمها الى ادارته وسلطانه ومنفعته واستعماله ، ووكل اليه ان يتكلم عنها ، وان يقدم له تعالى واجبات العبادة باسمه واسمها . لذلك يقول المرقل^(١) :

«سبحو رب من السموات . سبحوه في الاعالي . سبحيه ايتها الشمس والقمر . سبحيه يا جميع الكواكب والنور . سبجيئه يا سماء السموات ، والماء الذي اعلى فوق السموات . فلتسبح لاسم رب . لانه هو قال فكانت ، وهو امر فخلقت . سبحي رب من الارض ايتها التنانين وجميع اللاحج ، النار والبرد ، الثلج والجليد ، المرياح العاصفة الصافية كلية ، الجبال وجميع التلال ، الخشب المشمر وسائر الارز ، الوحوش وكل البهائم ، الدبابات والطيور المجنحة . ملوك الارض وكل الشعوب ، الرؤساء وكل قضاة الارض ، الاحداث والعذارى ، الشيوخ مع الشباب فليس بسبحوا اسم رب » .

* * *

فإذا كان فرض العبادة هو من حقوق الله على الإنسان ، فهو بالآخر كثيراً من حقوقه تعالى على الكهنة الذين اختارهم من بين أخوتهم ، ودعاهم إلى خدمته ، وكلفهم أن يمثلوا البشرية بين يديه وأمام عرشه . فالكاهن هو الذي يقدم ذبيحة القدس الالهية للعزوة الواحدة المثلثة الأقانيم الصمدانية ؟ يقدمها عنه ، وعن البشرية ، وعن الدنيا باسرها ، عبادة سجود فائق ، وشكر سام ، واستغفار كامل ، ودعاء شامل . هو الذي اقيم « ليبارك رب في كل وقت ، وفي كل ساعة يسبحه »^(١) . فالكاهن هو الوسيط المقبول بين الله والناس . فالعبادة اذا هي من كبرى واجباته ، بل هي من اختصاص دعوه ووظيفته وحياته . « فان كل حبر متخد من الناس يقام لاجل الناس فيما هو لله ليقرب تقادم وذبائح عن الخطايا ... لأن الله قد دعاه حبراً على رتبة ملك بصادق »^(٢) . لذلك يترتب على الكاهن أن يقدم الذبيحة الالهية ، ويبلغ صلوات الفرض الالهي ، بكل ما أوتي من فطنة وانتباه وعاطفة وتواضع ، ليقوم قياماً لائفاً بتمثيل الدنيا كلها أمام خالقها ومبدعها ، ويقدم جلاله السامي بجيبل العبادة عنه وعنها .

(١) مزمور ٣٣ : ١ و ٥ : (٢) عبرانيين ٥ :

البحث الثالث

في كيفية القيام بعبادة الله

تقوم عبادة الله بفعال التقوى الحقيقة . فالتفوى هي حالة نفسية تجدها دوماً مستعدين للقيام بكل ما هو اكرام الله وخدمته . فهي الطريقة العملية التي نعبر بها عن محبتنا لله خالقنا وسيد وجودنا ، والناس يقومون بمارستها على انواع مختلفة ، كل منهم على مقدار درجة الكمال التي وصل اليها .

فالمبتدئون يكرمون الله ويعبدونه اولاً بحفظهم وصاياه ووصايا كنيسته ؛ وبتقديسهم ايام الاحد والاعياد ؛ ليس بحضور القدس فحسب ؛ بل بشتى الافعال التقوية والخيرية ؛ وبابتعادهم عن الملاهي الخطرة ؛ وبصيانتهم من الطيش المسبب للخطيئة ؛ وبخدرهم من الكسل الذي يبعد عن العمل ؛ وبترويض نفوسهم على عادة استحضار الله في بده اشغالهم واعمالهم .

اما المتقدمون منهم في الكمال فيقومون بما ذكرناه اعلاه من الاعمال ولكن بعاطفة «روح العبادة» . وروح العبادة هذا معناه اكرام العزة الالهية بعاطفة التوقير والمحبة معاً . فالتجویر هو مزيل من الاحتراض والرهبة ، ان الله هو خالقنا وسيدنا والهنا ؛

وهو رب الدنيا باسرها ؟ فعبادتنا له يجب ان تكون بخشوع واحترام وارتياح الى ما له من السلطان علينا ، ومن التحكم في مقدرات حياتنا . اما المحبة فهي عاطفة الابن الودود نحو اب رحيم حنون . وهكذا يكون الاكرام قلبياً عاطفياً مملوءاً ثقة بنوية . فهو يسر بمحبتنا له ، وتعلقنا به ، وثقتنا بمحنانه ورحمته ؛ ويعطف على ضعفنا ووضاعتنا ؛ فيتقبل اكرامنا برضى ، ويجد علينا بالبركات والنعم .

وروح العبادة هذا يتکامل بالتعبد لقلب يسوع القدس ؛ لأنه هو ينبوع العبادة ، والمثل الاعلى لا كرام الالوهة . فنه نتعلم كيف نعبد الله المثلث الاقايم بمحبة وخشوع وثبات وطمأنينة ، واثقين بمحبه لنا ، وارتياحه الى اكرامنا له ؛ وبه فتقديم بفرح من عرش النعمة لتنازل حقيقة التبني « الذي ندعوه به ابا ايها الآب » ^(١) .

اما الكاملون من المسيحيين فانهم يمارسون افعال العبادة بروح « موهبة العبادة » التي يفيضها الروح القدس في قلوبهم ، فيستهلكون انواع العبادة ، ويكتثرون من ممارستها ، ويستلذونها . فهم دائم التيقظ للقيام بكل ما هو اكرام لله . ثباتهم لا يتزعزع ، وعاطفهم عميقه ، ومحبتهם عاقلة نيرة فعاله . فلا تستغلوهم

التعزيات الحسية، ولا اضطرام العواطف القلبية، فسيان عندهم حضرت او غابت. ولا تدفعهم الى عبادتهم هباتٌ وقديمة، او رغبات ائانية؟ لأن محبتهم هي صادقة، صحيحة، ثابتة، تتجلى بالافعال، وحسن القيام بالواجبات، ثارت فيهم العاطفة او نامت؟ فإنهم لا يعبأون بذلك. بل يثابرون على تقواهم وعبادتهم في الشدة والرخاء على السواء؛ في اليبوسة الروحية كما في التعزيات القلبية؛ في ايام السقم والمرض كما في زمان الصحة والعافية؛ في اوقات العسر كما في ساعات اليسر؛ في الافراح والاحزان؛ في سعة العيش كما في حالة الفاقة. فلا تثنى عزائمهم صروف الدهر، كما لا تشير ايضاً همهم الافراح او انواع التوفيقات مدى العمر. لأن تقواهم مؤسسة على اعتقاد راسخ عميق في ما لله من حقوق عليهم، وما له من فضل عظيم لذيهم. فهم يسادعون الى عبادته وخدمته بداعِ الواجب والمحبة، وليس حسب الوقت والهوى، واقبال الدنيا وادبارها.

والكاملون من المسيحيين يكرمون ايضاً بتقوى وعبادة كل ماله علاقة بالله، محبةً لله. فالبتول مريم لها لذيهم المقام الرفيع الاول لأنها ابنة الآب، وام ابنه، وعروض الروح القدس؛ ولأنها شريكة يسوع في افتداء البشر؛ ولأن يسوع وهو على الصليب اقامها اماماً للدنيا؛ ولأنها البنبرع الصافي الذي

منه تتدفق موهبـ العـلي عـلـي الـبـشـرـية . ويؤدون للـمـلاـئـكـة ولـالـقـدـيسـين واجـبـ الـعـبـادـة الصـادـقة لـكـوـنـهـ اـصـفـيـاـهـ اللهـ . اـمـاـ الـكـتـابـ المـقـدـسـ فهوـ لـهـمـ مـوـضـوـعـ اـحـتـرـامـ وـاجـلـالـ ، لـانـ فـيـهـ يـقـرـأـونـ بـاـمـعـانـ عـمـيقـ كـلـامـ اللهـ ، وـيـلـمـسـونـ فـيـهـ حـكـمـةـ اللهـ . وـهـمـ يـحـيـطـوـنـ الـكـنـيـسـةـ الـمـقـدـسـةـ اـيـضـاـ ، وـرـأـسـهاـ الـمـنـظـورـ الـجـبـرـ الـاعـظـمـ ، وـاسـاقـفـتـهاـ وـكـوـنـتـهاـ وـسـازـرـ خـدـامـهاـ بـكـلـ مـظـاهـرـ الـاـكـرـامـ وـالـاعـتـبارـ ، لـانـهـمـ رـسـلـ اللهـ ، وـخـدـامـ اـسـرـارـ السـيـدـ الـمـسـيـحـ عـلـى الـأـرـضـ . «مـنـ سـعـ منـكـمـ فـقـدـ سـمـعـ مـنـيـ» ^(١) .

وانـ هـذـهـ التـقـوـىـ الـمـسـيـحـيـةـ الـعـمـيقـةـ عـنـدـمـاـ تـأـصـلـ فـيـ القـلـوبـ تصـيـرـهـاـ لـيـتـهـ ، وـتـقـيـضـ فـيـهـاـ عـوـاطـفـ الشـفـقـةـ وـالـحـنـانـ فـيـ معـاملـةـ النـاسـ ، وـلـاـسـيـماـ مـنـ كـانـ مـنـهـمـ فـظـاـ قـاسـيـاـ ، اوـ بـلـيـدـاـ خـامـلـاـ ، اوـ اـنـانـيـاـ طـمـاعـاـ ، فـتـعـاـمـلـهـمـ بـالـصـبـرـ وـطـوـلـ الـانـاـةـ ؛ وـتـصـبـرـ عـلـىـ نـقـائـصـهـمـ ؛ وـتـغـذرـ هـفـوـاتـهـمـ ؛ وـتـغـضـبـ الـطـرـفـ عـنـ قـلـةـ اـدـبـهـمـ وـجـيـلـهـمـ ، لـانـهـ تـعـالـىـ هـوـ اـيـضـاـ شـفـيـقـ رـحـيمـ : «اـمـاـ اـنـاـ فـاقـولـ لـكـمـ اـحـبـواـ اـعـدـاءـكـمـ ، وـاحـسـنـواـ الـىـ مـنـ يـبغـضـكـمـ ، وـصـلـوـاـ مـنـ اـجـلـ مـنـ يـعـنـتـكـمـ وـيـضـطـهـدـكـمـ لـتـكـوـنـواـ بـنـيـ اـبـيـكـمـ الـذـيـ فـيـ السـمـاـوـاتـ ، لـانـهـ يـطـلـعـ شـمـسـهـ عـلـىـ الـاـشـرـارـ وـالـصـالـحـينـ وـيـطـرـ عـلـىـ الـاـبـرـارـ وـالـظـالـمـينـ» ^(٢) .

ولكي نكن انفسنا من «موهبة التقوى» هذه علينا ان نطلبها باللحاح من الروح القدس بالصلوة كل يوم ، وان نبقى دوماً متذمرين لكي نطبع اعمالنا كلها بطابع المحبة ، فنفعها محبة الله ، فتصبح حياتنا كلها صلاة وعبادة وتقوى واجوراً ساوية . «واما التقوى فتنفع في كل شيء»^(١) . وايضاً «فإذا أكلتم او شربتم او عملتم شيئاً فاعملوا كل شيء لجلد الله»^(٢) .

حوادث تاريخية

الاسكافيان

جا في حياة القديس يوحنا الرحيم انه كان في مدينة الاسكندرية اسكافيان . فكان الواحد كثير الشغل ، كثير الزبائن ، وبيته يغص بالخدمات رغم عائقه الكثيرة العدد . وكان الثاني قليل العمل ، قليل اهال ، وبيته دائمًا في عوز ، رغم انه كان قليل الولد .

فشكى الثاني الى الاول حاله وهو يتجرس ويتأسف ويتهم العذائية الالمية بالقصدير في النظر اليه رغم مهارته . فقال له زميله تعال الي يا اخي صباح الاحد القادم فأريك سر نجاحي .

(١) ١ نيسان ٣١ : ٧ : ١ كور ١٠ : ٢

وكان هذا الاسكافي متبعداً لله، مواطباً على حضور القدس يوم الاحد، وعلى التفوغ في ذلك اليوم المبارك لعبادة الله مع جميع افراد عائلته . اما الثاني فكان يعتمد فقط على قوة ساعديه ، وعلى دأبه على عمله . فلا ييز بين ايام الالحاد و ايام الاسبوع ؟ ويشتغل بلا انقطاع متناسياً ان الله عليه حقوقاً ، وان النجاح هو ثمرة بركة العمل .

فلما كان صباح الاحد جاء الاسكافي الثاني الى الاول ليり ما هو سر نجاحه . فاخذه الى الكنيسة و معه جمهور افراد عائلته وقال له : يا اخي اسمع القدس كما افعل انا و اولادي ، وصل و ابتهل الى رب ان يوفقك في شغلك و عملك ، و تابر هكذا على خدمته و عبادته ، فتتجه . وهكذا كان . فنرجع هذا الثاني في حياته وفي بيته .

ستانسلاس ملك بولونيا

كان ستانسلاس ملك بولونيا قد كتب بخط يده هذه المقاصد ، قال :

« كل يوم صباحاً أنظر بامعان فيما ينبغي لي ان اعمله في يومي . فأفسر في كيفية عمله ، وعلى الاكثر فيما يجب ان ابتعد عنه » .

« وعند المساء أجيئوا امام الله وأطلب اليه تعالى ما يلزمني من الانوار لارى بجلاء زلالي . ثم افحص ضميري لا عرف ما ارتكت من الخطأ فأسأله تعالى ان يصفح عنني ، واعاهده الا اعود الى ما سبق من الاساءة اليه مني » .

الفصل الرابع

في فضيلة الطاعة

ان فضيلة الطاعة هي فرع من فضيلة العدل لانها فعل خضوع واجب لحقوق السلطة الشرعية . الا انها تتميز عنها لأن الرئيس والمرؤوس غير متساوين في وضعها ليكون العدل هو المتحكم في الحقوق والواجبات بينهما .

البحث الاول

في طبيعة فضيلة الطاعة

الطاعة هي فضيلة ادبية مسيحية فائقة الطبيعة تحملنا على اخضاع ارادتنا لرؤسائنا الشرعيين لكونهم سفراء الله لدينا . فرائد الطاعة هو رائد سائر الفضائل الادبية المسيحية ، اعني به الله تعالى . لأن الطاعة البشرية الطبيعية التي هي خالية من ذكر الله ، ومن ارتقاء وجه الله ، ولا هدف لها سوي الخير الزمني الناتج عن الخضوع للسلطة القائمة ، طمعاً في مال او جاه مثلاً ، او خوفاً من عقاب ، او سعيأً وراء مغامن ومكاسب فهي ليست فضيلة الطاعة المسيحية . لأن هذه تنظر الى ما الله من سلطان علينا ،

والى ما يتوجب على كل منا افراداً وجماعات من الانقياد الى ارادته وتدبيره واحكامه، فتخضع له على الارض، ومن اجله تخضع للرئاسة الشرعية التي تقبله وتقوم لدينا مقامه.

لا شك في ان خضوعنا لله يجب ان يكون في مقدمة اعمالنا وحياتنا. لانه تعالى هو خالقنا وحافظنا ومدبرنا، ولا كيان لنا الا به، ولا عمل لنا الا بمساعدته وسماحته. ان الخلائق كلها لا تحيا الا به، ولا تعمل الا بارادته وامرها. وصاحب المزامير يقول : «لان الكل عبيد لك»^(١). فلا بد اذا ان تكون الخلائق العاقلة الناطقة في طبيعة العاملين باوامرها تعالى، الخاضعين لارادتها، وذلك عن ادراك وفهم ورضي.

ولكن فوق كوننا خليقة وصنعة يديه وعبيداً له فاننا ايضاً لا بل بالاكثر، ابناءه ؟ تبنانا بال المسيح يسوع بفضل منه. فوجب علينا اذاً ان نخضع له خضوع الابناء البررة للوالدين الحبيبين. هكذا عاش المسيح على الارض : «وصار يطيع حتى الموت موت الصليب»^(٢). وهكذا ينبغي لنا ان نسير على اثره.

ثم ان المسيح تجسّد وصلب لاجانا وافتداانا، فاصبحنا ملكه ورعيته وخاصته، ووجبت علينا في كل امر اطاعته : «لانكم قد اشتريتم بثمن كريم»^(٣).

(١) مزبور ١١٨ : ٩١ (٢) فيلبي ٨ : ٢ (٣) أكور ٦ :

ولكن كيف نطيع الله ياترى ، وكيف نعمل بأوامره ؟
 ان ذلك لا يتم لنا الا بطاعتنا لمثليه الشرعيين على الارض ،
 لأنهم نوابه وسفراؤه لدينا ، يتکلمون باسمه ، وينطقون بكلماته .
 هذا هو المبدأ الأول الاعلى في الطاعة المسيحية .

ان الله خلق الانسان اجتماعياً ، اعني انه جعله يحتاج بطبيعته ،
 في مختلف مناحي حياته الجسدية والادبية والروحية ، الى مساعدة
 غيره . فنشأ عن هذا الضعف الفردي حاجة الانسان الى المجتمع
 العمومي ، فيتم هذا ما ينقص ذاك في شتى ضرورياته . فاذا
 كان لا بد من وجود المجتمع لحياة الفرد ، كان ايضاً لا بد لهذا
 المجتمع لكي يؤدي رسالته من سلطة تسهر على ادارته ، وتنظم
 شؤونه ، وتوجه قواه لتوصله الى الغرض المطلوب من مصلحة
 الفرد وخدمته . ولما كان وجود هذا المجتمع من وضع الله
 كانت السلطة ايضاً التي لا بد له منها لاجل كيانه وعمله ، من
 وضع الله وتديره . لذلك قال الرسول : « لا سلطان الا من
 الله » ^(١) . وزاد الرسول على هذا ايضاً وقال على سبيل الاستنتاج
 الطبيعي المنطقي : « فمن اطاع السلطة فقد اطاع الله » ، ومن
 انكرها انكر الله . فمن يقاوم السلطان فانما يعاني ترتيب الله ^(٢) .
 فالتعليم صريح لا يحتاج الى ايضاح .

(١) رومية ١٣ : ١ :

(٢) رومية ١٣ : ٢

لأجل ذلك يترقب على الرئيس ان لا يستعمل سلطانه إلا باسم الله ، طبقاً لارادته تعالى واوامره ونواهيه ، لا لخدمة نفسه ونفوذه ومطامعه ، بل لخدمة المجتمع الذي اقامه الله على ادارة شؤونه وشؤون افراده . ويترقب ايضاً على هؤلاء الافراد ان يخضعوا لهذا الرئيس خصوصهم للرب ، باحترام وتوقير ومحبة ورضى : « من سمع منكم فقد سمع مني » ^(١) ، كما قال رب . وقال الرسول ايضاً : « ونلتمنس منكم أيها الاخوة ان تعتبروا الذين يتبعون بينكم ويرئسونكم في الرب ويعظونكم ، وان تحبواهم غاية المحبة من اجل عمامتهم » ^(٢) .

* * -

ولكن من هو الرئيس الشرعي يا ترى ، والى اين تصل قوة سلطانه ؟

الرئيس الشرعي هو كل رئيس اقامه الله على ادارة الجماعات المنظمة في الدنيا . وهذه الجماعات كثيرة بين الامم لا يحصرها عدد وليس لأنواعها حد . وهي تختلف باختلاف غاياتها ونظمها وترتيبها وتأليفها . فلا بد لكل منها من رئيس يسوسها ، ويدبر شؤونها ، ويوحد صفوفها ، ويوجه قواها ، لتصل الى مراميها . فنها الجماعة الصغيرة العائلية التي يرئسها الاب او من يقوم مقامه . ومنها

(١) لوقا ١٠ : ١٦ (٢) اتسالونيكي ٥ : ١٣ و ١٤

الجامعات الكبرى الدولية التي يشرف على شتى شؤونها رجال الحكومة، حسب طريقة دستور كل امة وكل مملكة. ومنها الجامعة الكبرى الروحية، اعني بها الكنيسة الكاثوليكية التي يرئسها الحبر الروماني بابا روما الكلي الطوبي، ومساعده من الأساقفة كل في ابرشياته، ومن الكهنة كل في منطقته وكنسيته. ويدخل تحت لواء هذه الجامعة العظمى الكنيسية جامعات متعددة للرهبان وللراهبات وللمدرسات والمعلمات من كل صنف ونوع ولون. والرؤسas في كل منها درجات متعددة متتابعة متassكة يكمل بعضها بعضاً وينخضع ايضاً بعضها البعض، حتى تصل الى رئيسها العام الاكبر، ومنه الى سيدنا البابا الحبر الروماني، ومنه الى السيد المسيح رئيس الكنيسة الغير المنظور. فكل من كان عضواً في مجتمع كهذا وجبت عليه الطاعة لرئيس ذلك المجتمع، والا اختل النظام وسادت الفوضى. فلأكم جر العصيان من الدمار على الهيئات والمؤسسات والحكومات والرهبانيات، وكم حزن الكنيسة وانماز عليها المطرقات، وكم كان السبب في نشوب الحروب وتعدد الولايات.

ولكن الى اين تصل حدود سلطة الرؤسas يا ترى؟ هل من قوة ادبية مشروعة تقف في وجهها، ام يسوغ لها ان تكون مطلقة العنوان، تسير على هواها في كل زمان ومكان؟

ان لكل سلطان في الدنيا حدّاً يجب عليه ان يقف عنده . وهذا الحد يضعه القانون الذي ينظم علاقة الرئيس بالمرؤوس ، ومقدار سلطته عليه ؟ وهذا القانون يبين ما الكل من الرئيس والمرؤوس من حقوق وواجبات له وعليه . الا ان المبدأ الاعلى الذي يجب ان يسود حقوق كل الرئاسات في الدنيا ، وواجبات كل المرؤوسين فيها ، يقوم على هذا الاساس : وهو انه لا يحق لسلطة اية كانت ان تأمر بما تنهى عنه شرائع الله والكنيسة ، او ان تنهى عمما تأمر به حتماً شرائع الله والكنيسة . واذا فعلت يكون فعلها تجاوزاً لحقوقها ، واستبداداً منها ، وجوراً واعتسافاً ؛ ولا يجوز للمرؤوس اذ ذاك ان يسمع لها ولا أن يأثر بامرها . ولقد بقيت كلمة القديس بطرس أمام محفل اليهود الأكبر دستور النصرانية ، وشعار الحريات المسيحية . لأنهم لما أمروه بتهديد ووعيد ان يُقلع عن التبشير باسم رب يسوع اجاب بكل ثبات وجرأة : « ان الله احق من الناس بان يطاع » ^(١) . وهذا ما حدا بالملايين من المسيحيين في كل زمان ومكان على بذل نفوسهم رخيصة في سبيل تسليمه شرائع إلههم وكنيستهم ؛ فاقدموا على الاستشهاد ، ايام الاضطهاد ، دفاعاً عن اوامر الله ، ضد اوامر الظلم والاستبداد .

ولا إلزام بالطاعة اذا كان الامر مستحيلاً، لأن الحال لا يلزم أحداً. والشرع البشري تعدد قوتها عند عدم المقدرة على القيام بها. فينبع عن ذلك ان المريض الذي لا يمكنه الذهاب الى الكنيسة، معدور في تخلفه عن حضور القدس أيام الآحاد والاعياد؛ وأنه يستثنى من شريعة الصوم من لا يمكنه القيام به لأسباب مشروعة كالمرض والعملة والجهاز والمرضى؛ وان الفقير المعدم يعفى من أعباء الرسوم والضرائب الخ. وقس على هذا ما يشبهه، لأن الله إله رحمة، وليس إله شدة ونفقة.

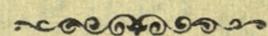
كذلك لا إلزام بالطاعة للرئيس عندما يتتجاوز حدود سلطته. هكذا مثلاً، اذا اعترض والد الدعوة ابنه بعد ان تعمّن هذا في درسه، او إذا أمر رئيس رهباني بما لا تسمح به القوانين والأنظمة المقررة في رهبنته.

ولكن بما اننا عرضة لأوهام كثيرة، ففي وقت الشك يجب الافتراض ان الحق بجانب الشريعة او الرئيس.

* * *

بعدما تقدم يتناول بحثنا الكلام عن درجات الطاعة وانواعها وحال خصاتها، وجليل منافعها. الا اننا نحصر البحث على الاكثر في فضيلة الطاعة المسيحية للرؤسات الدينية وللسلطات

الكنسية والروحية؛ تاركين الكلام عما سواها للبحوث الكبرى
الأدبية في الجدلات اللاهوتية والكتب الاجتماعية.



البحث الثاني

في درجات الطاعة المسيحية

ان اولى درجات الطاعة المسيحية تقوم بحفظ وصايا الله،
وصايا الكنيسة، وباقام الاوامر الصادرة اليها من الرؤساء
الشرعيين، اقل ما يكُون اقاماً فعلياً في الظاهر، ان لم نوافق
عليه ايضاً في الباطن؛ وذلك اكراماً لله تعالى، وخصوصاً لسلطانه
 علينا، وعملاً باوامره الصادرة اليها من رؤسائنا. الا ان عدم
 موافقتنا بهذه لوجهة نظر رؤسائنا لدى اقامتنا اوامرهم ليس
 معناها خروجنا عليهم، وتذمرنا من ادارتهم، والا فلا يكون
 خصوعنا فضيلة، بل شرآ ونقيصة. اما معناها تمسكنا بصوابية
 رأينا ضد رأيهم، رغم خصوتنا لادارتهم وتدبرهم.

اما الدرجة الثانية، وهي تفضل الاولى بكثير، فإنها تقوم
 بخصوصنا لاوامر رؤسائنا ليس في الظاهر فقط، ولكن في الباطن
 ايضاً. فنعمل باوامرهم بقبول ورضي، دون ان نبحث في

صوابيتها او نعترض عليها . ولكي نجمل طاعتنا فضيلة مسيحية حقة نتطلع الى يسوع في حياته كيف كان خاضعاً لابيه السماوي ، وللقديس يوسف حارسه ، وللبطل امه ، فتشبه به . بالطاعة عاش المسيح فقيراً ، وعاملأ خاملاً ، ورسولاً معدماً ؛ بالطاعة طاف في المدن والقرى والمزارع والحقول يبشر المساكين ، ويشفى المرضى ، ويؤاسي منكسرى القلوب . بالطاعة عرق دماً في بستان الزيتون ، قبل ان سفك دمه لاجل البشر ، حتى آخر نقطة ، ومات على خشبة الصليب الكريم . نعم هكذا عاش يسوع عيشة الطاعة والخضوع ، وهكذا يريدنا على مثاله ، طائرين اكراماً له وتشبيهاً به .

وتتجلى هذه الطاعة المسيحية بظاهر شتى في الحياة العملية .

فهي لا تعارض الرئيس في عمله ، ولا تعترض على طريقة تدبيره . ولا تتوارى امام ارادته ، ولا تبرم من احكامه ، ولا توارب في تنفيذ اوامره ، ولا تسعى لتحمله على ما هي تزيد في تنظيم خططه ؛ بل تتناول الامر وتسارع الى العمل به بلا تردد ، ولا تذمر ، ولا تسويق ، ولا موادبة ، ولا تألف ، ولا تقبيل ؛ بل برضى وقبول وارتياح وسرور . ولقد قال القديس برنودس في ذلك : « اذا اشتهرت امراً ، وسعيت في سرك او في علانيتك الى جمل مرشدك على ان يأمرك بالقيام به ، فلا تتوجه بازلك قد

اطعته ، بل لقد خدعت نفسك بما استتصدرته من اوامره . لانك تكون قد حملته على الخضوع لرغائبك انت وليس لارادته » .

اما الدرجة الثالثة في فضيلة الطاعة المسيحية فهي من شأن الكاملين . وهي تقوم بانهم لا يكتفون بالاسراع في تنفيذ الاوامر الصادرة اليهم من رؤسائهم ، والى اخضاع ارادتهم ايضاً لارادتهم ، اكراماً لله وتشبيهاً بالسيد المسيح معلمهم ومثالهم ، بل انهم يخضعون ايضاً رأيهم لرأي رئيسهم ، فيتجردون من وجهة نظرهم ، ويضحيون بطريقة ادراكهم للامور وبنوع ميولهم الى تدبيرها ، ليغتنقوا خطة رئيسهم بلا قيد ، ولا شرط ، ولا فحص ، ولا تمحيق ؛ بل يعملون على اقتناع ذاتهم بانها هي الخطة المثلثة في الرأي والتدبير .

اما اذا دعوا الى ابداً رأيهم ، او كان لهم حق في ذلك ، او كانت واجبات وظيفتهم تقضي به ، فمن الحكمة ان لا يتواونوا في استعمال ذلك الحق لانه يصبح واجباً وعملاً مفيداً .

ولقد قال المعلم الروحي الكبير القديس اغناطيوس منشي ، الرهانية اليسوعية : « اذا ما رغب احد في تضحيه ذاته على النوع الاكم وجوب عليه » بعد ان يكون قد ضحى في سبيل الله ارادته ، ان يضحّي ايضاً في سبيله تعالى عقله وادراكه وطريقة فهمه ثم يبين القديس اغناطيوس كيف يريد الراهب

الكامل ليس ما يريده رئيسه فحسب ، بل يصير مع رئيسه شعوراً واحداً ، وفكراً واحداً ؛ وينخضع لوجهة نظر رئيسه وجهة نظره بتدر ما يمكن الارادة التي خضعت ان تحمل معها العقل ايضاً على الخضوع . ان العقل معرض للخطأ ، وكذاك الارادة ايضاً . فكما تخضع ارادتنا لارادة رئيسنا صوناً لها من ان تضل الطريق ، هكذا يكون ايضاً من شأن عقلنا . ويردف القديس أغناطيوس بقوله : « حذراً من وقوع رأينا في الضلال نعتقد رأيَ رئيسنا ». ثم قال : « اذا ما خالج فكرك رأيٌ مخالف لرأيِ رئيسك ، فابتهمت بالصلة الى الرب يسوع » وبعد الابتهاج رأيت انه يسوغ لك ان تفاته بذلك ، فلا بأس عليك . ولكن ينبغي لك قبل مباحثته بهذا وبعدها ايضاً ان تثبت هادي البال ، مستسلم الارادة ، مستعداً ليس لاقام امر رئيسك فحسب ، وان خالف بذلك وجهة نظرك ، بل ان تعتقد ان ما يقرره هو الافضل والاصوب . لأن مشاعرك واميالك قد تضليلك » .

وهذا ما يسميه المعلمون الروحيون « الطاعة العمياً » التي تضع الانسان بين يدي رئيسه كأنه « جثة هامدة » ، لا عمل لها خاصاً بها ، ولا رأي لها في امر من امورها ؛ بل الرأي والتفكير والتدبر للرئيس ، والخضوع والعمل والتنفيذ على الراهب التابع له . ولكن ليس معنى هذا ان الانسان يتجرد عن عقله وارادته

و شخصيتها ب بحيث انه يصبح آلة صماء لا فهم لها ولا ادراك . والا
لما بقي له شيء من شرف الطاعة واجورها . بل يبقى بالآخر
متمتعاً بكامل قواه العقلية ويعمل بها ؛ انا يخضعها ، اكراماً لله ،
لارادة وتدبر وفهم وحكمة رئيسه . وبهذا يسمى في فضيلة
الطاعة ، ويحسب له الله ذلك فضيلة وفضلاً .

البحث الثالث

في صفات الطاعة المسيحية

ان الطاعة المسيحية لكي تكون حقاً فضيلة سامية يجب ان تتحلى
بصفات ثلاثة : ان تكون في غايتها سماوية ، اعني فائقة الطبيعة ،
وفي عملها شاملة ، وفي طريقتها كاملة .

اما الطاعة السماوية فهي التي ترى في شخص الرئيس صورة
الله وشخص السيد المسيح الذي هو ينبع كل سلطان ومنه كل
رئاسة . فتخضع له خضوعها لله ولاجل اكرامه تعالى ومحبته .
وهذه النظرية تسهل لها المصاعب ، وتذليل العقبات ، لا بل تجعل
مشقة الطاعة عذبة مستحبة . لانه لا احد يأنف من الخضوع

للله ؟ والطاعة اساسها ان السلطان هو الله ، وان الرئاسات تصدر منه ، وان مرجع الطاعة اليه ، لأن الرئيس يمثله :
 « ايها البنون اطيعوا والديكم في الرب فإن هذا هو العدل » ^(١) .

« ايها العبيد اطيعوا ساداتكم الجسديين ... كطاعتكم لل المسيح . لا بخدمة العين كمن يرضي الناس بل كعبيد المسيح عاملين بشيئه الله من قلوبكم خادمين بنية صالحة كخدمة لكم للرب لا للناس » ^(٢) .

ولقد كتب القديس اغناطيوس الى رهبانه اليسوعيين في البروتقال رسالة شائقه في فضيلة الطاعة بقيت الى يومنا هذا دستور الرهبانية اليسوعية وشعار مجدها وقوتها . ولقد جاء فيها :
 « ان رغبة قلبي هي في ان تحرصوا بكل دقة ونشاط على ان تروا سيدنا يسوع المسيح في كل رئيس من رؤسائكم ، وان تقدموا في شخصه بكل اجلال واحترام ما يجب عليكم للعزيمة من الاعتبار والاكرام ... فلا ينظر رهباننا الى شخص الرئيس الذي يخضعون له ، بل الى السيد المسيح متجلياً فيه ؛ ولتكن هذا الرب يسوع غاية سعيهم وطاعتهم . لاننا اذا ما خضعنا للرئيس فإن خضوعنا له يجب ان يكون ليس لاجل

فقطنته ، او كماله ، او لاجل اي صفة اخرى من الصفات التي ربها
جعلها الله فيه ، ولكن للسبب الاوحد انه نائب الله لدينا ، وانه
قائم مقامه لا بلاغ او امره تعالى اليـنا . لذلك فلو بدرت منه قلة
فطنة ، او قلة دراية ، فلا يتحقق لنا ان نتوانـى في الانقياد لأـوامرـه ،
لـانـه ، لـكونـه رئـيسـا ، يـمثلـ ذـاكـ الـذـيـ هوـ الحـكـمـةـ الـاهـمـةـ المـتـزـهـةـ
عـنـ الغـلطـ ؛ وـهـذـاـ الـرـبـ جـدـيرـ بـاـنـ يـعـوـضـ عـمـاـ يـكـونـ قدـ نـقـصـ
فـيـ رـسـوـلـهـ وـنـائـبـهـ مـنـ فـضـيـلـةـ ، اوـ مـنـ مـزـيـةـ اـخـرـىـ مـنـ المـزاـيـاـ الـحـسـنـةـ
الـلاـزـمـةـ لـهـ » .

تعليم سام ، ومبادئ مسيحية قوية ، لا يمكن العقل السليم
ان يعترض عليها . لـانـهـ لوـ كـانـتـ طـاعـتـنـاـ رـئـيسـنـاـ هـيـ نـتـيـجـةـ صـفـاتـهـ
وـمـؤـهـلـاتـهـ فـلاـ يـكـونـ لـنـاـ اوـلـاـ فـضـلـ الطـاعـةـ . لـانـهـ لـاـ اـحـدـ يـأـنـفـ
مـنـ الـخـضـوـعـ لـمـنـ هـوـ اـرـفـعـ مـنـهـ مـنـزـلـةـ ، وـاـوـسـعـ خـبـرـةـ ، وـاـكـثـرـ
جـاـهـاـ ، وـاـقـدـرـ عـلـمـاـ ، وـابـرـعـ فـصـاحـةـ ، وـاـشـدـ شـيـكـيـمـةـ . ثـانـيـاـ لـاـ
يـكـنـ اـيـضـاـ اـنـ تـكـوـنـ طـاعـتـنـاـ ثـابـتـةـ ، بـلـ تـصـبـحـ مـتـقـلـلـةـ ، مـتـقـلـلـةـ ،
ذـاهـبـةـ مـعـ كـلـ رـيحـ ، تـابـعـةـ لـظـرـوفـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ وـالـشـخـاصـ .
وـبـهـذـاـ دـمـارـ الطـاعـةـ ، وـخـسـارـةـ فـوـانـدـهـاـ الجـلـيلـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ ،
وـحـرـمـانـ اـجـورـهـاـ الـأـبـدـيـةـ فـيـ السـمـاءـ . لـانـ مـنـ يـخـضـعـ لـلـنـاسـ يـمـغـيـ
ارـضـاءـ النـاسـ ، فـيـأـخـذـ اـجـرـهـ مـنـ النـاسـ .

لـذـكـ وـجـبـ اـنـ تـكـوـنـ الطـاعـةـ فـضـيـلـةـ سـماـوـيـةـ ، فـلاـ نـرـيدـ بـهـ

الاوجه الله ، والخضوع لا وامرها تعالى ، واكرام سلطانه ورحمته وحنانه . اما الرئيس فهو سفيره لدينا ، ورسوله ونائبه والسلط باسمه علينا .

والمزية الثانية التي يجب ان تتحلى بها الطاعة السامية هي ان تكون شاملة لـكل القوانين المفروضة علينا ، ولـكل الاوامر الصادرة اليـنا من رؤسائـنا . فـنـ كان اميـنا في شيءـ ومهـمـلاـ لـسوـاهـ كانت فضـيـلةـ الطـاعـةـ فـيـهـ نـاقـصـةـ . فـاـذاـ اـرـدـنـاـ انـ نـسـمـوـ فـيـ مـارـسـةـ هـذـهـ فـضـيـلةـ الجـمـيلـةـ عـلـيـنـاـ انـ نـعـتـقـهـاـ كـلـهـاـ . اـماـ اـذـاـ اـطـعـنـاـ هـذـهـ وـعـصـيـنـاـ ذـاكـ منـ رـؤـسـائـناـ ، لـانـ الاـولـ اـحـبـ اليـنـاـ ؛ وـاـذـاـ حـفـظـنـاـ هـذـاـ وـزـبـذـنـاـ ذـاكـ منـ قـوـانـيـنـناـ ، لـانـ الاـولـ اـقـرـبـ الىـ اـمـيـنـاـ ، فـلـاـ تـكـونـ طـاعـتـنـاـ شـامـلـةـ ، وـلـاـ تـكـونـ اـذـاـ سـامـيـةـ .

ولقد كتب القديس فرنسيس السالسي يقول: « ان الطاعة تحملنا على الخضوع بحب وسداجة قلب الاوامر الصادرة اليـنا من رؤسائـنا بقطع النظر عـما اـذـاـ كـانـتـ الطـرـيقـةـ التـيـ اـعـطـيـتـ بـهـاـ تـلـكـ الاـوـامـرـ هـيـ مـسـتـجـبـةـ اوـ مـسـتـهـجـنـةـ . لـانـهـ طـالـمـاـ لـلـاـمـرـ الـحـقـ الـمـشـرـوـعـ فـيـ اـصـدـارـ اـمـرـهـ ، وـطـالـمـاـ اـنـ خـضـوـعـنـاـ لـهـ يـكـونـ سـبـبـ اـتـحادـنـاـ بـالـلـهـ ، فـسـيـئـانـ لـدـيـنـاـ اـنـ يـكـونـ قـدـ صـدـرـ الـاـمـرـ مـنـ هـذـاـ اوـ مـنـ ذـاكـ اوـ كـيـفـ صـدـرـ .

اما اذا اقدم الرئيس على فرض شيء مخالف لوصايا الله

واحكامه فالواجب يقضي بان لا نطيعه . والا تكون طاعتنا له غاشمة وجاهلة .

و اذا امرنا رئيسنا باتباع خطة معينة ورأينا نحن ان غيرها افضل منها ، واصوب ، وانفع ، فالكمال يقضي بان ترك خطتنا لنتبع وجهة نظر رئيسنا . لأن الله هو الكفيل بان ينجح عملنا اكثر بكثير مما لو اتبعنا طریقتنا . لأنه تعالى يؤثر الطاعة ، وينجح عملها ، ويبارك نتائجها . ان الغلبة في طریق الطاعة ، كما يقول القديس فرنسيس السالسي ، وقال الروح القدس : «المطیع يتکلام کلام المنتصر»^(١) . قد يتعرض الرئيس للغلط في كيفية ادارته ، ولكن الانسان الخضوع لا يغلط ابداً في اندیاده لطريقة رئيشه .

اما الصفة الثالثة للطاعة الحقة فهي ان تكون مکملة ، فلا تفرق بين امر وامر ، ولا تأخذ بجهة وترك اخرى ، ولا تمیز بين اقسام القانون او الاوامر فتقابل منها شيئاً وترك شيئاً . ولا تنظر الى امر ما فتقسمه ، وتقوم باقام ما تريده منه وترك ما لا تريده .

والطاعة الكاملة سریعة الاندیاد ، لأن من مزايا الحب الاسراع في اقام طلب المحبوب . فاما كانت الطاعة الكاملة تسیر بداع الحب الالهي كان لا بد لها من الاسراع في اقام اوامر الرئيس بداع حبهما لله و اكرامها له .

(1) *Vir obediens loquetur victorias.*

والطاعة الكاملة تكون ثابتة ، فلا يعتريها وهن ولا ضعف ولا ملل ولا جمود . وفي هذا يكون حقّ تمامها .

والطاعة الكاملة تكون فرحة مشرقة ، « لأن الله يحب المعطي المتهمل »^(١) . فمن عادة الحب أن ينشر الفرح في القلب . فمن أَحَبَ الله أَطَاعَه بفرح ، واستعدب في سبيله كل صعوبة وكل عقبة .

البحث الرابع

في فوائد فضيلة الطاعة

ان فضيلة الطاعة هي الفضيلة التي يرتاح الله اليها اكثرا من غيرها . لانها تجرب الانسان من ارادته واميراله الخاصة ، ورغباته الذاتية ، في سبيل خضوعه لآوامر الله تعالى واحكامه . فبها يتم اتحاد الانسان بالله اكثرا من سواها من الفضائل الادبية . ان محبة الانسان نفسه ، وايشاره ذاته ، لهو اكبر عائق له في التوجه الى الله . اما الطاعة فإنها تجربه من ذاته وارادته ، وتفسح الطريق

اما مه الى خالقه والمه . وبقدر ما يضيّع الانسان لاجل الله من ارادته وحرি�ته واستقلاله يكون مستحقاً للاجر في حياته وعمله . هذا ما فعله المخلص الالهي في بستان الزيتون لما هنف نحو ابيه السماوي وهو في اشد مرارة الحزن وقال : « لا تكن مشيئتي بل مشيئتك » ^(١) .

لذلك كانت الطاعة افضل من الفقر ، وافضل من العفاف ، وافضل من التقشف . لأن الانسان يضيّع بالفقر خيرات الدنيا ، وبالعفاف ملذات الجسد ، وبالتقشف انبساطه وراحته ، اما بالطاعة فإنها يضيّع بما هو اكرم واثن كل من هذا ، وآخر من غيره لديه . يضيّع بارادته وحرি�ته وشغفه باستقلاله . « فالطاعة هي (حقاً) خير من الذبيحة » ^(٢) . فالطاعة اذا هي ، من بعد العبادة ، اكرم الفضائل الادبية لأنها تجعل ارادتنا دائمة الانخاد بارادة الله ، وقلبنا دائم الحب له ؛ فلا تخرج عن دائرة اوامره وتدبيره واحكامه والتعلق به .

الطاعة هي ايضاً ام الفضائل الادبية ، والمارسة لها ، الساهرة عليها . فالطاعة والمحبة واحد . ان من شأن الحب ان يوحد الافكار والرغبات في المتحابين . فحببتنا الله معناها طاعتنا له ، بحيث ان رأيه يصبح رأينا ، وفي كره فكرنا ، وارادته

ارادتنا، فلا نبغي سواه في كافة مطالبتنا ورغباتنا . واذا نصیر الى هذه القمة من الحبّة يعود هو ايضاً فيحقق كل رغباتنا ، ويتم كل ما يريد قلبنا . «من كانت عنده وصاياتي وحفظها فهو الذي يحبني ، والذی يحبني يحبه ای ، وانا احبه واظهر له ذاتي » ^(١) . وايضاً : «ان اذتم ثبتم في وثبتت كلامي فيكم تسألون ما شئتم فيكون لكم » ^(٢) .

والطاعة هي ام سائر الفضائل لأن بها تتم كلها . ليس من فضيلة ادبية او اهية الا والله يأمر بها ، او يدعو اليها ، او يرغب فيها . فالطاعة تقدس ارادة الله ، بل مشوراته ، واقل رغبة من رغباته . لأن الطاعة هي ثمرة الحبّة ، والحب لا يفرق بين اوامر الحبيب واصارة من اشاراته ، او اصغر رغبة من رغباته ، او اقل نظرة من نظراته .

لابل ان الطاعة هي نوع من الاستشهاد . واذا كملت وطال عهدها وملايات الحياة ، فتكون افضل من الاستشهاد . لأن الاستشهاد هو تضحية الحياة مرة واحدة ؛ اما الطاعة الدائمة فهي تضحية ما هو اولاً اثن من الحياة ، لانها تضحية الرأي والارادة والحرية والامال الذاتية ؛ ثم هي تضحية هذا كله ليس مرة بل كل مرّة ، ليس ساعة بل كل ساعة ، وكل يوم ، ومدى الحياة .

(١) يوحنا ١٦ : ٤٥ : ٢١

ان معلمي اللاهوت يسمون الحياة الرهبانية استشهاداً؛ لأن الحياة الرهبانية هي قبل كل شيء حياة الطاعة، اعني حياة التجرد من الارادة الذاتية. ويقول القديس أغناطيوس في ذلك: «بالطاعة نضحي لله بآفكارنا وآرائنا وارادتنا، ونقدمها في كل وقت وفي كل ساعة ذبائح مرضية على هياكله تعالى. وهكذا بدل الارادة الذاتية في الانسان لا يبقى سوى ارادة يسوع المسيح التي تتجلّى بارادة الرئيس. فلا يضحي المرء فقط بحياته اطاعة لله، بل بكل ما هو عزيز عليه ايضاً»^(١).

وكان القديس باخوميوس يقول لاحد رهبانه، وكان هذا يرغب في شرف الاستشهاد: «كفى بحياة التقشف والتكفير استشهاداً. والاستشهاد الأكبر هو الثبات على الطاعة طول الحياة. لأن ذلك خير من الموت بحد السيف في لحظة واحدة»^(٢).

الطاعة هي ايضاً ينبوع السلام والفرح والطمأنينة في
القلب. فهي تبعد الظلم وتحصي الارتياح والشكوك. لأنها ترسم للمرء منهاج الحياة وتضيّ له الطريق، فيسير بطمأنينة وثبات وانتظام. الطاعة هي عنوان الحياة المسيحية الصحيحة وطريق القدسية الحقة الاكيدة. لأن ارادة الله تتجلّى اماماً

(١) رسالته الى الرهبان في البورتغال
السالسي في الاحاديث الروحية .

(٢) نقلأً عن القديس فرنسيس

باليوصايانا ، وبقوائين دعوتنا ، وبارادة رئيسنا . فاذا ما حفظناها واحترمناها سرنا بلا تردد ولا حيرة ، بل بارتياح وطمأنينة في سبيل محبة الله ورضاته ونعمته . وهذا يصبح سيان عند الانسان المكمل في الطاعة نجح في عمله ام لم ينجح . ليس لعدم المبالاة ، او الجمود او الكسل ، لأن الرجل المطيع يرغب رغبة اكيدة في النجاح ما امر باقامته ، اكراماً لله ، وعملاً بارادة رئيسه ، وقياماً بواجب قوانين رهبانيته ، او جمعيته ، او مسلكه ؛ بل انه اذا لم يجزن لعدم نجاحه ، او لقلة ظهور نجاحه ، فلا أنه يكون قد طلب في عمله مجرد مرضاة الله والخضوع لارادته . فلا يضطر布 لما يحصل له من نتائج مساعيه ومن ثار اجتهاده .

لذلك يرى الرجل المطيع ابواب السما ، دائماً مفتوحة امام عينيه فيستمد منها الانوار ، ويسير نحوها بخطى ثابتة اكيدة بطمأنينة وارتياح . لأن الطاعة تحلى الانسان من قيود الشك والاضطراب بما ترسمه له في كل وقت بخلاف من انواع الواجبات ؛ فلا يبقى في العقل شيء من الحيرة في كيفية طلب الكمال .

وما احلى ما تقول القدسية الناعمة تزيينا الطفل يسوع في سيرة حياتها عن الطاعة :

« يا الهي ، آه كم ينجو من الاختراط والتلوиш ذاك الذي ينذر فذر الطاعة . يا ما اسعد الراهبات البسيطات اللواتي يسرن

في حياتهن بارادة الرؤساء . لأنهن يعلمون العام الأكابر بأنهن في الطريق القويم سائرات . فلا خوف عليهن من الخطأ ، حتى ولو تأكد لديهن بأن الرؤساء قد اخطأوا . ولكن اذا ما هن حذرن عن هذا المنهج الصحيح ضللن الطريق وسرن في مفازات وعرة مقفرة تنقصها مياه النعمة » ^(١) .

أخيراً ليس كالطاعة فضيلة راجحة تكسب الاجور من بعد ان تفيض في القلب الطمأنينة والسرور . لأننا اذ نتم بأمر الطاعة وبروح الطاعة ، لاجل الله ومحبة له ، كل عمل من اعمالنا ، من الصباح الى المساء ، ومن المساء الى الصباح ، تصير حياتنا كلها ، في كل دقائقها وكل تفاصيلها ، فعل محبة عظيماً دائماً ، يتكرر بلا اقطاع ، ويملا خزانتنا السماوية اجرأ دائمة ابدية . ولقد شبه المعمون الروحيون رجال الطاعة باناس راكبين سفينة تسير بهم في البحار وهم عنها لا هون او هم ثالثون ؟ فيقتربون يوماً بعد يوم من المينا ، وهم لا يدركون .

* * *

فالطاعة هي الفضيلة الكبرى السامية السماوية ؟ هي الفضيلة المديدة المسيحية في الحياة الاجتماعية . بل هي ام الفضائل ونورها وحارسها . فهي اساس النظام والنجاح والفرح في حياة المجتمع ؟

(1) *Histoire d'une âme, ch. IX, p. 196*

كما أنها سبب الطمأنينة والسلام والأجر الْكثيرة في حياة الفرد.
ولقد أوحى الله يوماً إلى القديسة كاترينا السينائية عن ارتياحه إلى
أعمال فضيلة الطاعة فقال تعالى اسمه :

« ما أطيب وما أكرم فضيلة الطاعة . فإن فيها الفضائل كلها . فالمحبة كونتها وابتداها . والإيان جعل أسمه عليهما ٠٠٠ من اتخد الطاعة رفيقة لحياته فقد عاش بطمأنينة وهناء . وهو لا يحزن لعراض الدنيا عنه ، لأن الطاعة علمته أن لا يشهي شيئاً سواعي . وإن استطاع ، لو أردت ، أن تشبع كل رغائبها . أيتها الطاعة ما أبهاك وما أحلاك . إنك تصلين بلا عناء إلى ميناء السلام . انت شبيهة بابني الحبيب الكلمة . وتعبرين بحر هذا العمر على سفينة الصليب الكريم ؛ لأنك متأهبة دائمًا لمواجهة الصعاب وكل عذاب من غير أن تحيدني عن وصايا ابنى الكلمة وتعاليمه الالهية . عظيمة انت في ثباتك ؛ وعظمتك هي جباره ؛ لأنك تصعدين من الأرض ، وتأنرين أبواب السماء ، فلا يفتحها سواك »^(١) .

(١) كتاب المحادثات Dialogue ، المجلد الثاني ، صفحة ٢٥٩ - ٢٦٠

﴿ حادث تارينجي ﴾

شجرة الطاعة

في وادي النطرون الصحراوي الممتد الى الجهة الغربية من وادي النيل السعيد يرى المسافر شجرة وحيدة منفردة قاعدة بين الصخر الجرداء في تلك الرمال الفاحلة . والاس يدعونها الى اليوم شجرة الطاعة . ودونك تفصيل الحادث كما يرويه تاريخ رهبان القديس باخوميوس .

اراد رئيس الرهبان يوماً ان يختبر طاعة يوحنا احد ارهبان الفتىان ، وأمره بان يأخذ عصا ويزرعها بعيداً ، بعيداً عن الدير ، في تلك الصحاري الموحشة الفاحلة ، وان يتعهدها كل يوم بالله ، صباحاً ومساءً .

فأخذ يوحنا العصا وذهب فزرعها كما أمره رئيسه ، وجعل يحمل اليها اما كل يوم ويسقيها ، غير وبال بأنها عصا يابسة لا امل في ان تدب الحياة فيها . وبقي مثابراً على عمله زماناً طويلاً بروح الطاعة ذاته الذي بدأ عمله به .

الا ان الله اراد ان يكافي طاعة هذا الراهب الورع الذي عرف ان يتجرد عن ارادته وعن فهمه في سبيل القيام بأوامر رئيسه . فأرسل الحياة في تلك العصا . واورقت وازهرت . وهكذا بقيت الى يومنا هذا شاهداً رائعاً على رضى رب عن الطاعة الكاملة التي لا تتواني في عملها ، ولا تعارض على تدبير رئيسها ، محية له تعالى ولاجل مرضاته .

الفصل الخامس

في فضيلة الشجاعة

ان فضائل العدل والعبادة والطاعة تنظم علاقتنا مع الله
ومع قريينا . اما الشجاعة فانها تختص بنا ، ومرجعها اليانا مع
ذواتنا . وسنبحث في ماهيتها ، وفي درجاتها ، وفي كيفية
الحصول عليها وقويتها ؛ ثم نتكلّم عن كل فضيلة من الفضائل
التابعة لها المتفرعة عنها .

البحث الاول

في ماهية فضيلة الشجاعة

الشجاعة هي فضيلة ادبية مسيحية سماوية تثبت النفس في
طلب ما تستحقه من الله من الصلاح لتقوم بعمله بلا تردد ولا
وجل ، حتى ولو تعرضت للموت .

و عملها مزدوج . فهي تبعث في المرء النشاط والاقدام ؛

لـكـنـهـاـ تـنـظـمـ اـيـضاـ قـوـةـ نـشـاطـهـ وـاـنـدـفـاعـهـ، لـثـلاـ تـحـمـلـهـ حـمـاسـتـهـ عـلـىـ
الـطـيـشـ وـالـتـهـورـ. فـالـشـجـاعـةـ هـيـ قـوـةـ الـاـرـادـةـ فـيـ مـوـاجـهـةـ الـمـصـاعـبـ
وـالـتـغلـبـ عـلـيـهـاـ. فـهـيـ الـبـطـولـةـ الـمـسـيـحـيـةـ فـيـ كـلـ دـرـجـاتـهـ وـاـنـوـاعـهـاـ.
هـيـ الـاـقـدـامـ عـلـىـ الـاـعـمـالـ الصـعـبـةـ الشـاقـةـ؛ وـفـوـقـ ذـلـكـ هـيـ الـصـمـودـ
الـرـاسـخـ اـمـامـ هـجـجـاتـ الـمـخـنـ وـالـشـدـائـدـ. اـنـ طـرـيـقـ الـكـمالـ عـسـرـ
وـعـرـ ضـيقـ، كـمـ قـالـ الـرـبـ^(١). فـلـاـ بـدـ لـلـسـائـرـ فـيـهـ مـنـ قـوـةـ
الـعـزـيمـةـ، وـشـجـاعـةـ الـقـلـبـ لـاـقـتـحـامـ الـمـصـاعـبـ الـتـيـ تـواـجـهـهـمـ فـيـ حـيـاتـهـمـ
لـدـىـ قـيـامـهـمـ بـوـاجـبـهـمـ.

فـاـذـاـ كـانـتـ الغـاـيـةـ مـنـ الشـجـاعـةـ زـمـنـيـةـ اـرـضـيـةـ، كـانـتـ هـذـهـ
الـشـجـاعـةـ فـضـيـلـةـ طـبـيعـيـةـ. وـلـقـدـ تـبـلـغـ اـحـيـاناـ بـالـمـرـءـ اـقـصـىـ حـدـودـ
الـبـطـولـةـ، كـمـ يـجـدـتـ لـلـجـنـدـ مـثـلـاـ فـيـ سـاحـاتـ الـوـغـىـ، وـلـبعـضـ
الـهـيـئـاتـ فـيـ الـوـظـائـفـ الـخـطـرـةـ، نـظـيرـ جـمـاعـاتـ الـاـسـعـافـ، وـالـاـمـنـ
الـاـمـ، وـالـمـطـافـ، وـالـاـطـبـاءـ، وـالـمـرـضـيـنـ، وـالـطـيـارـيـنـ، وـمـنـ كـانـ
عـلـىـ شـاكـلـهـمـ. فـبـطـولـةـ هـؤـلـاءـ، تـسـتـحقـ كـلـ ثـنـاءـ، وـكـلـ اـعـجـابـ؛
اـلـاـ إـنـهـاـ لـاـ حـقـ لـهـاـ فـيـ الـاـجـورـ السـماـوـيـةـ لـمـاـ أـنـَّـ الـذـينـ يـقـومـونـ بـهـاـ
يـطـلـبـونـ الـفـخـرـ الـعـالـمـيـ وـالـمـجـدـ الـزـمـنـيـ، اوـ مـجـرـدـ الـقـيـامـ بـوـاجـبـ
وـطـنـيـ، اوـ اـجـتـمـاعـيـ، اوـ طـائـفـيـ، اوـ حـزـبـيـ، مـنـ غـيرـ انـ يـكـونـ
فـيـ ذـلـكـ لـلـهـ مـنـ نـصـيبـ.

اما اذا كانت الغاية من الشجاعة اكرام الله ، او القيام بواجب خدمته وعبادته ومحبته مهها اشتدت المصاعب وعصفت الزوابع ، فتكون الشجاعة اذ ذاك مسيحية ، وفضيلة سماوية .

قلنا ان الشجاعة ليست هي الاقدام على صعب الامور فيحسب ، بل هي الثبات في ذلك الاقدام والاستمرار على الصبر في الشدة . فالمسيحي الشجاع لا يترك محبة الله ، ولا يجحد من عبادته ، ولا يتواتي في تتميم واجباته ، ولو اجتمعت عليه الشدائد ، وتآلت عليه المصاعب ، وانتابت الامراض ، وتراءكت عليه المحن ؛ ولو اصبح عرضة لانواع المهز والسخرية والافترا ، والنفيمة ؛ بل يبقى متمسكاً بمحبته لله ، معتقداً برجاه خلاصه ، سازداً بلا تردد في طريق واجباته . وهكذا يصمد للبلوى من اجل الله صمود الابطال مهها تقلبات عليه صروف الدهر ، وتلوفت الاحوال .

وان احتمال الشدائد فهو اكرم واعظم من الاقدام على اقتحامها ، لانه يتطلب عزيمة اقوى وتجدد امضى . وان التصبر والتجدد لا صعب من المهاجمة والاقتحام ، كما يقول توما الالاهي .

Sustinere difficilius est quam aggredi للمهاجم معناه ان المهاجم اقوى واعز . فالمهاجم يتعرض فقط للمساوي الذي هو اختيارها ولم تحمل بعد عليه ؟ اما المدافعان فانه

يتخبط في مساوئه ومصاعبه . والتصرير معناه الجلد الدائم على الشدائـد ؛ اما الاقدام على صعب الامور فيحمل وطأتها زماناً يسيراً . لذلك كانت الشجاعة في الاحتمال اشد مراساً واكثـر اجوراً من الشجاعة في الاقدام على صعب الاعمال . فان من اقعدهـته الامراض مثلاً عن العمل زماناً طويلاً ، او من صار عرضة لمواجهة التجارب اياماً وشهوراً بل سنتين وسنتين ، او من كان غنياً فافتقر ، او عزيزاً فذل ، او كان في نعمة فزالت عنه ، او كان له عزيز فتـى عنه ، او كان له وحيد او معين او سند او رفيق فخرـه . فـكم يلزم مثل هؤـلا من الشجاعة المسيحية لـكي يـصمـدوا للشـدائـد ، ويـتـحملـوا المصـاعـب ، ويـخـضـعوا لـاـحكـامـ الله ، او لـكي يـبارـكـوا الـيدـ التي ربـما يـترـاءـى لهم انـها تـقـسوـ عليهم وـتـضـطـهـدهـم . واروع مثالـ على ذلك صـبرـ ايـوبـ وـشـجـاعـتهـ . فـانـهـ رغم ماـ فقدـهـ من خـيرـاتهـ ، وـمن اـولـادـهـ ، وـمن صـحـتـهـ ، وـمن جـاهـهـ ، وـمن سـائـرـ نـعـيمـهـ ، بـقـيـ مـعـتصـماـ بـالـلهـ ، مـتـكـلاـ عـلـى مـرـاحـهـ ، مـسـتـسـلـماـ بـلـاـ مـللـ ولاـ كـالـ لـمـشـيـتـهـ وـاحـكـامـهـ . وـعـنـدـماـ خـارتـ قـوـةـ اـمـرـاتـهـ اـمـامـ مـخـنـتـهاـ اـتـتـهـ شـاكـيـةـ باـكـيـةـ سـاخـطـةـ تـجـدـفـ على اللهـ وـتـدعـوهـ هوـ ايـضاـ لـكيـ يـشارـكـهاـ فيـ ثـورـتـهاـ وـتـجـدـيفـهاـ ، اـجاـبـهاـ بـشـهـامـةـ بـقـيـتـ مـثـلاـ اـعـلـىـ لـمـنـ اـعـرـضـتـ عـنـهـمـ الذـيـاـ : «ـ اـنـاـ كـلامـكـ كـلامـ اـحـدىـ السـفـيـهـاتـ اـنـقـبـلـ الخـيـرـ منـ اللهـ وـلـاـ نـقـبـلـ مـنـهـ

الشر ^(١) الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب
مباركاً ^(٢) .

ومن الشجاعة الكبرى ايضاً حسن القيام بالواجب اليومي
بلا كسل ولا توان ولا ملل ولا انقصاص ولا تألف ولا تذمر؛
بل بامانة وثبات وقوة عزيمة، وتساوٍ في النفس، وهدوء في
العاطفة، وقوة في الارادة؛ رغم المصاعب والمتابع؛ من غير
ان نعتمد على اعجاب الناس ومن غير ان نبني على بسخطهم
وازدرائهم، او نطمع في رضاهم، او نخاف من غضبهم؛ بل محبة
الله، ولجل وجه الله. ان من وصل الى هذه الذروة من كمال
الشجاعة المسيحية كان جديراً بأن يحصى مع عظماء الابطال.
ولقد اصاب البابا لاون الثالث عشر لما قال : ايتوني براهب يحسن
القيام بكل واجباته اليومية فأطوب به واعان قداسته.

البحث الثاني

في درجات فضيلة الشجاعة

الشجاعة درجات وكمالات . فالمبتدئون في الكمال المسيحي يمارسون الشجاعة بـان يكونوا اولاً دائني الاستعداد لمقاومة التجارب التي تفرض عليهم للخطايا الشقيقة ، فيصمدون لها مهلاً اشتدت عليهم وطأتها ، وتتابعت هجماتها . حتى لا يبالغون بالخطر ، ولا يتوارون امام المتابع ، بل يحافظون بكل قواهم على نقاوة قلوبهم ، وعلى جمال النعمة في نفوسهم ؛ لأنهم موقنون بـان متابع الحياة باسرها وكل شدائدها « لا تقاس بالجح المزمع ان يتجلی فيها » ، حسب قول الرسول ^(١) . لذلك تراهم يؤثرون احتمال كل شدة ، لا بل كل شر زماني ، في سبيل محافظتهم على رضى الله ونعمته ، وقياماً بواجباتهم كمسيحيين حقيقين .

ثم انهم لا يهابون انتقاد الناس لهم ولعبادتهم ولقيائهم بواجبهم ، ولا يقيمون وزناً لكلامهم وتحكمهم ، ولا يبالغون بما يقول الضعفاء بالاعيان عليهم وعلى تقواهم وصلاحهم ، ولا يستسلمون للحياة البشري امام زملائهم واقرائهم ، ولا امام رؤسائهم واسيادهم ، بل يذهبون في طريقهم غير هيابين ، ولا

خائفين او متزعزين في اعلان مبادئهم المسيحية والمحافظة عليها . والحق يقال ان هذا ليس بالشيء يسيراً . وكثيراً ما تكون الشجاعة في مثل هذه الاحوال اكثربطولة منها امام الموت في ساحات الوعى . لأن سهام العيون الساخرة ، ولو اذع الاسن المتهكمة ، هي اشد وقعاً على القلوب من رصاص البنادق ، وطعن السيف في الثورات والحرواب .

ولقد يضطر المرء الى شجاعة كبرى حينما يتنازعه عاملان قويان ، عامل الواجب وعامل الحب . فالمسيحي الحقيقي يضحي بالصدقة وبالحب في سبيل الواجب وخدمة رب ؟ لأن الله احق من الناس بان يحب وينخدم ويطاع . وان الصديق الذي يبعدنا عن القيام بواجباتنا الروحية او الادبية او الاجتماعية لا يبقى صديقاً بل يصبح عدواً . وقد قال الرسول لأهل غلاطية : « العلي استعطف الناس ام الله اأطلب ان ارضي الناس ؟ اني لو كنت بعد ارضي الناس لما كنت عبداً للمسيح » ^(١) . وفي هذا المعنى سبق وقال رب الجد : « لاتظنوا اني جئت لألقى على الارض سلاماً . لم آتِ لالقي سلاماً لكن سيفاً . اتيت لافرق الانسان عن أبيه والابنة عن أمها والكنة عن حماتها . واعداء الانسان اهل بيته » ^(٢) . لأن محبة الاهل قد تحملنا احياناً على اهمال

(١) غلاطية ١ : ٣٦ (٢) مق ١٠ : ٣٦

واجباتنا نحو الله ونحو قريبنا، فيصبح اهلاً لنا. حيث إن
تنزل الشجاعة المسيحية إلى الميدان وتحملنا على تفضيل الله على
أقربائنا وأصدقائنا. وهكذا لا نترك قداس الأحد والعيد لاجل
زيارة صديق؟ ولا نهمل دعوتنا الرهبانية لاجل ارضاً أبَّ،
او خوفاً من دموع ام، او طمعاً بخيرات زمنية؟ ولا ندوس
واجبات الصيام هرباً من نظرة استخفاف او كلمة تعير.
فالشجاعة هي التي تدفعنا إلى الانتصار لله ولشرائه ولوصاياه
ولوصایا کنيسته.

وماذا نقول فيمن يضحي بواجباته الدينية او العائلية، او
الوطنية، في سبيل شهرة عالمية، او منافع محمرة زمنية. ان
البعض تسکرهم خمرة الجاه وتطرب آذانهم تصدية الاستحسان
فيستسمون لها، ويترکون واجباتهم، وينجذبون ضمازهم
وعقادتهم. فتشل هؤلاً تلزمهم شجاعة قوية ليفوزوا على جاح
عواطفهم ومطامعهم، ويقهروا اميالهم، ويصدوا الهجوم الشهرة
الكاذبة عليهم. لأن الجد الحقيقى، والشرف الصادق، هو ما يأتي
من الله، ومن رضى الضمير؛ وليس من اعجاب الناس، وكثرت
الاموال، وتصفيق الجماهير. «من افتخر فليفتخر بالرب» ^(١).
اما النفوس المتقدمة في الكمال المسيحي فانها تستثير في اعمال

شجاعتها بشجاعة السيد المسيح . فتتأمل في حياته وتسعى لتقتفي اثره .

ان الفادي الالهي من يوم ميلاده الى يوم وفاته كان مثلاً اعلى للشجاعة المسيحية في كل معانيها وكل مظاهرها . فما كاد ينبعق من احساء والدته الفاقيحة الطهر والقداسة انبعاث القجر من افق الدنيا حتى قدم ذاته لأبيه السماوي ذريحة مرضية ، ليستبدل بذريحة نفسه ذبائح العهد القديم الرمزية ، ويُكفر تكفيراً كاملاً صحيحاً عن البشرية . وهذا ما حدا به ليسير منذ بدء حياته في طريق الطاعة والفقر والتقدس والصبر ؟ ويتحمل انواع الاضطهاد ، مع مشقات الاسفار ؟ ويضيق على نفسه مدة ثلاثة سنّة في قرية حقيرة ، وحياة شاقة متعبة ؟ بل هي في اعين الناس خاملة .

ولكم تتجلى الشجاعة في حياته العلنية . يقضى معظم اوقاته صافأ ، ويحيي الاليالي في الصلاة ، ويطرد الشيطان بشهامة عن طريقه ، ويهاجم معلمي الناموس في سخافاتهم ، ويفضح الفريسيين في كذبهم وكبرياتهم ورثائهم ، ولا يعتمد في تبشيره وتعليميه وعجائبه الا على التواضع والتأمل والرحمة ، وتجيد الآب السماوي ؟ ولا يسعى الا الى حمل النفوس على محبة الله ومحبة بعضها لبعض ؟ ويعمل دائمًا على نشر روح السلام بين الناس ،

واصلاح ما فسد من اخلاق البشر ، مزدرياً بالشهرة العالمية الحقيرة
الزائلة ، ومحدراً تلاميذه ومن سوف يؤمنون به من خداع
الذنيا واكاذيبها .

فهو الذي كان خاصعاً ليوسف ومريم مدة ثلاثين سنة ^(١) .

وهو الذي هزم الحجب اذ قال : « اذهب يا شيطان » ^(٢) .

وهو الذي وبُخ هامة رسّله لما رأى ان محبته له تزيد ان
تبعده عن واجباته فقال له : « اذهب خلفي يا شيطان لأنك لا
تفطن لما لله لكن لما للناس » ^(٣) .

وهو الذي زجر الرسولين حبيبيه يعقوب ويوحنا لما غضبا
على السامريين وارادا ان يطأبا نار السماء لتنحدر عليهم ، وتفنّهم
فقال يعنفهم : « لستما تعلمان من اي روح انتما ، فان ابن البشر
لم يأت ليهلك نفوس الناس بل ليخلصها » ^(٤) .

وهو الذي صبَّ الويلات على الفريسيين الاشارة اذ كان
يقرئهم ويقول لهم : « الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون
المراوون » ^(٥) ...

وهو الذي لما حان الوقت سدد وجهه الى اورشليم ، وذهب
الى الالم بلا تردد ولا تأخير ^(٦) .

(١) لوقا ٢: ٥١ (٢) متى ٤: ١ (٣) مرقس ٨: ٣٣ (٤) لوقا ٩:

٥٦٦٥٦ (٥) لوقا ١١: ٤٢ ... ٠٠٠ (٦) مرقس ١٠: ٣٣-١٣: ٢٣

ثم اية شجاعة فائقة اظهر في آلامه . لطموه على وجهه ،
وجلدوه بالسياط ، و كللوه بالشوك ، والبسوه لباس المعتوهين ،
و جللوه صليب الآثمة الجرميين ، واذ دروا به وبملوكيته وبقدرتة
وبسلطانه ، وهززوا الرؤوس لذكر صلاحه ، ودفعوا الشعب
الماهيل الغاشم المتقلب الى المحتاف في طلب صلبه وموته ، ثم عرّوه
من ثيابه ، وسروا بالمسامير الغليظة يديه ورجليه ، ورفعوه على
الصلب بين لصين على مرأى ومشهد من امه ومن احبائه .
فلم يتذمر ، ولم يعترض ، ولم يتأسف ، ولم يشتم صالبيه ، ولم يجده
على الله ابيه ؟ بل بقي صامتاً ، صابراً ، متجلداً . وكان يقدم ذاته
ذبيحة تكفير لاجل فداء العالم . ولما فتح فاء سأل الغفران من
ابيه جلااديه وصالبيه . ليس هذا منتهى البطولة في الشجاعة .
فالنفوس المتقدمة في الكمال المسيحي تأخذ عن الفادي
الاهلي خطتها في اعمال شجاعتها . فتتجمل حياته والامه نصيب
عيينها في حياتها اليومية ، وفي كل عمل من اعمالها . فلا تبدو لها
شدة او صعوبة او عاطفة كال او ملل ، إلآ ترى المسيح امامها
ينظر اليها ويشجعها ؟ فتنتصر عليها . فهذه هي الشجاعة المسيحية
والبطولة الحقة بعينها .

اما الكاملون من المسيحيين فان شجاعتهم هي فائقة ، وهي
موهبة من موهب الروح القدس ، فيسيرون في حياتهم بداع

هذه الموهبة السامية الفائقة الطبيعية .

ان «موهبة الشجاعة» تكمل فضيلة الشجاعة ، فتمنح الارادة قوة وتدفعها دفعاً في الاعمال العظيمة الشاقة ؛ وتجعلها تحمل بنشاط ، بل بفرح وابتهاج ، اثقال ومصاعب وشدائد هذه الاعمال الكبيرة الشاقة .

«وموهبة الشجاعة» تختلف عن فضيلة الشجاعة . لأن هذه هي ثمرة جهودنا مع مساعدة النعمة . أما الاولى فهي من فعل الروح القدس وحده . فإنه يتمالك النفس ، ويملأها قوة ونشاطاً ، ويجهلها للتسلط تسلطاً كاملاً على قواها الصغرى الجسدية فتأسرها وتخضعها لرادتها ، وتنتصر على المصاعب الداخلية والخارجية الصادرة منها او المعتمدة عليها . ان فضيلة الشجاعة يبقى معها شيء من التردد والخيرة والخوف . أما «موهبة الشجاعة» فتصب في القلب الحزم والنشاط والفرح والثقة بالنجاح . لذلك كانت نتائجها افضل وثمارها اغزر .

وكتاب اعمال الرسل يتكلم بجلاله عن هذه الموهبة السامية في كلامه عن القديس استفانوس رئيس الشمامسة اذ يقول ^(١) : « وكان استفانوس مملوءاً بنعمة وقوة ... وهو اذ كان ممثلاً من الروح القدس تفرس في السماء » . فخاطب استفانوس محفل

(١) اعمال ٦ : ٨ - ٥٥ و ٥٨ و ٥٩

اليهود بجرأة غير هيابة، وبشرهم باسم رب يسوع رغم ما كان يتهدده من الموت. ولما رجوه كان «يدعو ويقول: إيهَا الرب يسوع أقبل روحي . . . يا رب لا تقم عليهم هذه الخطيئة».

وموهبة الروح القدس هذه تعطي على الأخص النشاط في العمل والصمود للملائكة. والنشاط يحمل النفس على الاقدام في طلب الأمور الصعبة بلا وجل ولا تردد. فهذه الموهبة تمكن النفس مثلاً من اعمال الاختلا. الروحي الكامل في وسط الاشغال العديدة الشاقة. هكذا كان حال القديس منصور دي بول رجل الصلاة وصاحب المشاريع العظيمة؛ وهكذا كانت القديسة تريزييا مصلحة رهبانيات الكرمل ومنشأة عشرات الاديارات. كانت نفسها ماروفة بتأملاتها المستديمة واحتطافاتها المتواصلة، وكانت حركة دائمة لا تفتر في الكتابات والتأليف والارشاد والاسفار والشهر على مشترى الاملاك، وبناء الكنائس والاديارات، وتجهيز الراهبات . . .

وهذه الموهبة تساعده على حفظ العفة الكاملة في وسط بعض الظروف الشديدة الصعبة، كما حدث للقديسين توما اللاهوتي وكارلوس بروماوس.

وهي تفتح التواضع العميق رغم رفعة الجاه ومظاهر الجد، وسمو الشرف، كما كان حال الملك الفرنسي لويس التاسع.

وهي تجعل النفس تستهين الشدائد ، وتقتحم الاخطار ،
وتستخف الموت في سبيل اعلان الحقيقة ، والتبشير باسم الرب
يسوع . هكذا كان الرسل ، والاساقفة خلفاؤهم وهذا كان ولا
يزال حال الالوف والملائين من الرهبان والراهبات والكهنة
والمرسلين والشهداء والمعترفين .

وهي تعطي الجرأة القوية لرجال الله امام الرؤساء العاتين ،
او السلاطين المستبددين ، كما حدث للقديس باسيليوس الكبير ،
والقديس الذهبي الفم . «يلقون ايديهم عليكم ويضطهدونكم
ويسلامونكم الى الجامع والسجون وتقادون الى الملوك والولاة
من اجل اسمي ... فضعوا في قلوبكم ان لا تفكروا من قبل فيما
تحتجون به . فاني اعطيكم فناً وحكمة لا يقدر جميع مناصبكم
على مقاومتها ولا مناقضتها » ^(١) .

وهي تجعل المرء ايضاً يصبر بآناء ورفق على مضض الحياة
مهما طالت ، وعلى التجارب مهما اشتدت ، وعلى اليبوسة الروحية
مهما استمرت ، وعلى الآلام القلبية مهما مزقت الفؤاد وبرحت .
وتحمل على الثبات في حفظ القوانين مهما تعددت وتنوعت
وصعبت ، ليس ساعة بل كل ساعة ، وليس يوماً بل كل يوم وكل
سنة ، وطول الحياة ؛ فتجعل النفس لا تكل ولا تقل ولا تقنط

ولا تجزع، كما حصل للقديسة تريزا الطفل يسوع، ولا هما ورئيستها الكبرى القديسة تريزا الاقبيلية، ولرجل الله يوحنا فيانى كاهن ارس، ولرجل المشاريع العظيمة دون بوسكتو، ولسائر الوف القديسين من رجال الكنيسة ورجال الدنيا. فهذا كل نوع من الاستشهاد، بل هو كل الاستشهاد. لأن استشهاد القلب هو اشد وطأة من استشهاد الدم، وهو لا ينقصه كرامة وشرفًا واجوراً. أليس هذا هو ايضاً حال الآلوف من كهنة الرعایا المتواضعين الذين لا يامعون في الدنيا باسم كبير وعلم زاخر وفصاحة فياضة، وإنما يقضون في خدمة النفوس الموكولة إلى عنایتهم حياة استشهاد دائم.

فوهبة الشجاعة هي التي تنبت مثل هذه البطولة المسيحية الحقة المستمرة بكل انواعها ومظاهرها.

وما اروع ما قالت القديسة تريزا الطفل يسوع في سيرة حياتها : «آه يا امي الرئيسة، لو كانت آلام الاستشهاد هذه التي أتحملها منذ سنة تظهر للعيان لكانـت أدهشت من رآها. لقد سمح الله بـان يـملا نفسي ظلام كثيف. وان ما كنت اقتـع به منذ حداثة سـيـ من العذوبة الحلوة كلـما فـكـرت في السـيـ، اصـبح لي الان سـبـب تـجـارـب ومخـاوف وحـرب روـحـية قـاسـية. ولم تـقتـصر هذه البلـوى على ايـام او اسابـيع مـعدـودـة؛ بل اـيـ اـتـأـمـ منـذـ شـهـورـ

طويلة، ولا ازال اعمل الامر بخلول ساعة النجاة من هذا الضيق والخلاص من هذه الجلوى^(١). ولقد نالت عنها اخواتها من بعد موتها : « هذا كان شعار ترزيما في حياتها : لا بد لنا من ان نستتر كل قوانا قبل ان نطلب التخفيف عنا . ولقد حدث لها مراراً ان وصلت سحر الالاشراك في صلاة الفرض رغم ما كانت تشعر به من الدوار ، ورغم ما كان بها من آلام رأس شديدة . وكانت ايضاً تقول : طالما اقدر ان امشي فلا بد لي من ان اقوم بواجبي . فكانت شجاعتها هذه في افعالها العادية تسمو بها الى ذروة البطولة الحقة »^(٢) .

ان الحياة المسيحية الصحيحة الكاملة هي حياة الصبر بشجاعة على حسن القيام بالواجبات اليومية . فان المسيحي الحقيقي هو الذي يقييد نفسه من الصباح الى المساء بقييد القانون فلا يجید عنه يننة او يسرة ؟ هو الذي يبقى متنبهاً نهاره كله وليله الى الاتحاد بالله بالصلوة والمناجاة وافعال المحبة المستمرة ؟ هو الذي يمنع طرفه عن ان يتطلع الى كل شيء ، هرباً من الحفة والطيش ؟ هو الذي يصبر بصمت على تقلبات الفصول وحرها وبردتها وزوابعها وامطارها ، فلا يتهمل ولا يتأنف ؟ هو الذي يحسن معاملة قريبه رغم ما يشعر به من الاشمئزاز نحوه ومن

(١) في كتاب حياته ص ١٨٦ و ٩٨٨ (٢) ايضاً ص ٢٧٦

النفور منه ؟ هو الذي يقبل بتواضع توبیخ رؤسائه ، وتنزیب امثاله لأعماله ؟ هو الذي لا يستذكر ذوق قریبه ، وامیاله ، بل يتحمل بكلام الرضى اطباعه واحلاقه وثوراته وزعانه ؟ هو الذي يثابر على كبح اهوائه وامیاله ، ويقاوم ماساة من رغبات قلبه ، ويلجم مطامع حياته . وهذا كله ليس مرة بل كل مرّة ، وليس ساعة بل كل ساعة ، وليس بتصبر فقط وتجلد ، بل بسرور قلب ايضاً وحبور . هذه هي البطولة المسيحية الصحيحة ، وهي ثمرة فضيلة الشجاعة وموهبة الشجاعة .

ولقد قال رب يوماً للطوباوي سوسو : « يحب عالى من يخدمني ان يرغب اولاً في التجدد وان يوت موتاً كاماً عن ذاته وعن سائر المخلوقات التي تحيط به . ان هذه الدرجة من الكمال هي نادرة . الا ان من وصل اليها يرتفع بها سريعاً الى الله ... فلا عجب اذا كانت الشدائـد والصلبان حينئذ لا تسبب له من التأثر والانفعال ما تسبب لغيره ، اعني لذاك الذي وطن النفس على اجتناب كل ألم ، وعلى الهرب من كل شدة . ان القديسين ليسوا اقل من سواهم شعوراً بالعذاب والألم . الا ان نفوسهم بعيدة عن الخوف والهلع لانها لا ترغب الا في الصليب ، ولا تستعبد الا الألم ... نعم ان اجسادهم تتآلم ، ولكن نفوسهم هي ثلاثة بمحبة الله تتذوق طعم سعادة لا توصف من سحر العذوبة الالهية ...

ان عاطفة الحب التي تتملكهم يجعلهم لا ينظرون الى الالام كأنها
بلوى . لأنهم بالتحادهم بالله ينعمون بسلام عميق لا يزول ولا
ينحالطه كدر » .

وان موهبة الشجاعة هذه يمكننا الحصول عليها بواسطة
الصلوة ، وعلى الاخص بواسطة المناولات المتواترة التي تصب
في النفس قوة الهيبة لا تقف امامها مصاعب الحياة . واذا ما كنا
امينين في تتميم واجباتنا الصغيرة افاض علينا الروح القدس
موهبتة السامية فكينا من اقام الواجبات الكبيرة بسهولة
ورضى ، بل بفرح وشكر وهناء . وما ابدع ما قالته القديسة
ترizia الصغيرة وهي في اشد حالات المرض والتألم : « لم يبق للالم
سبيل الي » لأن كل عذاب اضحم لي لذة » ^(١) . ان هذه الراهبة
الصغريرة هي حقاً بطلة الشجاعة المسيحية الكبرى .

(١) كتاب حياته : فصل ٤٢ ص ٢٨٦

البحث الثالث

في كيفية الحصول على فضيلة الشجاعة ، وفي طرق تقويتها
ان اولى الوسائل وافضلها للحصول على فضيلة الشجاعة هي
 ثقتنا بالله وحدنا من نفوسنا ، ومن اعتقادنا على ذاتنا في خلاص
 نفوسنا .

اما ثقتنا بالله فانها تجعلنا نتكل على نعمته ، عالمين ان
 كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة تأتينا من لدن اي الانوار .
 فحينما نعتمد عليه ونطلب معاونته بصلة حارة متواصلة نزال
 الشجاعة الازمة لنا في جهادنا . « من يثبت في وانا فيه فانه يأتي
 بشمر كثير . لأنكم بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً » ^(١) .
 وفي هذا المعنى قال الرسول بواس ايضاً : « اني اقدر على كل شيء
 بالذى يقويني » ^(٢) .

ولا بد لنا ايضاً من ان نأخذ حذرنا من نفوسنا ، ومن كربريائنا ،
 ومن اتكالنا على قوانا في امر خلاصنا . وإلا تخور ، لا حالة ، قوانا
وأنستسلم لضعفنا . « ولنا هذا الكنز في آنية خزفية ليكون فضل
 القوة لله لا مننا » ^(٣) .

لذلك وجب على الذين تهاجمهم تجارب الكربريا ، والاعتداد

(١) يوحنا ١٥ : ٥ (٢) فيليبي ٤ : ١٣ (٣) ٢ كورنثوس ٧ : ٤

بأنفس ان يغذوا فيهم عاطفة الحذر من نفوسهم ، والتجرد من اعتقادهم على ذاتهم في روحياتهم ^(١) . وليس معنى هذا ان يستسلموا للكسيل والخمول ، بل عليهم ان يجاهدوا وان يتكلوا في جهادهم على الله المعطى المعونة والقوة . اما الجبناء والموسوسون والمشائون الذين لا يرون في الدنيا الا بؤسها فعليهم ان يعملوا على انعاش روح الاتكال على الله في شدائدهم ومصاعبهم . « لازك انت يا رب قوتي » ^(٢) .

والواسطة الثانية للحصول على فضيلة الشجاعة هو رسوخ العقائد المسيحية في قلوبنا . لأن من تسبع بروح الایمان ، وبعقائد الایمان ، يجد فيها النشاط اللازم والشجاعة الكافية عندما تهاجمه التجارب ، او تكتنفه المحن ، او تخيم على قلبه اليبوسة الروحية الصعبة ، فيصبح في حالة من الضعف يخشى عليه فيها من التراخي ، بل من السقوط . فإذا انه يقويه ، وما رسم فيه من العقائد القوية يثبته ، والصلة تجذب له النعمة فتشسلمه وتكميل عملها فيه .

(١) ولكن لا يبرح عن بالنا ان الاعتقاد على النفس في الروحيات هو خطأ ، وانه في الزمنيات صواب اما في الروحيات فلأن العمل هو فائق الطبيعة ولا بد لاقامه من النعمة . اما في الزمنيات فلأن العمل زماني ويجب ان يصدر عنا وليس عن غيرنا الذي انا هو نظيرنا .

(٢) مزهور ٤٢ : ٢

ومن الوسائل الحسنة لتفادي الشجاعة المسيحية وقويتها
هي استدراك المحنـة قبل وقوعها والاستعداد لها . لأن من تأهب
للسـدة خفت عليهـ وطأتها . فلا يليـث ان يـقـهرـها .

اما الواسطة الكبرى الفعالة من بعد الصلاة والنـعـمة لنـيلـ

فضيلة الشجاعة وهي عاطفة الحبـة الصادقة القوية التي يـحبـ ان
نـعملـ دائمـاً على ايقاد نـارـها في قـلـوبـنا نحو اللهـ والـربـ يـسـوعـ ،
فتـحفظـ لنا النـشـاطـ ، وـتـغـذـيـ فـيـنـاـ القـوـةـ وـالـأـقـدـامـ . «ـفـانـ الحـبـةـ
قوـيـةـ كـالـمـوتـ»^(١) . هذا هو سـرـ ما نـراهـ فيـ التـارـيخـ منـ عـظـيمـ ما
اتـاهـ الرـسـلـ وـالـشـهـداءـ ، وـالـمـعـتـرـفـونـ وـالـأـبـارـ وـالـمـرـسـلـونـ وـسـائـرـ رـجـالـ
الـلـهـ فيـ الـدـينـ وـالـدـنـيـاـ منـ عـظـائـمـ الـأـمـورـ لـاجـلـ تـجـيـيدـ اللـهـ ، وـاعـلاـهـ.
شـأنـ كـنـيـسـتـهـ ، وـخـدـمـةـ الـبـشـرـيـةـ فـيـ كـلـ مـنـاحـيهـ الـرـوـحـيـةـ وـالـزـمـنـيـةـ .
فـلـمـ يـهـابـواـ شـدـةـ ، وـلـمـ تـقـعـدـهـمـ مـحـنةـ ، وـلـمـ يـنـلـهـمـ تـرـاـخـ ولاـ مـللـ ،
لـانـ مـحـبةـ الـمـسـيـحـ كـانـتـ دـائـماًـ تـحـشـهـمـ^(٢) . وـتـسـتـفـزـهـمـ وـتـجـددـ نـشـاطـهـمـ .
«ـفـنـ يـفـصـلـنـاـ عـنـ مـحـبةـ الـمـسـيـحـ اـشـدـةـ اـمـ ضـيقـ اـمـ جـوـعـ اـمـ عـرـيـ اـمـ
خـطـرـ اـمـ اـضـطـهـادـ اـمـ سـيفـ إـنـاـ فـيـ هـذـهـ كـلـهاـ نـغـلـبـ بـالـذـيـ اـحـبـنـاـ .
فـانـ لـوـاـثـقـ اـنـهـ لـاـ مـوـتـ وـلـاـ حـيـاةـ وـلـاـ مـلـائـكـةـ وـلـاـ رـئـاسـاتـ وـلـاـ
قـوـاتـ وـلـاـ اـشـيـاءـ . حـاضـرـةـ وـلـاـ مـسـتـقـبـلـةـ وـلـاـ عـلوـ وـلـاـ عـمـقـ وـلـاـ خـلـقـ آخـرـ
يـقـدـرـ اـنـ يـفـصـلـنـاـ عـنـ مـحـبةـ اللـهـ الـتـيـ هـيـ فـيـ الـمـسـيـحـ يـسـوعـ رـبـنـاـ»^(٣) .

(١) نـشـيدـ ٨ : ٦ (٢) كـورـ ٥ : ١٦ (٣) رـومـيـةـ ٨ : ٣٥ - ٣٩

حوادث تاريخية

القديسة بربارة

كانت بربارة شابة رائعة الجمال ، نادرة الذكاء ، مثقفة ثقافة عالية ، كثيرة الفن والخيرات . وكانت معبدة ابيهما اذ كانت وحيدته ، وسلامته من بعد وفاة زوجته . وكانت الدنيا تضحك لها بكل زخارفها ومسراتها واجدادها . وتقدم للزواج منها اشرف واغنى شهان مدينة نيقوميديا العظيمة عاصمة بلاد آسيا . لكنها رأت ان الرب يسوع هو احسن عريض ل نفسها وهو نعيم ابديتها ، وهو حارس نقاوتها ونضارتها . فتملت به ، وزهدت في كل شيء سواه حباً له .

فازدفمت الدنيا عليها تهاجها . فلم يثنها لا وعد ولاوعيد ، ولا تقليق ولا تهديد . بل صمدت للهجمات بشجاعة فائقة . فاهانوها وضربوها وسجنوها . ثم مزقوها بالحديد جسدها ، واسالوا دماءها . فثبتت على ولائم اوريس نفسها . هزت بكل عذابات الروح والجسد ، كما كانت قد ازدرت بكل ذم ارضي وبكل غنى ومجده . فلما رأى ابوها ذلك منها حق عليها ، ووتب وقطع بيده رأسها . فطارت نفسها الى العلي لتنعم الى الابد في دار الخلود باكمل شجاعتها ومحبتها ليسوع عروسها الاهي .

الفصل السادس

في فضيلة الشهامة

الشهامة هي ميزة النفس الكبيرة ذات الأخلاق العالية . وهي فضيلة ادبية مسيحية تحملنا على القيام باعمال عظيمة في سبيل الله وخدمة الناس بعاطفة شريفة ونفس كريمة . لذلك هي فرع من فروع فضيلة الشجاعة .

فالشهامة والحسامة على طرقين . فالحسامة والمطامع الذاتية مصدرها الانانية ، تحب الشهرة ، وترغب في الرفعة ، وتبعي المجد العالمي والسلطة . اما الشهامة فهي مجردة ، لا تتطلب فيما تأتيه من عظام الامور سوى اكرام الله عز وجل . لذلك فانها لا تصدر الا عن نفس شريفة واخلاق عالية ، ولا تصبو الا إلى غاية رفيعة كريمة سماوية . ولا بد لها من الشجاعة لكي تكون افعالها مطابقة لايامها ، ولكي تكون صادقة التجدد في نوائتها واعمالها .

وهي لا تكتفي بان تزيد وتشتهي بل تفعل ، وتقوم بانشاء المشاريع التقوية والخيرية الكبيرة ، نظير انشاء الرهبانيات والجمعيات والكنائس والديور و المستشفيات والمدارس والملاجئ .

والميام ودور العجزة وماوي المتشردين وما يشبهها . وتطالب في
الكمال ذروته ، وفي الفضيلة اعلاها . فالشهامة هي فضيلة النفوس
الكبيرة النبيلة . فلقد كانت فضيلة القديسين باسم يليوس الكبير ،
وانثاسيوس الاسكندرى ، واغناتيوس اليسوعي ، وفرنسيس
الاسيزى ، وعبد الاحد الدوميني . كانت فضيلة الكردinal
لا فجري ، والكردinal نيومن ، والبطريرك مكسيموس مظلوم ،
وسواهم من كبار رجال الكنيسة . كانت فضيلة الوف عديدة
من عظام النصرانية نظير او زانام وفيليب فرو ، وغرسيا مورينو ،
وسواهم .

ونقيضها انكماش النفس والجبن والخوف والتراجع والتردد ، وهي نعائص النفوس الصغيرة التي ترهب الاقدام ، وتحسب حساب الفشل قبل حساب النجاح ، وتهرب من التعب ، وتتخطى في التردد فلا تعرف ان تستقر على رأي . وهكذا تبقى كسوة جامدة بلا حرارة ولا بركة ، فتضيع الحياة في الخمول ، ولا تأتي بشمرة . ولقد كان يحدو بها ان تتعرض لشيء من الاخفاق والفشل من ان تبقى متلقعة بلا عمل . ومثلها مثل صاحب الوزنة الذي حفر وواراها في التراب هرباً من السعي وخوفاً من الخسارة ، فيجدهم عليه الرب بالحرمان والخذلان .

﴿ حادث تاريخي ﴾

كاسيلدا الكرملية الشريفة

ان القديسة تريزا الكبيرة الاشيلية وصفت باسمها في كتابها «الانشاءات»⁽¹⁾ كاظهرت الابنة الشريفة كاسيلدا من الشهامة في اتباع دعوتها الرهبانية.

كانت عائلة بادل من اشراف مقاطعة كاستيليا في اسبانيا ، في القرن السادس عشر . فمات رب هذه العائلة وخلف ولداً يدعى انطونيو وابنتين لويزا وكاسيلدا . وكانت الشرائع تقضي بان يرث الابن البكر اسم ابيه ولقبه وامواله . لكن انطونيو ما لبث ان ذبحى بكل خيرات الدنيا وزنیمهما ، وذهب فدخل في سلك الرهبانية اليسوعية تاركاً لشقيقته الكبرى لويزا كل ميراث ابيه .

الا ان لويزا عافت بدورها لمجاد الدنيا ومسراتها ، وتذاذت لآختها الصغرى كاسيلدا عن حقوقها ، وتفرغت للعبادة في زاوية منعزلة من بيت ابيها . فعادت تلك الخيرات الطائلة والامجاد العالية للابنة كاسيلدا وكانت لم تتجاوز بعد الحادية عشرة من عمرها . فمارعت اليها الدنيا لخدمها وتحملها ، وتعظم شأنها ، وتقديس اقل اشارتها . وتقدم احد الاشراف من اقرباتها فخطبها ، وأخذ يبالغ في اظهار محبتها لها وشفقه بها حتى تملك قلبها . فصارت لا تطيق البعد عنه . وصار كلما غاب عنها شمرت بغزوم الضجر والسماءة ثلاثة قلبها .

وكانت تربية الاسبان في تلك الازمان تربية دينية قوية عميقة . فكانت

(1) *Le livre des Fondations.*

كاسيلدا تقية متعددة . وكانت شديدة النباهة . فما كادت تبلغ الرابعة عشرة من عمرها حتى صارت تتحقق يوماً بعد يوم بطلان الدنيا وسرعة زوال نعيمها وامجادها . ورأت ان اخاهما واختها نبذها بحق . فعزمت هي ايضاً على ان تترك الدنيا للدنيا . فهربت يوماً من الايام واعتصمت في دير الراهبات الكرمليات .

فلا رأى ذلك خطيبها جنّ جنونه . وقام اهله يناصرونه . الا انهم اصطدموا بشجاعتها الفطرية وشهامتها الفائقة . فاستعنوا باوامر الملك واعدوها بقوة الشرطة الى قهرها . ولكنها هربت ثانية . فتركوها وشأنها .
وهكذا انتصرت شجاعة كاسيلدا وشهامتها على كل حيل الدنيا وجندها . وقضت في الدير حياة ملائكية ، وماتت كملائكة .
وكانت القديسة تريزيا تدعوها الملائكة . وبقي لها هذا الاسم طول حياتها ومن بعد وفاتها ^(١) .

الفصل السابع

في فضيلة السخاء

هي ايضاً من فروع فضيلة الشجاعة . السخاء هو الجود والكرم في البذل والمعطاء . وغايتها تمجيد الله وتعظيمه لكونه هو السخي الاكبر الجواد . وهذه الفضيلة تحمل النفوس النبيلة على البذل بلا حساب في سبيل الله واعمال الله .

والسخاء في الدنيا كثير ، والحمد لله . ها هي القاهرة ، والاسكندرية ، ودمشق الشام ، وجبل لبنان ، والدنيا المسيحية كلها ، شرقاً وغرباً ، فانها تنطق على الدوام بكرم المسيحيين واربكيتهم ، وصدق ايمانهم ، وعالی مبادئهم . فإن الاموال تبذل بلا حساب في سبيل المشاريع الدينية والخيرية على كثرتها وتعددها وتنوعها ، والدنيا ملأى بالاوقاف المحبوس ريعها على شتى المشاريع السماوية والارضية معاً . وها هي الكنائس والاديارات والمدارس والمستشفيات والماوى والمطاعم والجمعيات وكلها تعيش من ريع الاوقاف ومن حسنات المؤمنين . ان ميزانية الصليب الاحمر الدولي مثلاً لا تقدر ايراداتها ومصروفاتها الا بالملايين . وجمعية الاسعاف العمومية في القطر المصري تساعد الالوف من المرضى

والمصابين . وهكذا قل عن الوف الجمعيات والمؤسسات الخيرية
في الدنيا المسيحية . لانه من يوم ان قال رب : «اعطوا اعطيوا^(١) ...
كنت جائعاً فاطعمتموني^(٢) ... ب لهذا يعرفون انكم تلاميذ
اذا كنتم تحبون بعضكم بعضاً»^(٣) ... من يوم ان نشرت
النصرانية هذا التعليم انتشر السخاء بين العالمين .

ولكن لكي يكون السخاء فضيلة مسيحية يجب ان تكون
غايتها سامية، وان يكُون العطاء لوجه الله واكراماً له تعالى . اما
اذا تؤخذ الائنسان في عطائه وسخائه الجاه العالمي والجهد والشهرة ،
وتعظيم الناس له ، وتناءهم على عمله ، فان السخاء يصبح دعاية ،
وربما اصبح رذيلة مقوته . «انهم قد اخذوا اجرهم »^(٤) .

فالسخاء هو فضيلة الناس الطيبين من الأغنياء . وهو الحمية

البديعة التي يزينون بها حياتهم ، والجوهرة الفريدة التي تبقى لهم في آخرتهم . آه لو علم بعض الأغنياء من النفعيين او البخلاء ، جليل نفع هذه الفضيلة لهم ليأدوا الى اعتنافها ، وبذلوا اموالهم بسخا . في سبيلها ، لأنها المؤلءة الشميّنة التي تكلم رب عنها ، ودعا اليها ، وأثنى على من باع ماله كله واشتراها ^(٥) . فإن الدرهم الذي يبذل في سبيل الله يحفظ لبادله ، والذي يذهب في سبيل

(۳) یوحنّا : ۱۳

۲۰ : ۲۰ می (۲)

(١) لوقا ٦ :

۲۰ : ۱۳ مئی (۸)

(۲) میز د : ۶

الفخار او المطامع او الاهواء يضيع على صاحبها .

والسخاء لا يعتمد حقيقةً على الغنى . بل هو بذل ما بيدنا يوجد وكرم على قدر طاقتنا . فالسخاء هو كرم النفس قبل ان يكون كرم اليد . ان القديس منصور دي پول كان فقيراً ، ولكن لم يضاهيه امرؤ في عصره بجوده وكرمه وبذل الملايين في سبيل المشاريع التي انشأها وكانت تعيش من نواله ؟ فكان ينال كثيراً ويبذل كثيراً . ومن اتكل على الله وطلب وجه الله قدره الله على فعل العظام . وكمنه من المكارم . ولقد بقي فلس الارملة مثلاً رائعاً لمعنى السخاء الحقيقي . ويكتفي ان الرب عظمه وبجله صاحبته .

وآفة السخاء التبذير ، وهو بذل الاموال بلا داع ولا منفعة ، وكثيراً ما يكون بداع الشهرة . ومنهم من يتخصص ويبذل اكثر من طاقتة فيقع في العوز . فليل هؤلاء تلزمهم الفطنة لتحررهم من التهور والتسرع والخفة .

والسخاء ضد البخل ، وهو رذيلة ممقوته وقانا الله شرها . فهي من الرذائل الرئيسية التي تحيط في النفس كل عاطفة مسيحية ، لا بل كل مزية انسانية .

﴿حوادث تاريخية﴾

في السخاء المسيحي

ان الحوادث التاريخية في السخاء المسيحي هي اكثـر من ان تعد وتحصـى .
فلاكتفي بايراد بعضها ببـعـتها الايجاز .

عزم البابا لاون الثالث عشر يوماً على انشاء معهد عالي لدروس الكتاب المقدس . فوضع له المهندسون الناصريـم الـازـمة ، واعلـنت الصـحف اـكـلـافـهـ فـبـلـفـةـ مـلـيـونـ فـرـنـكـ ذـهـبـاـ .

ولم تمض الايام القليلة حتى تسلم قداسة البابا تحويلـاـ يـبـلغـ مـلـيـونـ فـرـنـكـ ذـهـبـاـ من « فاعل خـيرـ » لم يـشـأـ ان يـذـكـرـ اـمـهـ ، ليـكـونـ اـحـسـانـهـ لـوجهـ اللهـ ، مجرـداـ من كل غـاـيـةـ بشـرـيةـ . الا ان هذا المـهـنـ الـامـثـلـ رـجـاـ اـحـبـرـ الـاعـظـامـ ان يـتـكـرـمـ وـيـنـصـبـ في صـدـرـ القـاعـةـ الـكـهـرـيـ الـتـيـ سـتـشـيدـ لـهـذاـ المعـهـدـ هـيـالـ قـلـبـ يـسـوعـ ، وـانـ يـضـعـ عـنـ قـدـمـيـ هـذـاـ التـمـيـالـ شـعـارـ فـرـنـساـ . فـكـانـ هـذـاـ الـطـلـبـ دـيـلـاـ عـلـىـ اـنـ الـمـحـسـنـ هـوـ فـرـنـسيـ . سـخـاءـ مـسـيـحـيـ !

لقد اشتهر آل صيدناوي ببصر بـسـخـاءـهمـ في اـحـسـانـهـمـ . فـاـنـشـأـ سـلـيمـ وـسـعـانـ صـيـدـنـاوـيـ مـدـرـسـتـناـ الـكـهـرـيـ عـلـىـ شـارـعـ الـمـلـكـةـ نـازـيـ ، بـلـفـتـ تـكـالـيفـهـاـ بـحـسـبـ مـعـرـفـتـنـاـ نـحـوـ خـمـسـيـنـ الفـ جـيـنـهـ ذـهـبـاـ .

وانـشـأـ يـوسـفـ باـشاـ صـيـدـنـاوـيـ ابنـ المرـحـومـ سـعـانـ بكـ صـيـدـنـاوـيـ مـسـتـشـفـيـ وـطـنـيـاـ بـلـفـتـ تـكـالـيفـهـ نـحـوـ خـمـسـةـ وـارـبـعـيـنـ الفـ جـيـنـهـ .

وانـشـأـ وـرـقةـ سـلـيمـ وـسـعـانـ صـيـدـنـاوـيـ مـسـتـورـصـفـنـاـ الـجـانـيـ الطـائـفـيـ وـمـدـرـسـتـناـ الـجـانـيةـ وـانـفـقـواـ عـلـيـهـاـ اـيـضاـ اـمـوـالـاـ طـائـلـةـ . سـخـاءـ مـسـيـحـيـ !

وأوقف المحسن الكبير المرحوم جورج طويل لمشاريعنا الخيرية الطائفية في مدينة الاسكندرية ، الكنيسة الكاتدرائية ، والدار البطريركية ، وخمس بنايات كبيرة قرية منها .

وكما واقعة في احدى النقط الرئيسية في تلك المدينة العظيمة البحريه .

سخاء مسيحي !

وقس على هذه الامثلة ملايين مثلها في اقطار الارض الواسعة .



الفصل الثامن

في فضيلة الصبر

فضيلة الصبر هي فرع من فروع فضيلة الشجاعة، وهي الشقيقة الكبرى لفضيلتي الشهامة والسخاء، لكنها تفاضلها وتتقدم عليها. لأن السخاء هو بذل المال، أما الصبر فهو بذل الذات. «ليس لأحد حب اعظم من هذا ان يبذل نفسه عن احبابه»^(١). فلقد يصبر الانسان على فقد ماله اكثر مما يصبر على ضياع حريته وصحته وذاته. لذلك كان الصبر على البلوى اكرم من السخاء في العطا، والتبرع بخيرات الدنيا.

البحث الأول

في ماهية فضيلة الصبر

الصبر هو فضيلة ادبية مسيحية تجعلنا نتحمل بنفس هادئة جميع الآلام النفسية والجسدية لاجل الله واماً له، واقتداء

(١) يوحنا ١٣ : ١٥

باليسید المسیح الفادی ، ومشاركة له في آلامه .

ان فضیلة الصبر هي من الفضائل العمایة اليومیة ، لأن الآلام هي رفیقة الانسان في حیاته طول الايام . ولقد قال رب «من لا يحمل صلیبہ کل يوم ويتبغی فلن يستحقني»^(۱) . فالصلیب هو الرفیق الدائم الذي لا بد منه شاء المرء او ابی . هو قرین العمر يلازم الانسان من المهد الى اللحد ، في حداثته وشبابه ، وكهولته وشيخوخته ، رجلاً كان او امراةً ، عبداً او حرّاً ، ملائكةً او سوقه ، قائداً عظیماً او جندياً بسيطاً ، اسقفاً خطيراً او راهباً صغيراً . ولقد يکفى المرء ، ليکون قدیساً عظیماً ، شدائده الخاصة به ، لو قبلها بصبر ورضى ، اطاعة الله وتمثلاً باليسید المسیح . الا ان الكثیرين ينفرون من الالم فیتذمرون ویتأففون ، بل مواراً يشورون ویجذبون على احكام الله . حقاً ياتھاستھم . لأن الالم لا بد منه يرافقھم فیتأملون ؟ فاذا هم تذمروا يضیعون اجرھم فلا ينتفعون .

ومنهم من يحملون اصناف الشدّة والتعب والسهر والمرض اياماً وشهراً وسنین طوالاً وهم راضون قانعون ، ولكن ليس لاجل الله ومحبة الله بل طمعاً بالمال او متع او وظيفة او جاه ، او سعياً وراء عشق ائم ، او انتقام ذمیم ، او رغبة في التسلط

والجد والزهو والمفاضلة، او حبّاً للصيت والشهرة، او لغير ذلك من الاسباب الزمنية المشروعة او الغير المشروعة؟ فهو لا. يكون صبرهم خاسراً، فلا اجر سماوية لهم، لا بل اذا كانت غايتها آئنة فإنهم يأثرون.

أما الصبر على مصاعب الحياة وشدائدتها بروح العبادة والتواضع والتکفير والمحبة والتشبه بالسيد المسيح فهو الفضيلة الحقة المسيحية التي لها الاجور السماوية وموعده الحياة الدائمة الابدية. ان في الصليب الذي يقبله المرء برضى ويحمله بصبر اكراماً لله، وخضوعاً للتدبره واحكامه، ومشاركة لابنه الحبيب في آلامه، في هذا الصليب التکفير والتبرير والاجور السماوية، وقوه النفس في جهادها، وصعودها الى قمة القدسية في حياتها. نعم ان الصليب الذي يحمله المسيحي بقبول يكفر به عن خططيته، وينقي به نفسه من آثامها، ويحفظ لها في السموات كنوزاً لا تبلى. وبه يشدد عزائه في الحزن، ويقوى على التجارب، ويصل الى القدسية الحقة المسيحية في الدنيا والسعادة الدائمة في الآخرة. «تذكري يا ابني انك نلت خيراتك في حياتك ولم ازر كذلك بلاياء والآن فهو يتعزى وانت تتعدب»^(١).

ومن الناس نفوس شهمة ابية سخية تحمل الصليب بصبر

ورضى تكفيراً عن غيرها ، لمشاركة المسيح في صلبيه وفي آلامه لاجل البشر . وهذا هو سر مانزاه في حياة بعض القديسين من الصبر العجيب الذي يصل بهم الى منتهى البطولة المسيحية . فكم من الزوجات اعدن الى اليمان ازواجهن بصبرهن المسيحي وبما احتملن لاجلهم من شدائدهن ومحن . وكم من اخوات مسيحيات تقىيات صبورات متقدفات كن باحتماهن وصبرهن سبب نجاة وخلاص اخوة لهن كانوا شاردين ، ذاهبين وراء مطامعهم ، راكمضين وراء معاصيهم ، متهدرين . وكم من راهبات عفيفات محصنات كن للكهنة وللمرسلين في اتعابهم ورسالاتهم اكبر نصير بفضل صبرهن وتقىنهن وجميل خضوعهن .

شكراً احد الكهنة يوماً ، الى القديس ماري فياني كاهن قرية ارس بفرنسا ، اخفاقه في خدمة رعيته رغم كل ما بذله من الجهد في سعيه وعمله . فاجابه الكاهن القديس : هل مارست لاجل رعيتك اعمال الصوم والتقطيف والصبر ، هل جلت نفسك ، هل احييت الليلي ساهراً ساجداً امام القربان ؟ .. اعمل هذا فتتحقق .

وقالت القديسة اللطيفة تريزا الطفل يسوع يوماً لرئيستها وهي في اشد حالات المرض والتزاع : « يا امي ان الكأس قد طفحت . كلام احسب قط يوماً يانه كان من الممكن ان اتألم كما

اتّلُمُ الآن ، واني لا اجد سبباً لذلك الا رغبتي في خلاص
النفوس »^(١) . وقالت ايضاً يوماً آخر : « انني اشعر في داخلي
شيء سري لا اتخذه . اشعر باني اتّلُمُ ليس لاجل ذاتي بل لاجل
نفس من النفوس ... الا ان الشيطان لا يريد ذلك »^(٢) .



البحث الثاني

في درجات الصبر

ان المبتدئين في الحياة الروحية يمارسون الصبر في درجته الأولى
بان يتحملوا الآلام والشدائد بلا تذمر لاجل الله . ويعاونهم
في صبرهم املهم الوطيد بالحصول على الملكوت السماوي ،
ورغبتهم في التكفير عن آثامهم ؛ ويعرفون ان في الصبر على
الشدة تنقية قلوبهم ؛ وتقويتها في جهادها ، وانعاشها في وقت
الحزن واليأسة والمضائق الروحية والجسدية .

اما المتقدمون في الكمال فانهم يقبلون الآلام والشدائد
والاحزان برضى وتسليم ليس فقط بروح التكفير واملاً بالملائكة ،

(١) في كتاب حياتها : فصل ١٢ ص ٣٠٤ (٢) ايضاً فصل ١٢ ص ٢٨٥

بل ايضاً لكي يسيراً على اثر الفادي الاهي المتألم ويكونوا معه روحًا واحدةً وعاطفة واحدة وحياة واحدة.

ولما كان دأبهم التأمل في حياة الرب يسوع فإنهم ينظرون إليه في جميع اطوار حياته؛ فيبدو لهم انسانَ آلامِ وصبرٍ من المهد الى اللحد فيتعلقون به، ويشغفون بالآلامِ، ويستخدمونه مثلاً وإماماً. ان الفادي الحبيب عاش معدباً منذ الدقيقة الاولى من حياته حتى الساعة الاخيرة منها، ساعة موته. تألم في مغاربة بيت لحم من البرد، وبالاً كثراً تالم من قلة معرفة مواطنيه. تالم في هربه الى مصر. تالم في حياته الخفية الفقرية الشاقة مدة ثلاثة سنين. تالم في ايام بشارته، وصبر. صبر على الجوع والعطش والتعب والسهر، وعلى غلاظة قلوب سامييه، وعلى مطامع رسليه. صبر على كبراء الرؤسا، ورذاء الكثرين. صبر على آثام الخطأة، وعلى مضائق الجموع له، وعلى نكران جميله. ثم صبر على انواع الآلام بصمت رهيب واحتمال عجيب. صبر على خيانة يهوداليه، وعلى هرب تلاميذه، وعلى جحود بطرس لصداقه ومحبته، صبر على اللطم على الخد، وعلى الجلد بالسياط، وعلى اكليل الشوك، وعلى الاهانة والهزء والسخرية، وعلى المسامير، وعلى الصليب الشائن الاليم. صبر على رؤيته والدته الحبيبة واقفة امامه وقلبهما يتمزق حزناً عليه. صبر على تفجع رسوله الحبيب، وعلى

عويل النسوة العزيزات على قلبه . صبر على شراسة الفريسيين ، وعلى صلابة قلوبهم ، وعلى تهكمهم ، وعلى ازدرائهم به واستهانة صغارهم لقوته وانكارهم لصلاحه . صبر على نكران جبيل جهود أولئك المتفرجين على تسهيده وآلامه وموته وقد كانوا منذ بضعة أيام خلت يصفقون له ويذيعون بمجاشه واحسانه . صبر على رفعه على خشبة العار واللعنة بين لصين سافلين مجرمين . تألم حتى لم تبق جارحة من جوارح نفسه وجسمه الا صلبت معه ؟ ولا عضو من اعضائه الا ترقق وسالت دماؤه ، حتى اضحي بحق رجل الوجاع والآلام . ولقد صدق حقاً فيه قول اشعيا النبي : « لا صورة له ولا بها فتنظر اليه » ، ولا منظر فنستهيه ؟ مزدري ومخذول من الناس رجل اوجاع ومتمرس بالعاهات ومثل ساتر وجهه عنا » ^(١) . نعم على هذا كله صبر حتى اضحي بحق مثال الصبر على انواع الآلام كلها وافظعها واطولها . فالى هذا المثال ينظر المسيحيون الحقيقيون ، وعلى طريقة ينسجون ، حتى اذا حق لهم يوماً ان يقولوا مع الرسول : « صلبت مع المسيح » ^(٢) حق لهم ان يرجوا الجد مع المسيح : « وحيث نحن ابناء فنحن ورثة الله ووارثون مع المسيح ان كنا نتألم معه لنتمجد معه » ^(٣) . وهذا ما يوصي ايضاً به القديس بطرس

(١) اشعيا ٥٣: ٦ - (٢) غلاطية ٢: ١٩ - (٣) رومية ٨: ١٢

في رسالته : « فاذ قد تألم المسيح بالجسد فتسالحوا اذتم ايضًا بهذا العزم عينه . فان من تألم في الجسد يراح من الخطية » ^(١) .

والدرجة الثالثة في فضيلة الصبر هي درجة الكاملين من المسيحيين الذين يرغبون في الآلام والمحن ، ويشهرونها شهوة ، ويجدون فيها لذتهم ، وتنعم بها قلوبهم ، لفرط شغفهم بالرب يسوع ، ولرغبتهم في التشبه به ، وطلبهم لمشاركة كره في آلامه . هكذا كان الرسل والقديسون أجمعون . وبولس الرسول يقول : « فبكل سرور افتخر باوهاني لستقر في قوة المسيح » ^(٢) . وايضاً : « انا فائز بالفرح في جميع مضائقنا » ^(٣) . وكتاب الاعمال يذكر ان الرسل بعد ان أهينوا وسجنووا وجلدوا « خرجوا من وجه المحن فرحين بأنهم حسروا مستآهلين ان يهانوا لاجل اسم يسوع » ^(٤) . ولقد طالما كانت الغبطة في وسط الاوجاع والآلام العلامة الفارقة للقدسية المسيحية . لأن المخلص الاهي بدأ بها وسارط في اثره جموع الرسل والشهداء والمعترفين وسائر القديسين ناسجة على منواله فيها ، محبة له ومشاركة في آلامه . قال رب : «ولي صبغة اصطبغ بها وما اشد تضاعي حتى تتم » ^(٥) . ومن بعده قال الرسول لاهل كولسي : « اني افرح

(١) ابطرس ٤ : ٩

(٢) ٢ كور ١٢ : ٩

(٣) ٢ كور ٧ : ٤

(٤) لوقا ١٢ : ٥

(٥) اعمال ٥ : ٤١

الآن في الآلام من أجلكم واتم ما ينقص من شدائند المسيح في جسمي لاجل جسده الذي هو الكنيسة »^(١) . وبولس لا يتكلم بهذا باسمه فقط بل باسم جميع الكاملين من المسيحيين .

وفي هذا المعنى ايضاً يقول القديس اغناطيوس اليسوعي : « كا ان اهل الدنيا الشديدي التعاقد بالارضيات يرغبون في الاجداد ، ويركضون وراء الشهرة ، ويسعون في طلب الرفعة ، هكذا يحب على الذين يتبعون يسوع المسيح برغبة اكيدة ، ان يسرعوا الخطى وراء كل ما يخالف روح العالم ، وان يرغبا رغبة حارة في كل ما هو من روح المسيح ، الى حد ان يستهوا الخزي والعار ، والاقراء عليهم بشهادات الزور ، واطراح الناس لهم كأنهم اغبياء حقى ؟ وذلك رغبة منهم في التشبه بالسيد له المجد ؛ على شرط ان لا يكونوا قد اعطوا لهم سبيلاً لذلك ، وان لا يهان اسم رب يسوع بسباتهم . وهكذا يمكنهم بعونه نعمة الله ان يتشبهوا بالفادي الاهي على قدر طاقتهم ، وان يسيراً في كل شيء في اثره ، لانه هو الطريق الحق الذي يقود الناس الى الحياة ». فهذا التعليم معناه ان محبة الصليب هي زهرة محبة الله وثمرة الاتحاد الصحيح بالفادي الاهي يسوع المسيح . وكانت القديسة تريزا الطفل يسوع بطلة الحب السامي والتضحية العميقه الكاملة

تقول : « ان آلامي الصغيرة هي سبب افراحني الصغيرة » .
وأيضاً : « لم تعد الآلام تزعجني لاني حقاً اشتهر بها » . وأيضاً :
« هل من غبطة اعذب على قلبي من ان اتألم لاجل حبك
يا الاهي » ^(١) .

وان هذه الراهبة الصغيرة والبطلة الكبيرة قدمت ذاتها
ذبيحة للحب الالهي وتضرعت الى فاديها وعرি�سها يسوع لكي
يتصرف بها كما يشاء ويصب عليها من الآلام ما شاء ؛ وتوسلت
اليه ان يكثر اوجاعها وآلامها وان يقبلها ضحية لمحبته وكفارة عن
اساءات البشر اليه . وما ابدع اجييج عواطفها ولواعيج قلبها اذ
تقول : « هل عدلك وحدء يا ربى والاهي يريد ذبانح تكفير ؟ أما
أن حبك الرحيم يريدتها ايضاً ؟ .. اقبلني يا يسوع فاكونانا
هذه الضحية السعيدة . أذبني يا يسوع بنوار حبك الالهي انا
الحرقة الصغيرة » ^(٢) . وكانت ترiziya الافيلية الكبيرة لشدة
رغبتها في الآلام تقول : « إما الآلام او الموت . لكنني افضل
ان اتألم من ان اموت واتنعم » .

الا ان المعلمين الروحيين لا يسمحون لاي كان بان يسارع
الي تقدمة ذاته ضحية للعدل الالهي او للحب الالهي ؛ لأن عملاً
كمذا له نتائج خطيرة تلزمها فطنة كبيرة ، لكي لا يذهب المرء

(١) في كتاب حياتها فصل ١١ ص ١٩١ (٢) ايضاً فصل ٨ ص ٦٧٧

ضحية او هامه المتقلبة ، وعواطفه الواقتية ، وحماسته الحسية . وفي ذلك يقول الكاتب الروحي الاب سميدت : « من الناس من يُقدم على تقدمة ذاته ضحية لله ويطلب منه تعالى ان يفتقده بالالم كثيرة وشديدة مدفوعاً بعاطفة الحماسة في ساعة من ساعات الحرارة الحسية . ولكن سرعان ما تذهب حرارته وتزول حماسته ، فلا يلبث ان يشعر بضعفه وتراثيه عن اتمام مواعيده ؛ ولا يكون اذ ذاك لديه من الشجاعة ما يكفيه لحسن القيام بمقاصده ، ولا إخضاع ارادته لأحكام الله خصوصاً تماماً حسب ما وعد به ابان ثورة نحيلته . فلا تلبث تجارب القنوط ان تهاجمه . وسرعان ما تراه يتائف ، ثم لا يلبث ان يتذمر على احكام الرب وتدبريره وعنایته . وهذا ما يسبب متاعب شتى للمرشدين الروحيين في ارشادهم لمثل هذه النفوس » ^(١) .

فلا يحدركم اذا بنا ان نطلب من الله الصليب والآلام ، او نوعاً خاصاً من الشدائـد والمحن . واذا ما شعرنا بميل الى مثل هذه العبادة وجب علينا قبل ان نباشر منها عملاً ما ان نستشير مرشدآ فطناً ونسير على حسب ما يرسمه لنا من منهج واضح في هذا المعنى .

وقد لخص هذا التعليم الاب كابيل (P. Capelle)

(1) *Notre vie surnaturelle. T. II, p. 260*

الاختصاصي في هذه الدروس ، فقال في كتابه « النفوس الجوادة »⁽¹⁾ : يحجب علينا ان نضع نصب اعيننا اموراً ثلاثة : او لها ان الفادي الالهي هو الذي يختار ضحاياه ؟ ؛ ثانية انه هو ذاته يشعرها قبل الاوان بالشدائد التي سوف يفتقدها بها ؛ ثالثة انه قبل ذلك يتطلب رضاها وموافقتها بكمال معرفتها وحريتها .

فعلى النفوس المتعطشة الى الآلام ، الراغبة في مشاركة الفادي الالهي في عذاباته واجاعه ان لا تبادره هي بطلب البلاء والمحن بل ان تقبل برضى من يديه ما يأمر هو به ، ثم تصبر عليه . اما اذا تفضل هو ودعها الى شرف تقدمة ذاتها ضحية لحبه او لعده ، وسمح لها مرشدتها بذلك ، فعليها اذ ذاك ان لا تتوانى في اجابة سؤله ، والخضوع لراغب قلبه .



(1) *Les âmes généreuses*.

﴿ حادث تارينخي ﴾

صبر ايوب^(١)

لقد بقى ايوب الصديق مثلاً اعلى للصبر على البلوى . ونحن نذنب من الكتاب المقدس وصف ما ابتلاء الله به من الشدائى وكيف صبر على بلایاه العديدة ببيان صادق ونفس كبيرة وقلب لا يعرف ان يتزعزع .
« كان رجل في ارض عوص اسمه ايوب . وكان هذا الرجل سليماً مستقيماً يتقى الله ويحيى نسب الشر » .

« ولد له سبع بنين وثلاث بنات » .

« وكانت قرينته سبعة آلاف من الغنم ، وثلاثة آلاف من الإبل ، وخمس مائة فدان بقر ، وخمس مائة اتان . وله عبيد كثيرون جداً . وكان ذلك الرجل اعظم ابناء المشرق جمیعاً » .

« وكان بنوه يذهبون فيصنعون مأدبة في بيت كل منهم في يومه . ويعشون فيدعون اخواتهم الثلاث ليأكلن ويشربن معهم . فاذا تم مدار ايام المأدبة كان ايوب يبعث فيقدسهم ، ثم يسكر في الغداة فيصعد محركات على عدد جميعهم . لان ايوب كان يقول : اهل بني خطئوا وجدهوا على الله في قلوبهم » .

وصح الرب للشيطان ان يضربه ليختعن تقواه وصبره . « فقال الرب للشيطان : ها ان كل شيء له في يدك . ولكن اليه لا تقدر يدك » :
« واتفق يوماً ان بنيه وبنااته كانوا يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر . فاقبل رسول الى ايوب وقال : كانت البقر تحرث والآتن

^(١) سفر ايوب ٢ و ١

ترعى بجازيهما ، فوقع عليها اهل سباً وأخذوها ، وقتلوا الغمان بجذب السيف .
وأفلت انا وحدي لا أخبرك » .

« وفيما هو يتكلم قبل آخر وقال : قد سقطت نار الله من السماء واحرقـت
الغم والعلمـان وأكلـتهم . وأفلـت انا وحـدي لا أـخبرـك » .

« وفيما هو يتـكلـم قبل آخرـ وقال : وقد افـترـقـ الكلـدانـيونـ ثلاثةـ فـرقـ
وـهـجـمـواـ عـلـىـ الـاـبـلـ وـأـخـذـوـهـاـ وـقـتـلـوـهـاـ وـقـتـلـوـهـاـ بـجـذـبـ السـيفـ .ـ وأـفـلـتـ اـنـاـ وـحـديـ
لاـأـخـبرـكـ » .

« وفيما هو يتـكلـم قبل آخرـ وقال : كانـ بـنـوكـ وـبـنـاتـكـ يـأـسـلـونـ
ويـشـرـبـونـ خـمـراـ فيـ بـيـتـ اـخـيـهـمـ الـأـكـبـرـ .ـ فـاـذـاـ بـرـيحـ شـدـيـدةـ قدـ طـلـعـتـ مـنـ
عـرـضـ الصـحـرـآـ وـصـدـمـتـ زـوـيـاـ الـبـيـتـ الـأـرـبـعـ فـسـطـطـ عـلـىـ الـغـلـمـانـ فـاتـرـاـ وـأـفـلـتـ
اناـ وـحـديـ لاـأـخـبرـكـ » .

« فـنـامـ اـيـوبـ وـشـقـ رـدـاءـ وـجـزـ شـعـرـ رـأـسـهـ وـخـرـ عـلـىـ الـارـضـ وـسـجـدـ .ـ
وـقـالـ :ـ عـرـيـانـاـ خـرـجـتـ مـنـ جـوـفـ اـمـيـ وـعـرـيـانـاـ اـعـوـدـ اـلـىـ هـنـاكـ .ـ الـرـبـ اـعـطـىـ
وـالـرـبـ اـخـذـ ،ـ فـلـيـكـنـ اـسـمـ الرـبـ مـبـارـكـاـ » .

« فيـ هـذـاـ كـلـهـ لـمـ يـخـطـأـ اـيـوبـ ،ـ وـلـمـ يـقـلـ فـيـ اللـهـ جـهـلـاـ » .

ثمـ سـعـيـ الـرـبـ لـلـشـيـطـانـ اـنـ يـزـيدـ عـلـىـ ماـ أـنـزلـ بـهـ مـنـ شـدـةـ وـانـ يـضـربـهـ
بـجـسـدـهـ لـيـمـتـحـنـ ثـيـاثـهـ فـيـ تـقـواـهـ وـصـبـرـهـ .

« فـقـالـ الـرـبـ لـلـشـيـطـانـ :ـ هـاـ اـنـهـ فـيـ يـدـكـ وـاـكـنـ اـحـفـظـ بـنـفـسـهـ » .

« فـخـرـجـ الشـيـطـانـ مـنـ لـدـنـ وـجـهـ الـرـبـ وـضـرـبـ اـيـوبـ بـقـرحـ خـبـيـثـ مـنـ
بـاطـنـ قـدـمـهـ اـلـىـ قـتـهـ .ـ فـأـخـذـ لـهـ خـزـفـ لـيـحـتـكـ بـهـ وـهـ جـالـسـ عـلـىـ الـرـمـادـ » .

« فـقـالـ لـهـ اـمـرـأـتـهـ :ـ إـلـىـ الـآنـ اـنـتـ مـعـتـمـدـ بـسـلامـتـكـ .ـ جـذـفـ عـلـىـ اللـهـ
وـمـتـ .ـ فـقـالـ لـهـ :ـ اـنـاـ كـلـامـكـ كـلـامـ اـحـدـيـ السـفـيـهـاتـ .ـ أـنـقـبـلـ حـيـرـ مـنـ اللـهـ
وـلـاـ تـقـبـلـ مـنـهـ الشـرـ » .

« فيـ هـذـاـ كـلـهـ لـمـ يـخـطـأـ اـيـوبـ بـشـفـقـتـهـ » .

الفصل التاسع

في فضيلة الثبات

ماهرباً . - الثبات هو فضيلة مسيحية تحمل الانسان على الاستمرار في الصبر والجهاد والاحتمال حتى النهاية من غير ان يستسلم للضجر او للقنوط او للكسل .

ان الانسان ميال بطبيعته الى التقلب والتغير والملل . ويضجر من الجهد المتواصلة ، ويتورّب من متابعة السهر على نفسه ، ويتراءى له مراراً انه لا يستطيع الاستمرار على مقاومة التجارب والصمد الدائم للمحن . فيتعرض للتراخي والكسيل . فلنلا يستسلم للملل والضجر تلزمـه فضيلة الثبات . فالثبات هو القوة المنيعة التي تحرس سائر الفضائل وتحميـها من الضياع والاضمحلال . لذلك كانت هذه الفضيلة فرعاً من فروع الشجاعة . وينجح على المسيحي الذي يطلب ان يحافظ على كنوز النعمة التي في قلبه ان يعلم ان الفضيلة لا تتواصل في قلبه ولا تصبح ملكرة في حياته الا بتـكرار الافعال ومرور الزمان ؛ وان الضجر يسبـق القنوط والكسيل فتبـرد المهم ، وتـتراخي الارادة ، ويدهـب النشاط ؛ فتـبعـث الامـيـال من مـكـامـنـها .

وَكَثِيرًا مَا يَنْصَبُ الْمَرءُ مِنْ جَدِيدٍ بِشَرِهِ عَلَى مَا يَكُونُ قَدْ حَرَمَ
نَفْسَهُ مِنْهُ زَمَانًا ، مِنْ شَهْوَاتِهِ وَمَلَازَاتِهِ . وَهَكُذَا يَعْرُضُ نَفْسَهُ
لِخَسَارَةِ فَضَائِلِهِ وَثَارِ جَهُودِهِ .

كِبَرَةُ الْحَسْوَلِ عَلَى فَضْلَيْهِ الْبَهَائِتِ . - ان الثبات على الصلاح
والتفوي والفضيلة هو نعمة من الله يسبغها تعالى علينا
بتتحققه ورجته . لذلك كان علينا ان نطلبها بالصلاحة الحارة
المتواصلة ، متسلين الى قلب يسوع ينبع المراحم والنعم ،
والى البتول الطاهر شفيعة النفوس التقية المسيحية ، ان يحفظانا
بالنعم ، ويثبتنا في مقاصدنا ، ويقويانا على الدوام في اعمال تقوانا
وفي شدائنا . فالصلوة هي الواسطة الأولى الكبرى للثبات .

وَالْوَاسِطَةُ الشَّانِيَةُ الْفَعَالَةُ هِيَ التَّأْمِلُ فِي الْعَقَائِدِ الْكَبِيرِيَّةِ
المسيحية وفي عواقبنا الاخيرة . فعندما ننظر الى الدنيا ووجهها الى وجهه
زراها زائلة ؟ واذ نتأمل الابدية فنشعر بأنها را كضة اليانا مسرعة ؟
وعندما تتشبع نفوسنا من حقيقة محبة يسوع لنا ، ومن ملكته
الذي يتضررنا ، تنشط نفوسنا ، وتتجدد على الدوام قوانا ،
وتتنعش قلوبنا ، فتدوم السعي في طلب الفضيلة ، ونبت في
خدمة الله ومحبته وعبادته . ولا يغرب عن فكرنا ان الله لا يطلب
منا النجاح في اعمالنا ، بل يريد حسن النية وصدق الجهد .

حادث تارينخي

اغسطينوس ومونيكا

قضى اغسطينوس شبابه في قلق واضطراب . واستغرقه بدعة المانشيين
قتبها ، وصار من المجاهدين في ميدانها . واستسلم من بعد ضلال العقل الى
ضلال القلب فسقط الى احط درجات الامم والرذيلة .

لكن قلب والدته مونيكا القدسية كان ساهم اعليه ، وعينها يقظى
ترقبه فتألمت كثيراً اضلاله وغوره ، وذرفت دموعاً غزيرة عليه . ولكنها
كانت تصلي لاجله بثبات ، وتتضرع الى الله بلا انقطاع ، مثابرة على الدعاء
والصوم والامالات والآمال . وبقيت عشرين سنة لا تيأس من رحمة الله ولا
من رجوع ابنها الى ايانه وواجباته واليها . حتى فازت بيفيتها ورجحت ابنها ،
وكان الله موجود لا نظير له ذلك الشبات العجيب ، فوهب كنيستة نافعة من
النوابغ التي يندر ان تظفر الاجيال بثلها في تارينخها .

وما كاد يرجع اغسطينوس عن غوره بفضل دموع مونيكا امه .
وبسمي وقداسة امه وسوسوس اسقفه وصديقه حتى سار بخطى جباره في طرق
القداسة ، وانبرى يدافع عن الايان القوي بعزيمة لم تثنها الايام ولا المكاره ولا
الشدائد ، حتى صار ثيماً ساطعاً في سماء الكنيسة ، واضحى على مر
الاحداث الفيلسوف الكبير بين فلاسفة النصرانية والدنيا .
والنصر ما زال غرة الشبات والتضحيه والمحبة الصادقة .

الفصل العاشر

في فضيلة القناعة

نور بفرها . - ان الشجاعة تنصرنا على عاطفة الخوف وتقوي ارادتنا في الشدائد اما القناعة فانها تُمكِّننا من الغلبة على ما نشعر به من الميل المفرط الى المتعة الذئوية وانواع الملاذات الارضية .

فالقناعة هي فضيلة ادبية مسيحية تلطّف جاح اندفاعنا في طلب ما نجد من الملاذات في حاستي الذوق والمس ، وتقيده في المحدود المشرورة الحسنة .

ان القناعة تشرف على حسن انتظام كل متعة ، وكل لذة يمكن ان يطليها الانسان ويتمتع بها . إلا انها تنظر بالاكثر الى تلطيف جاحه في الاندفاع نحو ما يجد من المذلة في الاكل والشرب ، وفي العلاقات الجنسية . ان المرء ميال بطبيعته الى الافراط في طلب المتعة ، ويشعر برغبة داخلية عنيفة تدفعه الى الشره في استعمال اللذة . وكثيراً ما يُعرض عن الغاية الشريفة التي لا جل تسهيل الوصول اليها ، وضع الله المذلة . فيسعى في طلب هذه المذلة لاجل المذلة نفسها ، فيجعلها غاية بدل ان تبقى واسطة ،

ويطرح عنه الواجب الذي لا جله ولا جل تسهيل القيام به، وضع
الله تلك اللذة . وعندما تصبح اللذة غاية، تؤدي الى عكس غايتها
مراراً، فتسبب أضراراً، وتكون هذه الأضرار عقاب من حاد
عن جادة الواجب والصواب .

فالقناعة تلطف هذا الجحاح ، وتنظم حركته ، وتقيده في
حدود العرف والشرع والقانون ؟ بل تذهب الى ابعد من ذلك
فتتجه احياناً حتى عن طلب ما هو حق مشروع لتكبده وتأسره
فيبيقي خاضعاً لا يتمرد على الارادة ، ولا يخرج عن دائرة العدل
والمنطق والغاية الشريفة التي اتفا وضعت اللذة لا جلها .

من شعر

البحث الاول

القناعة في الاكل والشرب

ان الله وضع اللذة في الاكل والشرب ليسهل لنا واجب
المحافظة على صحتنا وحياتنا . ان الحياة هي هبة منه تعالى ، فلا
حق للانسان عليها ، فهي ملك الخالق كما يشاء يتصرف بها . وان
الله مبدع الطبيعة لكي يحمل الانسان على احترام حياته وضع لذة
الاكل والشرب قواماً لها وعوناً على بقائها .

ولما كان الإنسان ميالاً إلى إفساد ما صلح ، جمل يطلب في الأكل والشرب المذلة ، ويسرف في طلبها ، ويفرط في استعمالها ، متناسياً الغاية الشريفة التي وضعت لأجلها . فاضحى لذلك شرها آنذاك .

فالشرارة هي الأفراط في استعمال لذة الأكل والشرب ؛ هي طالب المذلة لأجل المذلة . فبدل أن يستخدم الإنسان لذة الأكل والشرب ليشبع جوعه ويحفظ صحته وحياته ، يجدُ في طلبها ، ويفرط في استعمالها إلى حدٍ أنها تصبح في غالب الأحيان سبب امراضه وموته . لأن من الناس من يجعلون بطونهم آهاتهم (١) . فيقضون أيامهم لا هم لهم إلا موائدهم .

فالإنسان الشره يأكل في كل آن من غير ان تدعوه الى ذلك ضرورة الصحة والحياة . الإنسان الشره يتغنى كثيراً في تحضير افخر المأكولات والمشارب ليزيد فوق العرف المقبول في لذة طعامه وشرابه . الإنسان الشره لا يكتفي باشباع جوعه بل يأكل ويشرب فوق طاقته وأكثر بكثير من شبعه بداعع المذلة التي يجدها في مأكوله . الإنسان الشره يهجم على الموائد كما يهجم الحيوان على فريسته ، فيأكل بينهم ، ولا يأبه لما في ذلك من غلاظة وقلة ادب وعدم كياسة .

شر الشراهة . - فالشراهة دناءة واساءة معاً . هي دناءة لأنها تحدى المرء إلى درجة الحيوانات ، فيصبح اسير شره ونهمه ، لا يفكر إلا بأكله ولا يهمه إلا ملأ بطنه ، وينسى انه انسان فينزل إلى رتبة الحيوان ، بل يصبح احبط من الحيوان ، لأن الحيوان يعاف الاكل حينما يشبع ولو كان لديه شهيّاً ، أمّا الانسان الشره فلا يعرف الشبع أبداً .

والشراهة هي ايضاً اساءة . فهي اساءة إلى الله ، وإلى المرء ، والشره ذاته ، وإلى قريبه . لأن الشره ينسى وصايا الله ، فينبذ شريعة الصوم ؛ ويبدىء امواله في الاكل والشرب مهملاً عائلته وزوجته وأولاده ؛ وينسي إلى صحته وربها إلى حياته .

ولقد ابدع الخطيب الكبير الاب جانفيه في وصف مفاسيل الشراهة فقال : « ان الإفراط في الاكل والشرب يهدى السبيل لرذيلة الدنس ، لأن هذه الرذيلة الدنيئة تكون مراراً نتائجة الشراهة . وهكذا تتدنس الأذان والعيون وتتصبح تطاب شهوتها السافلة في الملاهي وفي البذبي من الأغاني . وتتدنس المخيلة فتضطرّب . وتتدنس الذاكرة فتقوم تبحث في حوادث الماضي عمماً يهيج الشهوة الفاسدة . وتتدنس الأفكار فلا تقع إلا على المواضيع المحرمة . ويتدنس القلب فلا يتשוק إلا إلى الحب الحسي والعشق الجسدي . وتتدنس الارادة فترمي سلاحها

وتنسق سلسلة لاستبداد الحواس الجسدية بها... وشرابه الاكل تقود الى شرابة الانسان . ويعلم الله كم ينزل اللسان وكم يتمور الانسان وهو جالس على الموائد الفخمة يلتهم اطعمةها ويفرق في مشربها ، فينسى المرء فيها مقامه ، ويرمي الى الحضيض هيبيته ، ويكتئن وظيفته ، ويفضح اسراراً كان قد وعد بكتئانها ، بل يفشي اخباراً تقضى مهنته بان يحترم قدسيتها ، وربما عرض صبيت زوج بل سمعة زوجة وام للريبة والاهانة . وقد يسبب احياناً تدنيس شرف عائلة باسرها ؟ وربما عرض مستقبل شعب باسره لأسوء الشرور . ويما ما يخطىء الانسان الشره اثناء الولائم ضد فضائل العدل والمحبة . فلا رادع يردعه عن النميمة والافتراء ، وعن الفضيحة بكل انواعها ، لا بل يطلق العنان حرية ذميمة مستخرجة ليس لها ما يبررها . ويما ما يتعدى ايضاً حدود الفطنة العاقلة فيرتبط بمواعيد ، ويتعهد بالقيام باعمال يعسر عليه اتمامها ما لم يوضح بكل الشرائع المقدسة »⁽¹⁾ . ألم يأمر هيرودوس بقطع رأس يوحنا المعمدان اثناء وليمة بعد ان كانت المذرة قد لعبت في رأسه وتهيجت اعصابه ؟

وتكون الشرابة اثناً خفيقاً فقط عندما يتتجاوز الانسان في اكله وشربته مألف عادته ومطالب صحته والظروف المشروعة المحيطة به .

(1) Carême 1921, Ret, Pasc. Excès de table.

روا الشراء : الدواء الأول هو النية الصالحة في جلوسنا على موائدنا. والنية الصالحة معناها ان نجلس الى الطعام بعاطفة مسيحية فنأكل لنتغذى ونتقوى ونتمكّن من حسن القيام بواجباتنا وخدمة الله وخدمة قريتنا . معناها ان نشكر الله على ما أنعم به علينا من الغذا ، وان نتواضع امامه معترفين بأننا غير اهل لما يجود به علينا من كفافنا وخبز يومنا ، وان نحبه ونعده بان نضع قوانا في خدمته . «فإذا أكلتم أو شربتم أو صلمتم شيئاً فاعملوا كل شيء لمجده الله»^(١) . وقيل في سفر طوبيا : «ثم تقدموا إلى الوليمة إلا أنهم اخذوا وليمة العرس بخوف الله»^(٢) .

والدواء الثاني هو التقشف . ان القناعة معناها الاكتفاء بما يشبع جوعنا . اما التقشف فهو حرمان ذاتنا شيئاً مما يحق لنا تناوله من طعامنا وشرابنا . وهي عادة طيبة يستعملها المسيحيون لينجوا من شرور الشرابة الذميمة . ولقد طالما كان رجال الله متقشفين في ما كاهم ومساربهم لأنهم يعلمون ان لا قوام للحياة المسيحية الا بالزهد والتقشف . وان الحياة الرهبانية ، وهي الحياة المسيحية الكاملة ، مؤسسة على الزهد والاصوات الكثيرة وامانة الشره بانواعه من حيث انواع المأكل وكيفيتها و اوقيات

(١) ١ كور ١٠ : ٩ (٢) طوبيا ٣١ : ٦

تناولها . وهذا ما حل الكنيسة المقدسة ايضاً على وضع شريعة الصيامات الأسبوعية والسنوية .

اما بخصوص المشروبات الروحية فخير ما نعمله ان نأخذ القليل منها مما يوافق مزاجنا وصحتنا . وان امتنعنا عنها امتناعاً كاملاً يكون افضل لنا لان هذا النوع من التغذية مفید جداً لتفويته ارادتنا واعطاه المثل الصالح لقريبنا .

البحث الثاني

في فضيلة العفاف

العفاف هو القناعة فيما هو من حسنة الحس ، وعلى الاخص في كل ما له اتصال بالعلاقات الجنسية ، من حيث الافكار والاقوال والافعال . لذلك كان العفاف تلك الفضيلة المسيحية البهية الزنبقية التي تلجم فيما كل ما يخالف النظام الموضوع من الله في المذات الجسدية . ولما كان الله قد رتب هذه المذات لاجل غاية شريفة وهي دوام بقاء الجنس البشري ، وجعل الزواج المقدس الشرعي واسطة لتحقيق تلك الغاية الشريفة ، كان كل عمل يخالف هذا الترتيب الالهي شرًّا واثماً معاً .

ولما كان الانسان يندفع بطبيعته اندفاعاً عن يفا نحو المتعة الجسدية دُعيت فضيلة العفاف الفضيلة الملائكية لانها تقرب الانسان العفيف من الملائكة الذين لا جسم لهم ولا يشعرون بتلك الاميال الجسدية . لذلك كان السلوك في طريق العفاف عسراً، شديداً المتاعب . ولا يتسرى المرء ان يسير فيه الا بكبح جاج اهوائه وامياله ، وباستعمال انواع التقشف والزهد المسيحي .

درجات العفاف . - للعفاف درجات : اولها ان نحرص كل الحرص على ان لا نقبل برضانا اي فكر او تصور او شعور او عمل يخالف فضيلة الطهارة .

وتانيها ان نبعد حالاً عن مخيلتنا وعن ذاكرتنا كل فكر او ذكر او صورة او شعور من شأنه ان بشوه جمال هذه الفضيلة الملائكية .

وثالثها ان يصل بنا تحكمنا بعواطفنا واميالنا الى حدٍ انساً لو دعتنا الفرورة لكي نتحدث عن الامور التي لها اتصال بالعلاقات الجنسية ، من القاء درس ، او شرح ، او ارشاد ، او تحذير ، لا نشعر باي اضطراب داخلي او خارجي ، كاللو كنا نتحدث عن مواضيع غريبة عن هذا الموضوع . وهذا ما لا نصل اليه الا بعد جهاد طويلاً وتقشف مديد .

ورابعها ان يبقى الانسان متزهاً عن كل شعور يخالف

العفاف والطهارة فلا يشعر بميل من الاموال الجسدية ولا بشهوة ما من الشهوات اللحمية ، بل يبقى ساكناً هادناً في افكاره وخيالاته وقلبه واعضائه . انا لا ا يكون هذا الا بمنعة خصوصية وموهبة فائقة بجازية من لدن الله ، كما كانت حال البتوول مريم مدة حياتها كلها ، وكما حصل لبعض القديسين في شطر من حياتهم . فان القديس توما الا كوريني مثلاً نعم بهذه الموهبة السامية الملائكية من بعد حادث عظيم كانت فيه فضيلته عرضة لأشد المخاطر فخرج منه منتصرًا ظافراً . لذلك كفأه الله بان عصمه من كل ميل يخالف فضيلة الطهارة البهية ، وصار التاريخ يدعوه المعلم الملائكي .

أنواع العفاف . — العفاف على نوعين : العفاف في الزواج ، والعفاف في العزوبة ، او الطهارة الكاملة . وستتكلم بايجاز عن كل منهما .

﴿العنوان﴾ العفاف في الزواج

يائمه . — القناعة في الزواج او العفاف في الزواج هو الاعتدال في طلب المذات الجسدية ، وتقدير النية في استعمالها . ولقد رفع السيد المسيح الزواج الى درجة سامية فجعله سرّاً من الاسرار السبعة المقدسة ليعلن للبشر ان الزواج طريقة

نبيلة، والغاية منه شريفة . فهو قوام وجود وتكاثر الجنس البشري على الارض ، وأصل نعيم جماهير القديسين في السماوات . لذلك كان الزواج شيئاً عظيماً . فليس هو لذة وقوتية جسدية ذئبية ، بل هو قبل كل شيء رسالة الاهمية . وهو غبطة روحية تعقبها ثمرة علوية . هو اغتباط روحين وقلبين ببعضهما وتعاونهما على الحياة وتكلافهما لحسن أداؤه واجباتها . وثمرة تلك المحبة والارتباط والغبطة والتعاون هو الولد الذي يعمّر الارض ويملا السماوات .

فالزواج هو من المهات الكبرى المقدسة . لذلك ضلّ وسقط من طلب فيه مجرد اللذة الجسدية الحيوانية ، وجرده من غايتها النبيلة الإنسانية الالهية . فالمرأة هي شريكة الرجل في حياته الاجتماعية ورسالته السامية ؟ ومقامها لا ينقص عن مقامه شرفاً واعتباراً ، ولو كانت واجباتها الاجتماعية والعائلية غير واجباته ، ووضعها غير وضعه . فهي قلبه النابض وغبطته المقدسة ، كما هو فخرها وسبب هنائها . وان واجباتها تساوي واجباته في المسؤولية ، وحقوقها كحقوقه في الاجور الساوية . فهي ملكة متوجة في بيتهما وليس أمة مشترأة لمجرد متعة صاحبها او زوجها . فالزواج هو اتحاد قلوب قبل ان يكون اتحاد اجسام . وغايتها الكبرى الولد ؟ والغاية القصوى السماوات . لذلك يائش اثناً فطبيعاً من يطلب لذة الزواج في غير محلمها ويدنسها . ولهذا كان

العفاف في الزواج من اكبر فضائل الحياة الزوجية . فالعفاف هو الامانة في المعاشرة ، والاستقامة في الحبة المتباذلة ، والاعتدال في الاستعمال ، والتضحية في الحياة المشتركة .

وما ابدع ما وضعه بولس الرسول من شريعة اساسية لسر الزواج المسيحي المقدس . وفيه كل عوامل المنهاء والسعادة والقداسة معاً : « ايها الرجال أحبّوا نساءكم كما احبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لاجلها ... من احبّ امرأته احبّ نفسه ... ان هذا السر عظيم ... لتتخضع النساء لرجالهن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة كما ان المسيح هو رأس الكنيسة » ^(١) .

فإذا ما احب الرجال نساءهم كما احب المسيح الكنيسة، ليس شهراً او شهرين ، او سنتاً او سنتين ، في ايام الصبا والجال والغنى ، بل في كل ايام الحياة ، وكل اطوارها وتقلباتها وبذلوا في سبيلهن نفوسهم كما فعل المسيح مع الكنيسة ، عبدن لهم نساوهم وخصمت لهم كما تخضع الكنيسة للمسيح . وبذلك سعادة الحياة الزوجية والأولاد الصالحون .

فالزوج اذا ليس هو لذة ومتعة فقط بل هو غبطة وسعادة . لأن مجرد طلب اللذة الجسدية هو اصل شرور كثيرة ومتاعب كثيرة ، والافراط فيها يسبب امراضاً وعاهات لا تبرأ . اما الغبطة

فهي روحية ولا تجدها الا في الحياة الحقة المسيحية .
 ويقول القديس فرنسيس السالسي في ذلك : « ايها الرجال
 احبوا نساءكم محبة قلبية صادقة دائمة . فاذا اردتم ان يحفظن
 لكم الامانة الزوجية فعليكم ان تكونوا انتم لهن في ذلك خير
 مثال . وانتن ، ايتها النساء ، ان شرفكن هو في عفافكن
 وطهارتكن . فاحافظن على هذا الجد بغيره صادقة . إياهاكن ان
 تعرّضن صيتكن لما يذبل نضارته . واحذرن من يأتيكن
 بعبارات الثناء ، ولا سيما من يحتقر ازواجهن امامكن ، لانها
 تكون اهانة لكتن . فان من يحسرون على مثل هذا ، لا يرغب في
 سقوطكن فحسب ، بل يعتبر انكن قد بدأتن فعلا بالسقوط ».
 والقديس غريغوريوس النزيزي يخاطب الرجال بجرأته
 المعتادة ويقول :- « باي عين وقحة تجسرون على مطالبة زوجاتكم
 بالامانة والعفاف اذ تكون حياتكم اذتم ملطخة بالادناس » .

الوامبات الزوجية . - ان العفاف في المعاشرة الزوجية
 يقضي باشياء ثلاثة : يقضي اولاً بان تكون النية في الزواج
 طاهرة . ونجده مثلاً لذلك في الكتاب المقدس في سيرة طوبايا
 الصغير البار : « ووعظ طوبايا البكر وقال لها : يا سارة قومي
 نصلی الى الله اليوم وغداً وبعد غدٍ فإنما في هذه الليالي الثلاث
 نتحجد بالله ؟ وبعد انقضاء الليلة الثالثة نكون في زواجنا . لأنّا بنو

القديسين فلا ينبغي لنا ان نقترب اقتران الام الذين لا يعرفون الله . فقاما معاً وصلياً كلاهما بحرارة حتى يعافيهما . وقال طوبيا : ايتها الرب الاه آبائنا ، لتبار كلك السموات والارض والبحر والينابيع والانهار وجميع خلائقك التي فيها ... والآن يا رب ، انت تعلم اني لا لسبب الشهوة اتخذ اختي زوجة ، واغارغبة في النسل الذي يبارك فيه اسمك الى دهر الدهور . وقالت سارة ايضاً : ارحمنا يا رب ، ارحمنا حتى نشيخ كلاما معاً في عافية »^(١) .

وهو يقضي ثانيةً بان لا يمتنع الزوجان عن بعضها ، بل يقبلان على المعاشرة بأمانة واحلاص ورضى ، عالمين ان كل ما من شأنه ان يساعد على ولادة الاولاد فهو حسن ومحبوب عند الله ، وان كل ما يحول مباشرة دون هذه الغاية الشرفية فهو اثم ومعصية . « ليكن المضي طاهراً » يقول القديس بولس . ولهم ان يتربكا بعضها الى حين عن اختيار موافقته بروح التقشف مثلاً ، او لغير ذلك من الاسباب المشروعة . ولكن ليكن ارشاد بولس الرسول في ذلك نوراً لهم يستضيئان به : « ليقض الرجل امراته حقها و كذلك المرأة ايضاً رجلها . ان المرأة لا تتسلط على جسدها بل رجلها ، وكذلك الرجل ايضاً لا يتسلط على جسده بل امراته . لا يمنع احد كما الآخر عن ذاته الا على موافقة الى حين لكي تتفرغا

للصلوة ثم عودا الى ما كستها عليه لثلا يحربكما الشيطان لعدم
عفتكما»^(١).

وهو يقضي ثالثاً بالاعتدال في استعمال الحقوق الزوجية.
ان الافراط هو في كل شيء ضرر وخسارة، وعلى الاكثر في
الامور التي لها علاقة بالزواج. اما الوصول الى هذا لا يمكن الا
اذا اعتقاد المرأة اخضاع شهواته لواجباته. وان المصاعب في ذلك
تذلل بالصلوة والتقبش والشجاعة ونعممة الرب يسوع.

﴿العفاف في العزوبة والبتوالية﴾

ان الطهارة الكاملة هي واجبة على كل انسان غير مرتبط
بسن الزواج المقدس. والغير المتزوجين انواع:
منهم العزاب الذين لم يتزوجوا بعد ولكنهم يرغبون في
الزواج. ومنهم الارامل. ومنهم الذين عاهدوا الله على ان
يحافظوا طوال حياتهم على البتوالية، رهباناً كانوا ام راهبات،
كهنة ام علمانيين. فالواجب المسيحي يقضي على هؤلاء كلهم
ان يحافظوا على طهارة قلوبهم واجسادهم اتم الحافظة بكل
قوتهم. وان طهارة القلب ونقاؤة العاطفة وبتوالية الارادة هي
قبل طهارة وبتوالية الجسد، حتى لقد يفقد المرأة هذه وتبقى

الاولى على كالمها وبهائها . وكم من مرة في تاريخ النصرانية جاھرت
البتولات العفیفات امام المستبدین من الحکام الوثنيين ، لما كانوا
يتهدوھن بفضی بکارتهن وازال العار بهن ان هن أصرذن
على التمسك بآیامنهن بأن البتولية هي قبل كل شيء فضیلة
القلب وانها بعيدة عن متناول المغتصبين .

ويفقد الانسان فضیلة الطهارة ليس بالفعل الدنس فحسب ،
بل بكل فکر او عاطفة او نظره او لمسة غير مرتبة وغير
نقية . لذلك وجہ على المسيحي ، لکي يكون طاهراً عفیفاً ،
ان یسهر على طهارة افکاره : « وبعد ایها الاخوة ، مهما يكن من
حق او عفاف او عدل او طهارة ... ففي هذه فلة کن
افکارکم » ^(١) . — وعلى طهارة رغائبہ : « ایها الاحباء اسألکم
کالغرباء والنزلاء ان تبتعدوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب
النفس » ^(٢) . — وعلى طهارة نوازتره : « قد عاهدت عینی ان
لا أنامل في عذراء » ^(٣) . وايضاً : « ان كل من نظر الى امرأة
لکي یشتهیها فقد زنى بها في قلبه » ^(٤) . — وعلى طهارة اقواله :
« فالزنی وكل نجاسة او بخل لا يذكر ولا اسمها فيما یینکم على ما
يليق بالقديسين » ^(٥) . — وعلى طهارة اعماله : « طوبی للانقياء

(١) ایوب ٣١ : ١

(٢) ابطرس ٢ : ١١

(٣) فيلبي ٤ : ٨

(٤) افس ٥ : ٣ و ٦

(٥) مق ٥ : ٢٨

القلوب فانهم يعاينون الله»^(١) . وايضاً : «فاسألكم ايهما الاخوة
ببراحم الله ان تقربوا اجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله
عبادة منكم عقلية»^(٢) .

ولما كانت فضيلة الطهارة من اصعب الفضائل المسيحية
مارسة لانها فضيلة ملائكية في خلائق بشرية لها مع ارواحها
اجساد حية ، كان لا بد لها من وسائل فعالة قوية لحفظها
وصيانتها . وترجع هذه الوسائل الى مناهج اربعة رئيسية : اولها
التواضع ، وثانيها التقشف ، وثالثها ادمان المطالعة وحسن القيام
بالواجبات اليومية ، ورابعها تغذية القلب بعواطف الحبة الالهية .

١ التواضع . — سوف نتكلم باسهاب عن هذه الفضيلة
المسيحية السامية ، ونشرح في فصل خاص ماهيتها ودرجاتها
ومنافعها . اما الان فاننا نكتفي بان نلمس الموضوع لمساً مما
يناسب المقام فقط فنقول :

ان التواضع الذي يحمي فضيلة الطهارة فيما يحملنا على ان
نخاف من نفستنا ومن ضعفنا ، فلا نتكل على ذاتنا وعلمي
فضيلتنا وعلى قوانا في صيانة طهارة نفوسنا واجسادنا ، بل نتكل
على الله ومعونة نعمته . ونضع فيه كل ثقتنا وأماننا . وكثيراً
ما يكون السقوط في رذيلة الدنس نتيجة كبرياتها وزهونها

وخيلاً نَا . فيعاقبنا الله بانه يتركنا لنجمي نفسنا بنفسنا ، فتتهور ونستسلم لاهواننا ، ونسقط سقطاتٍ تشيننا وتذلنا . « وقد زعموا انهم حكماً فصاروا حقى ... فلذلك اسلهم الله في شهوات قلوبهم الى النجاسة لفضيحة اجسادهم في ذواتهم »^(١) . ويسمح رب احياناً بتجارب رائعة تهاجم الاتقياء من الناس والمتعبدين حين يراهم وقد استكثروا الى فضيلتهم والى حسن ونقاء ماضيهم ، فتركوا التقشف والشهر على فنوسهم . وما اصدق ما قال المعلم الروحي اوليه في معنى ما تقدم : « لما كان الله يأذن سكيراً من ان يرى المرء مزهوًّا بنفسه فيعمل على اذلاله ، ويسمح بان يصير الى احط دركات الهوان . واكي يجعله تعالى يتتحقق ضعفه وعدم اهليته لان يقاوم الشر بنفسه ويصون الطهارة في قلبه من غير معونته تعالى ونعمته ، يسلمه الى التجارب الدنسة الفظيعة » ، بل قد يسمح به فيسقط فيها ، لكونها احط من سواها كلها ، وتترك من بعدها شعور خزي وعار أليم . نعم هكذا يعاقب الله الانسان المتكبر المعتمد بنفسه ، المتتكل على قوته وفضيلته . اما الانسان المتواضع فانه ينال نعمة وطمأنينة وقوة وثباتاً . ولقد كان القديس فيليب فيري يخاطب الله ويقول له : « يا رب خذ حذرك من فيليب لئلا يخونك » .

ويجب علينا ان لا نترافق في حذرنا من نفوسنا ، وفي سهرنا على ابواب قلوبنا ، وفي اتكالنا على معونة الله طول ايام حياتنا ، ولو صرنا في سن الشيخوخة ، ولو قضينا السنتين الطوال في الفضيلة والطهارة الملائكية . لان للعدو ردات عنيفة ومفاجآت غريبة مخيفة . الا ان الذي يخاف من نفسه ، ويحسب دائماً حساباً لضعفه ، ويستمر في طلب معونة رب كل يوم من ايام حياته ، ولا سيما في تجاربه ، لا يسمح الله بان يجرب فوق طاقته . اما التجربة فهي حسنة لنا لأنها تذكرنا بضعفنا وباحتياجنا الى العون الالهي في كل شؤوننا وعلى الاخص في امر خلاصنا . «فإنما لا نزيد أن تجهلوها إيماناً بالأخوة من جهة ما أصابنا من الضيق في آسيمة إنما ثقل علينا بأفراط فوق الطاقة حتى ملأنا من الحياة نفسها ، لئلا نتكل على نفسها بل على الله»^(١) .

والتواضع الذي يحملنا على الخوف من ضعف ارادتنا يجعلنا نبتعد عن الاسباب المثيرة لاهواننا وحواسنا . اما الاسباب الكبرى المسيبة للاضطرابات الجسدية فيممن وقفوا حياتهم على خدمة الله في حال البتولية فهي مجالسة النساء والبنات لاجل مجرد التسلية ، ومسامرتهن ومجازلتهن ، والانفراد معهن ، والاسترقال في الاحاديث العاطفية والشجون الزواجية بحضورهن .

وعلى الكاهن بنوع اخص ان يحرص كل الحرص على نقاوة قلبه في معاملاته مع السيدات ، وفي زيارة المريضات منهون ، وفي ارشاده لاعذاري البتولات او للمتزوجات ؟ فيجتنب كل ما من شأنه ان يجرح سمعته ويعرض اسمه لاسهام اللوم والشك . لذلك يجدر به ان يتسلح بالرصانة ، وان يترك ارشاد النساء الى منبر الاعتراف ، وان لا يستعمل في مخاطبتهن كلاماً محسولاً ، وان لا يتظاهر لهن بالعطف المشير لعواطفه وعواطفهن . لأن المرأة طبعت على ان تنظر الى عطف الرجل عليها بعين الجسد اكثر مما تنظر اليه بعين الروح .

اما الاسباب الأخرى المهيجة للاميال الفاسدة فهي كثيرة ولا تقع تحت حصر . والرئيسية منها : قراءة الروايات الخلاعية ، والنظر الى الصور البذرية ، وحضور الحفلات السينمائية المربية او الفاسقة ، والاشتراك في الاجتماعات الراقصة المتهتكة ، وغضيان الحمامات البحرية وبرك السباحة الخصوصية حيث تباح انواع العري المستهترة وشتي الالعاب المشيرة للدعارة . ولا يقول قائل ان هذه الموضات العصرية اضحت لازمة ضرورية ، وانها لكثرة انتشارها وما ألفة الناس من استعمالها يخف او يتلاشى شرعاً او يذهب **الكثير** من وطأتها : ليس المخاطر يُحْمَدُ
وَلَوْ سَلِيمَ .

٢ التقشف . — لقد طالما كان التقشف الواجب الكبير للشهوات الجسدية . ولطالما حارب به القديسون ميولهم ونزعات حواسهم وانتصروا عليها بنعمة الرب ومعونته .
والتقشف يشمل الجسم كله مع الحواس الداخلية والخارجية باجمعها . فإذا ما بقي الجسم اسير الروح سهل على النفس الظفر بميوله ونزعاته : « بل اقع جسدي واستعبده » ^(١) . لذلك كانت وصية الصيام ، والقناعة في الاكل والشرب ، وجلد الجسد بالجلد ، وغير ذلك من افعال الامانة ، خير معين على حفظ فضيلة الطهارة ، وعلى انتصار الارادة على ثورات الجسد النازية .
ان زنقة الطهارة لا تCHAN نضارتها الا بين اشواث انواع الامانات الخارجية والداخلية معاً .

فمنها امانة العين : لأن العيون هي الابواب الكبرى التي منها تدخل جيوش اعداء الطهارة . « قد عاهدت عيني ان لا اتأمل في عذراء » ^(٢) ، يقول ايوب الصديق . وابن سيراخ يقول ايضاً : « لا تتغرس في العذراء لئلا تتعثرك حاسنتها » ^(٣) . وايضاً : « اصرف طرفك عن المرأة الجميلة ولا تتغرس في حسن الغريبة » ،
فان حسن المرأة اغوى كثيرين وبه يتلهب العشق كالنار » ^(٤) .

(١) كور ٩: ٢٧ (٢) ايوب ١: ٣١

(٣) سيراخ ٩: ٦ (٤) سيراخ ١٠: ٩

ولقد قال رب الجد في الانجيل : « ان كل من نظر الى امرأة لكي
يشتت فيها فقد زنى بها في قلبه » ^(١) .

ومن اماتات الحواس اماتة الاذان واماطة اللسان : « فالزني
وكل نجاسة او بخل لا يذكر ولا اسمها فيما بينكم على ما يليق
بالقديسين » ^(٢) . فاين سفاهة الكلام والاغاني البذيئة من هذه
الوصية البولسية ؟

والامانة هي على الاكثر اماتة اللمس . ما اجمل ما كتب
في ذلك المؤلف الروحي پيريف (Perreyve) : « يا الهي اني
اكرس لك يديَ الان اكثر من كل آن . لك اكرسهها واقوم الى
حد الوسواس على حراستها . ان يديَ هاتين ستتصبحان بعد
ثلاثة ايام يدين كهنوتيتين ، وسوف تلمسان وتحملان جسدك
ودمك . لذلك اريد ان احترمها ، اريد ان اجلُّها كما اجلُّ الاولى
المقدسة التي على هياكلك » ^(٣) . وسائل احد الكهنة يوماً القديس
منصور دي پول قائلًا : هل يحسن به ان يلمس يد امرأة مدنفة .
فاجابه القديس : « حذار من ذلك . لانه سهل على الشيطان ان
يستخدم هذه الواسطة لكي يحرث الكاهن والمدنفة معًا . حذار
ان تلمس ابنةً او امرأةً ، منها دعت الاسباب الى ذلك » . وان

(١) مئ ٥ : ٢٨ : (٢) افس ٥ : ٣

(1) *Méditations sur les saints Ordres*, p. 105. éd. 1874

من الاسباب المهيجة للعواطف والحواس مما لمس الاولاد
وملاطفتهم وتقبيهم . ما عدا ان هذا النوع من لعب اليدى
يشير الشكوك في قلوبهم الغضة وربما يفقدهم نقاوتهم وسذاجة
طويتهم .

وامانة الحواس الخارجية تشمل ايضاً حاسة الذوق . وقد
تكلمنا عنها في حديثنا عن القناعة في الاكل والشرب .
وهي تشمل ايضاً حاسة الشم . لأن التضمخ بالعطور الى حد
الافراط يشير الشهوات فيما ومن حولنا .

اما امانة الحواس الداخلية فهي امانة المخيلة والذاكرة ، وعلى
الاخص امانة القلب وما ينشأ فيه من شتى العواطف ، وما يصبو
اليه من انواع الرغائب .

ان للمخيلة فعلاً كبيراً وتأثيراً خطيراً في امور الطهارة والعفاف .
لان التصورات الغير المرتبة تثير في الاعضاء اضطرابات قوية .
وان الكثير من التجارب الدنسة يهاجمنا بواسطة مخيلتنا . فلا
ينجو منها لا كبير ولا صغير ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا رجل
ولا امرأة ، ولا ناسك ولا قديس . وان افضل وسيلة للخلاص
من هذه التصورات هي الصلاة ، ثم ابعادها عننا باشغال فكرنا
ومخيلتنا بغيرها . ومثل هذه التصورات تلازم الناس الاتقيناء
احياناً ملازمة متعبة مزعجة . ولكن لا بأس عليهم اذا تواضعوا

امام الله وتدلّوا وصلوا وابعدوا عن الاسباب .

واكبر معين للمخيّلة في عملها هو الذاكرة؛ لأنّها تحفظ الصور وتعرضها امام المخيّلة فتقبل هذه عليها تلتها، وتريد في ابرازها وتكمّلها وتريدها . فمن اراد صون طهارته من هجمات مخيّلته عليه ان يطفي انوار الصور الغير اللائقة التي سبق له ان رأها او سمع بها ، وحفظتها له ذاكرته في خزانتها .

والاماتة الكبرى التي تحفظ الطهارة هي اماتة القلب؛ وهي اصعب الاماتات كلها . لذلك هي افضلها . ان الذين كرسوا الله بتوليتهم وعاهدوه على حفظ طهارتهم ، نظير الكهنة والرهبان والراهبات وبعض رجال الله من العلمانيين والعلمانيات ، عليهم ان يسهروا على قلوبهم وعواطفهم لكي تبقى لهم تعالى ، فلا تذهب وراء الخلاائق والذنبا . فamatة القلب ، والتقصّف في عواطف القلب ، هي مثل هؤلاء الوسيلة الكبرى لحفظ التولية .

ان الانسان طبع على الحب . والحب هو من ضروريات حياته . وان من مات قلبه ماتت عواطفه ، وهمدت احساساته ، وانطفأت رءاته ، واضحي حجراً قلًّا ان يرجو منه احد خيراً . فكيف نوفق بين اماتة القلب وبين ضرورة تغذية عاطفة المحبة والمرودة والتفاني فيه لكي يتابر الانسان على عمله؟ ان الامر لا يخلو من صعوبة ومن انتباه ودقة . فان العاطفة تخدم كثيراً في القيام

بالواجبات وحسن الاجادة فيها، لاسيما في اوقات المصابع والشدائد. فأفضل وسيلة لكي نبقى للقلب حرارته وعاطفته حتى يتبع بها عمله هي ان نوجّه نحو الله محبتة، فتبقى النار فيه تغذيه. وبذلك يسهل علينا ان نلجمه عن التعلق بالدنيا، وعن السير كما يستهي ويهوى؛ ونجرده بالامانة المتواصلة عن الارضيات فيبقى للسماويات، لانه سريع التحول من وجهته الروحية الى عاطفته البشرية. وكثيراً ما بدأ القلب بالمحبة الالهية وانتهى به الامر الى المحبة الشهوانية. فالفطنة والشجاعة والحذر الدائم والتواضع والصلة والاتكال على الله من ضروريات حياة اصحاب العفة والبتوالية.

وما اجمل ما قاله القديس فرنسيس السادس في فلسفة الحب : «كثيراً ما يتراهم لنا اذنا نحب هذا الانسان لاجل الله، وال الصحيح اذنا نحبه محبة لنا ولاجل ذواتنا . نقول ان محبتنا له هي خالصة لوجه الله ، ولكننا نحبه لما نجد فيه من تعزية لنا ومن غبطة لنفسنا ». ويعزى الى القديس اغسطينوس هذا القول : « ان الحب الروحي ينشئ الحب العاطفي ، وهذا يبعث على الحب الخدوم المتفاني؛ وهذا التفاني يولد الحب الاليف الطلاق ، والألفة توصل الى الحب الشه沃اني ».

فالمحبة التي تولدها الصداقة بين رجل وامرأة ، وبين استاذ

وتلميذه، وبين كاهن وافراد رعيته، وراهبة وتلميذاتها، وصي ورفيقه، لكي تبقى صدقة برية ومحبة نقية مسيحية يجب ان لا تتعدى الحدود المعقوله، وان تتنزه عن الالفة الطلاقة الحرة التي غالباً ما تولد الشهوات الجسدية. لذلك لا بد من ابقاء المحادثات المسؤولة، والعشرة الخفيفه، والمداعبة المسترسله.

ونتيجة القول ان زينة الطهارة لا تCHAN نضارتها الا بالتواضع والتقشف مع جهاد دائم لا يعرف الكلل ولا الملل. وهذه الزهرة السماوية هي مجد الديانة المسيحية؛ فهي زينة جنانها، وزينة رجالها ونسائها، وبهاء شبابها وشبابتها.

بقي علينا ان نقول كلمتين في الوسائلتين الاخريين لحفظ الطهارة وها الاقبال على الدرس والمطالعة، وتعذية القلب بعواطف المحبة الالهية.

٣ الاقبال على الدرس والمطالعه وحسن القيام بالواجبات اليومية . -

لما كانت البتولية الدائمه هي حال الرهبان والكهنة كان المهرب من البطالة والانصباب على الدرس والمطالعة من اقوى الاسلحة لهم وانجعها لصون فضيلة الطهارة في قلوبهم واجسامهم. «فإن الفراغ يعلم ضروب الخبرث»^(١)، يقول ابن سيراخ. ويقول المثل الروحي السائر: «المكب على عمله يجر به شيطان واحد وأما البطل

فيجربه مئة شيطان». والمثل العامي في هذا طريف أيضاً: «رأس الكسلان دكان الشيطان». ولا غرابة في ذلك لأن من لا عمل له يستسلم لأحلامه وأوهامه وتصورات خيالاته. وافكاره تحمله عادة ليس إلى السماوات والآلهيات بل إلى الأرضيات والجسديات، فيعرض زنبقة طهارته لأرياح السموم فتذبل؛ وربما يبست وسقطت. أما المكدر والمجد والمطالع والكاتب، والمنهمك في شغل يتطلب امتعان فكر وجهود عقل، فمثل هذا لا يجد متسعًا من الوقت ليغير تجارب الشيطان التفاتاً، او ليترك لنزعات الطبيعة وميوتها مجالاً. وهكذا يعيش عادة بعيداً عن كرات العدو وحيله ودهائه، ويسلم من غواصاته.

لذلك كان الاقبال على المطالعة، وعلى اعمال الغيرة الرسولية وخدمة النفوس، من النجع الوسائل لحفظ العفة. لأنها قلباً القلب ثقافةً وغذاءً روحيًا، وتبدد الاوهام، وتشغل الاوقات، وتتوفر على رجال الله تعبأً وعناً.

٤ تغذية القلب بعواطف الحبة الالمية . — ان الشغل والدرس

يحصنان عقلنا ضد هجمات الافكار الدنسة والتصورات القبيحة. أما محبتنا لله فهي تحمينا من الميل العاطفي الحسي نحو الحالائق البشرية، وتبعد عنا الكثير من التجارب الغير اللائقة.

لقد خلق الانسان لكي يعيش من الحب. «ان الله

محبة »^(١) ، ولقد خلق الانسان على صورته ومثاله . وهكذا خلقَ
الانسان ليحيا منوراً بعواطف الحب . لذاك كان الحب غذاء
قلبه والمتسلط الاكبر على حياته . وان افضل ما يريده الله من
الانسان قوله : « يابني اعطي قلبك »^(٢) . ولقد جمع السيد
المسيح الناموس والانبياء كلهم في كلمتين : محبة الله ومحبة
القريب . فالمسيحي الصادق في ايامه هو الذي يحب الله محبة
صحيحة قوية وينبذ لاجله كل حب سواه . ولقد جاء في كتاب
« سلم الفضائل » للقديس يوحنا السينائي قوله : « ان صاحب
الفضيلة هو الذي عشق جمال السماويات حتى صار يأنف النظر الى
جمال الارضيات . فهو لا يشعر بالنار التي يتوجج سعيرها في
قلب غيره »^(٣) .

الا ان حب المرء ليسوع لا يشغل قلبه عما سواه الا اذا
كان قوياً مضطراً جواداً . هكذا احب القديسون ، هكذا
احب رجال الله الصالحون ، فشغلاهم حبهم لله عن كل شيء سواه .
فلم يبقَ محل لغيره ، ولا عاطفة تستهوي القلب بدونه . لان من
طبيعة الحب ان لا يجمع في آنٍ واحد بين حبيبين : « لا تقدرون
ان تعبدوا الله والمال »^(٤) .

(١) ١ يوحنا : ٨ (٢) امثال ٢٣ : ٢٦ (٣) سلم ، درجة ١٥ : ٧

(٤) متى ٦ : ٢٦

وما ابدع ما قالت في هذا المعنى حبيبة يسوع الكبيرة ، ترنيما الصغيرة : « يا يسوع حبيب قلبي ، لقد فهمت وعرفت ما هي دعوتي . ان دعوتي هي الحب ... انا اعلم يا المهي ، ان الحب لا يقابل الا بالحب . لقد سعيت وراء وسيلة اقدر بها ان اريح قلبي فوجدتها في ان اقابل حبك بمحبي ... يا يسوع قد كان يحب ان يكفيني ان اكون لك عروسةً ، ان اكون راهبة كرملية ، ان اكون امّا للنفوس بالتحدي بك . لكنني اشعر بدواخلي بدعوات كثيرة ايضاً غير هذه الدعوة السامية . اشعر بداعٍ يدعوني لاَ كون جندية من جنودك ، لاَ كون كاهناً من كهنتك ، لاَ كون رسولاً من رسالتك ، لاَ كون من معلمي كنيستك ، لاَ كون شهيدة من شهدائك . اشعر بداعٍ يدفعني للقيام بجميع اعمال البطولة الفائقة . اشعر في قلبي بشجاعة الصليبيين ؟ اني اتشوق الى الموت في ساحة الوغى دفاعاً عن الكنيسة المقدسة ... » آه يا حبيب قلبي ، كم انا تواقه الى انارة العقول على مثال الانبياء والعلماء ! وكم شهوتي عظيمة لأن اطوف اقطار الارض مبشرة باسمك ، ورافعة صليبك الحميد بين الامم التي لا تزال تتجه اليك . الا اني لاَ كتفي برسالة واحدة ، بل اشتتهي ان ابشر بالانجيل في اقطار الدنيا كلها ، حتى في الجرائز النائية منها . اتشوق ان اكون من طغمة المسلمين ليس مدة سنتين معدودة ،

بل منذ دأناً ، منذ خلق الدنيا الى منتهى الاجيال .

« آه ! يا حبيب قلبي ، اني اشتهي فوق كل شيء ، ان اكون شهيدة . آه ! ما اشهى الاستشهاد على فؤادي . لقد طالما كان شهوة حياتي منذ حداثتي ؛ وترانيد شغفي به وانا في مخدعي الصغير الكرملي . وجذبني في هذا اني لا ارغب في نوع واحد من العذابات ، بل اشتهيها كلها لا شبع نفسي بها .

» يا عروس نفسي المعبود ، اني على مثالك اشتهي ان اجلد وان اصلب . اشتهي ان القى في الزيت الحمي على مثال يوحنا الحبيب ، وان أطحجن بأسنان الوحوش كما طحجن القديس اغناطيوس الانطاكي لا كون خيراً لائقاً بالله . اشتهي ان اقدم عنقي لسيف الجلااد نظير القديسين اغنس وسيسيليا . اشتهي ان احرق بنار متقدة كما احرقت جان دارك بينما شفتاي ترددان اسم يسوع ا

» يا يسوع فؤادي افتح كتاب الحياة الدائمة : فان كل ماترى فيه من اعمال القديسين ، اشتهي لو كنت انا عملتها كلها في سبيل حبك »^(١) .

فعمدما يلأ حب يسوع قلباً كما كان قلب تريزيتا ، هل يبقى فيه محل يتسع لحب آخر من الخلاائق كلها منها عظمت وحسنـت . ولئن نصل الى مثل هذا الحب المتأرجح ، علينا بالصلة ،

(١) في كتاب حياته : صفحة ٢٥٣ - ٢٥٧

وعلى الاخص بالصلوة العقلية ، وبالمناولات الخشوعية ،
وبالعبادة البنوية لأم الطهارة والمحبة سيدتنا والدة الاله الدائمة
النقاوة والبرارة .

* * *

ثاو طوكيمون لوالدة الاله

ان جبرائيل قد ازدهل من بـهـا ، بتولـيـتكـ وـفـائقـ لـمعـانـ
طـهـارـتـكـ . فـهـتـفـ نـحـوكـ قـائـلاـ : يا وـالـدـةـ الـالـهـ ، ايـاـ مـدـيـحـ وـاجـبـ
اـقـدـمـ لـكـ اوـ بـاـذاـ اـسـمـيكـ ! اـنـيـ اـنـذـهـلـ وـاتـحـيرـ ! وـلـكـ كـاـمـرـتـ
اهـتـفـ اليـكـ : اـفـرـحـيـ يـاـ مـمـتـلـئـةـ نـعـمـةـ .



حـوـادـثـ تـارـيـخـيةـ

الشابة بوتامينا

كانت بوتامينا شابة رائعة الجمال . وكانت من بنات الاسكندرية المسيحيات في الاجيال الاولى للنصرانية . وكانت ذات تقوى رائعة وحرص شديد على طهارتها .

الا انها كانت ملوكـةـ لـجـلـ وـتـنيـ ، فـكـانـتـ تـخـدـمـهـ باـخـلاـصـ وـأـمـانـةـ ، وـكـانـ هـذـاـ مـعـيـجـاـ بـجـسـنـ سـلوـكـهاـ . وـمـاـ لـبـثـ اـنـ شـفـفـ بـهـ فـاخـذـ يـعـملـ عـلـىـ اـغـواـهـاـ بـكـلـ اـسـالـيـبـ الـوعـدـ . فـلـمـ يـنـلـ مـنـهـاـ مـأـرـبـاـ ، بلـ بـقـيـتـ مـعـتـصـمةـ بـجـاهـظـتـهـاـ عـلـىـ نـقاـوةـ قـلـبـهـاـ وـطـهـارـةـ جـسـدـهـاـ .

فـلـماـ اـعـيـتـهـ الـحـيـلـ شـكـاـهـاـ اـلـىـ وـالـيـ المـدـيـنـةـ بـكـونـهـاـ مـسـيـحـيـةـ . فـتـهـدـدـهـاـ هـذـاـ بـاـنـ يـطـرـحـهـاـ فـيـ بـرـمـيـلـ مـنـ الزـفـتـ الـحـمـيـ انـ هـيـ أـصـرـتـ عـلـىـ عـنـادـهـاـ . فـلـمـ تـهـبـ وـلـمـ تـجـزـعـ بـلـ قـبـلـتـ بـنـفـسـ هـادـنـةـ مـطـمـثـةـ تـالـكـ الـمـيـةـ الـفـظـيـعـةـ دـفـاءـاـ عـنـ اـيـانـهـاـ وـطـهـارـتـهـاـ .

وـتـوـلـىـ جـلـادـ يـدـعـىـ باـسـيـلـيـدـوـسـ تـلـكـ الـمـهـمـةـ الـجـاثـةـ . فـتـوـسـلـتـ اـلـيـهـ اـكـيـ لاـ يـعـرـيهـاـ منـ ثـيـابـهـاـ ، بـلـ يـطـرـحـهـاـ كـاـ هـيـ حـرـصـاـ مـنـهـاـ عـلـىـ حـشـشـتـهـاـ . فـسـمعـ هـذـاـ جـلـادـ هـاـ وـبـالـغـ فـيـ اـحـتـراـمـهـاـ . فـالـتـقـتـتـ اـلـيـهـ وـقـاتـ لـهـ وـهـيـ تـحـترـقـ وـتـتـأـلمـ : اـنـيـ اـعـدـكـ بـاـنـ اـصـلـيـ اـلـلـهـ اـكـيـ يـهـبـكـ خـلاـصـ نـفـسـكـ . وـمـاتـ وـطـارـتـ نـفـسـهـاـ النـقـيـةـ اـلـىـ الـاـخـدـارـ الـعـلـوـيـةـ .

وـلـمـ تـضـرـ اـيـامـ قـلـائـلـ عـلـىـ اـسـتـشـهـادـهـاـ حـتـىـ آـمـنـ باـسـيـلـيـدـوـسـ بـالـمـسـيـحـ ، وـاعـتـرـفـ جـهـارـاـ بـهـ ، وـمـاتـ شـهـيدـاـ فـيـ سـبـيلـهـ .

مدام دي لا فالير

لما تابت مدام دي لا فالير محظية الملك لويس الرابع عشر دخلت ديو الكرمليات وترهبت ، وقامت تكفر بالصلة وانواع الاماتات عن ماضي حياتها وذنبها . وانطربت امام رئيستها وقالت لها : يا امي ، اني اسأت استهبال ارادتي وحربي . فها انا اضعها بين يديكِ لكي لا ارجع فاستردهما ابداً اليَّ .

وقضت خمساً وثلاثين سنة في الكرمل ، وكانت مثال التقوى والطاعة والامانة .

~~~~~

انوفريوس النساك

كان انوفريوس من النساء المتصدرين ، وكان قد ذاع صيته في الاسكندرية وسائر بلاد مصر البحريه حتى كان الناس يتحدثون باعجاب عن اماتاته وطهارته وقداسته .

فاعترضت يوماً احدى النساء المستهترات على هذا الثناء وقالت انا كفيفة بان اغويه واسقطه . لان مثل هؤلاء النساء لا يخفظون طهاراتهم الا بـ ٣٣:٣٣ من النساء . الا انهم يسقطون امام اول امرأة تغويهم . واسوف آتكم بالخبر اليقين .

واختارت يوماً بارداً ماطراً ، وحملت معها كل زينتها ، واحفتها في حقيبة لها ، وترتدى ثياب النساء المتعبدات ، وقصدت الى صومعة النساء في الهرية عند المساء .

فوقفت عند بابه تحت المطر المنهمر وأخذت تبكي وتتوسل اليه لكي يقبها عنده في تلك الليلة ، ويقيها البرد والامطار ، ويحميها من الوحش التي لا بد ان تفترسها في تلك البرية . فرثى الناسك لها ورق لها ، وقام فترك لها منسكه ، ودفعه هو فقضى الليل في مغارة باردة بعيداً عنها .

فاما كان الصباح اتي ليراها فاذا به امام امرأة بارعة الجمال ، وعليها من الخل والزينة ما يهر الابصار . واندفعت تتملقه وتفويه . فنظر اليها بازدهار . ولكنه ما لبث ان فر من امامها ، وهرع الى نار كانت قد اوقدت بها هناك وطرح رجله فيها حتى احترقت وصار الدهن يسيل منها .

فارتاءت المرأة ، وندمت على ما أنته من الجب والدهاء ، وأخذت تتولل اليه لكي يصفح عنها . فطرحت زينتها ووعدها بان تتوب الى الله توبة صادقة ، ورجته ان يوصلها الى احد الadiار لتقضي حياتها في التكفير عن آثامها .

و هكذا كان . فان تلك المرأة الساقطة ثابت وصارت واحدة من الكثيرات من المجدليات القدسات .

## الفصل الحادي عشر

### في فضيلة التواضع

أ يازرا . - ان فضيلة التواضع هي عدل وهي قناعة .  
 فهي عدل لأنها تحمل الإنسان على أن يقدر نفسه على قدر نفسه .  
 وهي قناعة لأنها تکبح جاح الميول البشرية الى حب الترفع  
 والعظمة والزهو والخيلاء .

فالتواضع المسيحي هو فضيلة سماوية فائقة الطبيعة تجعلنا  
 نعرف ذاتنا ونقدر نفسنا على قدر نفسنا . ولاجل هذه المعرفة  
 الحقة وهذا التقدير الصادق نرحب في عدم الترفع والظهور ، بل  
 في طلب الاذلال والتحمير .

ان التواضع هو فضيلة سماوية ، لذلك لم تعرفها الديانات  
 الوثنية ، لأنها لم تفهمها ؟ بل كانت تؤله الكبريا ، ظناً منها بانه  
 يعلی المرء فوق مستواه ، فيسبغ عليه شيئاً من العظمة يرفعه فوق  
 ما هو عليه من صغر وحقارة . اما التواضع المسيحي فهو مؤسس  
 على معرفة المرء قدر نفسه وقدر إلهه ، فيتصاغر امامه ؟ ويتصرف  
 بفضل الله تعالى عليه ، وبذلك نظراً لاساءاته وذنبه ، وبافتقاره  
 الدائم الى نعمته تعالى وعونته في كل اعمال حياته . وبذلك

المعظمة الحقة لأنها قائمة على الحق : « من وضع نفسه ارتفع » <sup>(١)</sup> . فالتواضع هو فضيلة مسيحية حقة لأن المبدأ الذي تقوم عليه هو اولاً طبيعة الله وعظمته وقدرته واحسانه وتساحده ؛ وثانياً طبيعة الانسان الخلية الصغيرة الحقيرة الآئمة المفتقرة الى رحمة الله ومعونته ومساحتته . ولقد عرف اليهود هذه الفضيلة وقدسواها ، بل قد تفرد بعضهم بها فسما الى درجة فائقة من القدسية ومن العظمة ، نظير موسى النبي ويوحنا المعمدان وي يوسف البتول ، وعلى الاخص العذراء مريم الفائقة القدسية وهي القائلة : « ها انا امة للرب » <sup>(٢)</sup> ، وايضاً « لازه نظر الى حقاره امته » <sup>(٣)</sup> . ولقد تتجلی هذه الفضيلة بكل ببراءها وجمالها ، لأنها بهية جميلة ، بل من ابهى الفضائل واعذبها على عين كل من رأها ؛ تتجلی في حياة السيد المسيح رب الفضائل كلها ومكملاها ومتتمها . فهي ليست ذلاً بل شرف ، لأنه لا اشرف من الحق ؛ وما إذلالنا لنفسنا الا لنقر بحقارتنا وآثامنا ، ونطلب من الله المعونة والغفران في اعمالنا وفي كل اطوار حياتنا . ولقد عرف القديس برندوس فضيلة التواضع بقوله : التواضع فضيلة اذا ما عرف بها الانسان حقاً مقدار نفسه احتقر نفسه . لأننا من نفسنا لا صلاح لنا ، اما صلاحنا من الله . اما اسماء اتنا فهي منا ولنا .

(١) لوقا ١٤ : ١١ (٢) لوقا ١ : ٣٨ (٣) لوقا ١ : ٤٨

فكيف يحق لمن كان مذنبًا أو مجرمًا أن يتغاظم ويتسامي ، سواء كان أمّاً للناس ، أو أمّاً لنفسه ، وعلى الأخص أمّاً لله ؟ بل عليه أن يحتقر نفسه ويذلها أمّاً للرب ويقرّ أن «ملك الدهور» ، الله الواحد الذي لا يموت ولا يرى ، الكرامة والمجد إلى دهر الدهور »<sup>(١)</sup> . وإن يهتف أيضًا مع الملائكة ويقول : «آمين . البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقوة والقدرة لأنّها إلى دهر الدهور . آمين »<sup>(٢)</sup> .

والعلمون الروحيون يسمون التواضع ، الحق . لأنّه يعطي الله مقامه السامي الاعلى ، و يجعل الإنسان في مكانه الحقيقي الحقير الادنى . وهذا ما دعا رب يسوع إلى ممارسة اسمى درجات التواضع لأنّه كان يمثل البشرية الضعيفة الحقيرة ويحمل اوزارها كلها .

هكذا تذلل موسى أمّاً للرب لما عبد بنو إسرائيل عجل الذهب ، وقال : « والآن ان غفرت خططيتهم وألا فاحبني من كتابك الذي كتبته »<sup>(٣)</sup> .

هكذا تذلل داود أمّاً للرب لما أتااه النبي ناثان ينول له ما اوحاه إليه الرب ، ان : « أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابنًا . وإذا أئتم أؤدب به بقضيب الناس وبضربات بنى البشر . وأما رحمتي

(١) أنيمو تاؤس ٩ : ١٧ (٢) رؤيا ٧ : ١٢ (٣) خروج ٣٢ : ٣٢

فلا تنزع عنه . . . بل يكون بيتك وملائكتك ثابتين الى الدهر امام وجهك، وعرشك يكون راسخاً الى الابد . . . فدخل الملك داود وجلس امام الرب وقال : « من انا ايها رب الاله وما بيتي حتى بلغت بي الى ههنا » <sup>(١)</sup> .

وهكذا تذللت استير وكانت ملكة عظيمة الشأن : « وان استير الملكة ايضاً التراجأت الى الرب خوفاً من الخطر المشرف، فخلعت ثياب الملك ولبست ثياباً للحزن والبكاء . . . وعوض الاطياب المختلفة ألقنت على رأسها رماداً وزبلاً وذلت جسدها بالصوم . . . وجميع المواضع التي كانت تفرح فيها من قبل ملأتها من نتاف شعر رأسها . . . وكانت تتضرع الى الرب الله اسرائيل قائلة : « ايها الرب الذي هو وحده ملائكتنا اعني انا المنقطعة التي ليس لها معين سواك . . . » <sup>(٢)</sup>

هكذا تذلل الانبياء والشهداء وجميع القديسين : « اجابهم يوحنا وقال : انا اعمد بمالا ، ولكن بينكم من لستم تعرفونه . . . هو الذي يأتي بعدي وقد جعل قبلي الذي انا لا استحق ان أحلى سير حذائه » <sup>(٣)</sup> .

لما دفت الساعة السعيدة الاخيرة لرحيل ترزييا الطفل يسوع

(١) سفر الملوك الثاني ٨ : ١٦ - ١٨ . . . (٢) استير ١٦ : ١ - ٣ . . .

(٣) يوحنا ١ : ٢٦ و ٣٦ . . .

الى الاحسان الابوية السماوية نظرت الى امها الرئيسة الواقفة امام سريرها وقالت لها : « يا امي ارجوك ان تهيني لاموت موتاً صالحاً ». فاجابتها رئيستها : « يا بنتي لا تخشى فانت على اتم الاستعداد للهadow امام عرش الله ، لانك طول حياتك قد عرفت ما معنى التواضع » . فاجابت تريزييا بسذاجة وقالت : « نعم انا اشعر باني لم ارغب في حياتي الا فيما هو حق ، نعم لقد عرفت ما معنى تواضع القلب » <sup>(١)</sup> .

فالانسان ضعيف في جسده ، ضعيف في عقله وارادته ، ضعيف في نفسه وروح حياته . يولد في الخطيئة الاصلية ، ويعيش في الخطيئة الفعلية ، ويشعر على الدوام بميل منحرفة تدفعه الى الشر والى الشهوات الرديئة . لذلك يجدربه ان لا يترفع ولا يتباهى ولا يزهو بنفسه ، ولا يتعاظم لا امام الله ، ولا امام غيره ، ولا امام نفسه ؛ وخلق به ان يصبر على الآلام والمعاكسات والإذلال وانواع الاضطهاد كعقاب يستحقه ؛ وان لا يحتقر غيره ، بل يعذرها ويصفح عنده ، كما يريد ان يصفح الرب عنه هو ذاته وينسى ذنبه .

وفي هذا يقول الكاتب الروحي السيد اولييه : « علينا في حال المرض والاضطهاد والتحفظ والمهوان ، ان نتحالف مع الله ضد

(١) في كتاب حياتها فصل ١٢ ص ٤ :

ذواتنا ، وان نقول : اننا نستحق ذلك بل اكثرا منه ايضا ؛ وانه يحق لله ان يستخدم كل خلية لكي يعاقبنا بواسطتها ؛ واننا نسجد لراجحه بكل رضى عالمين انه في يوم غضبه سيكون اشد من الان في معاملته لنا » <sup>(١)</sup> .

هذه هي المبادىء الاساسية التي عليها تنشأ فضيلة التواضع المسيحية : حقارة الانسان وخطيئته ، وعظمته الله وحناته ورحمته . « من الذي يميزك يا هذا واي شي ، لك لم تزله . فان كنت قد نلت هذه فلماذا تفتخر كأنك لم تزله » <sup>(٢)</sup> .

**٢ درجات فضيلة التواضع .** — لقد افاض الكتبة الروحيون في الكلام عن فضيلة التواضع واجدوا في وصفها وشرحها واظهار جمالها ومنافعها ، وبينوا باسهاب طرقها ودرجاتها . ولما كانت هذه الفضيلة الجميلة اساساً وحصلناً لكثير من الفضائل اخواتها ، نظير الصبر والطاعة والرجمة والوداعة ، فانهم بحثوا كثيراً في ميزاتها ، وذهب كل مذهباً في تعداد وتقدير درجاتها ، على حسب ما ابتغاه او ما رأاه من غرضه ومن طريقة فيه . فكاسيانس جعل درجات التواضع عشرة . والقديس بندكتوس ، ابو الرهبان الغربيين ، قسمها الى اثنتي عشرة ، لانه اخذ التواضع اساساً لما بين الله والراهب من العلاقات الروحية . فالراهب هو انسان ، وانسان

(١) التعليم المسيحي - الجزء الاول - القراءة ١٨ (٢) كور ٤ : ٧

خاطىء؛ ثم يصير بالتبني ابنًا لل العلي . لذلك جمع القديس بندكتوس بين التواضع والطاعة والصبر والخشمة ، وجعلها كلها تحت اسم واحد وسماتها : التواضع .

اما القديس اغناطيوس دي لوبيلا فيقول ان للتواضع درجات ثلاثة : الاولى : اذلال النفس . - الثانية : التجرد عن كل رغبة ارضية الى حد ان يصبح سيان عند الانسان ان يكون غنياً او فقيراً، مكرماً او محترقاً؛ سيان عنده الحياة الطويلة او القصيرة : لأن رغبته الوحيدة هي تمجيد الله الى اقصى حد ممكن في ما اعطي من حياة . - الثالثة وهي الاكمل : ان يعتنق المرء الفقر باختياره حباً ليسوع الفقير ؛ وان يحب الهوان والعار حباً ليسوع المذلل المهان ؛ وان يرحب في احتقار الناس له ، ونبذهم اياه ، واستصغارهم لشأنه ، واعتبارهم انه احق معنوه شارد العقل تشبهها بيسوع الذي احترقه اليهود وازدروه وهزئوا به والبسوه ثوب الحقى المتعوهين . وهذا منتهى التواضع ومنتهى الحب وركن القداسة .

اما السيد اولييه في كلامه عن درجات التواضع فيجعلها ايضاً ثلاثة ، ولكنه يختصها بالتفوؤس التقية الحارة فيقول : الاولى : ان يعرف الانسان حقارته ونقاومته وذنبه ودناءته ، ويرضى بها ، ويتداءل امام الله بسبتها ، ويفرح لكونها تظهر بجلاء

عظمة الله وقداسته وجوده ورحمته . لانه لا يكفي الانسان ان يعرف مساوئه ليكون بذلك متواضعاً ، بل يجب ان يرضى بها ، وان يقر نفسه امام الله لاجلها . لان من الناس من يدفعهم حب الظهور والزهو الى التبرج بذنبه ليكون لهم السبق فيها على غيرهم ؛ وهذا هو نوع من الكبراء الجنوبي الاحمق . ومنهم من يعرفها ولكن يعمل على سترها والظهور بما ينافقها رغبة في الجد العالمي والثناء الكاذب .

والدرجة الثانية : ان يرغب الانسان في ان يعرف الناس حقارته وقلة شأنه . فيكون قد نال ما تستحقه ذنبه من اطراح الناس له واستخفافهم بامرها . لان منهم من لا يكتفون بالظهور بما ليس فيهم من حسنات وفضائل ومؤهلات ، بل يحزنون ويضطربون ويغضبون اذ تكشف امام الناس بعض عيوبهم ونقائصهم . اما النفوس التقية المتواضعة فانها تهرب من اكرام الناس لها ، ولا تخزن لاحتقارهم لها ، ولا تغضب لاطرائهم لشأنها .

اما الدرجة الثالثة : فتقوم بان لا يرغب الانسان فقط في ان يعرف الناس حقارته ودناءته ، بل يريد ايضاً ان يعاملوه كما يستحق يا ذلام لهم له ، وباحتقارهم لعقله وفضيلاته ولأهليته . لان العدم لا يستحق الا كرام ، ولا بد للمجرم من العقاب . وبهذا الشعور نقبل من يد الله ما يسمح به من معاكسات واضطهادات

وآلام ومضايقات ، قصاصاً لما تستحقه ذنوبنا وآثامنا . فيرضى الله عنا ، ويغفرها لنا ، وتنتصر فضيلة التواضع في قلوبنا فتتجملنا وتكتملنا وترفعنا وتقدسنا : « من رفع نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع » <sup>(١)</sup> . — « تواضعوا امام رب فيرفعكم » <sup>(٢)</sup> .

٣ مجال التواضع وفوائده . — اذا نظرنا الى التواضع في ذاته نراه اقل شأناً من الفضائل الالهية التي اغاها غايتها المباشرة هو الله . والتواضع اقل شأناً ايضاً في كنهه وطبيعته من الكثير من الفضائل الادبية ، نظير الفطنة والعبادة والعدل والطاعة ، لأن عملها أعم وأجل من عمله .

واما اذا نظرنا الى ما يقدمه للفضائل كلها من الخدم الجليلة نراه مفتاح الكنوز السماوية ، واساس جميع الفضائل المسيحية . فان الله يحب الانسان المتواضع ، لازه لا يسلبه مجده تعالى ، ويعطف عليه ، ويفيض عليه نعمه وغزير مواهبه . وهو تعالى يعلم ان الانسان المتواضع لا يزهو بما يجود به عليه من مكارمه كأنها منه ، ولا يتعالى بها ويعجب بوجودها كان مرجعها اليه . لذلك يسبغ عليه من هباته ما يجعله ينبو ، تحت حملها ويطلب الاكتفاء بما ناله منها . هذا ما يعلمه بطرس الرسول في رسالته الاولى : « وكذلك اذتم ايتها الشبان اخضعوا للكرهنة ، وتسربوا

بالتواضع بغضكم نحو بعض ؟ فان الله يقاوم المتكبرين ويؤتي  
المتواضعين نعمة »<sup>(١)</sup> . ويقول الآباء القدисون : ان التواضع هو  
جلاب النعم .

وفوق هذا فان التواضع هو أساس الفضائل جميعها ، لأنها  
منه تنال غذاؤها وقوتها . ان الفضيلة التي لا يدعمها التواضع  
تكون كالبيت المبني على الرمل لا يثبت ، ان يسقط . اما  
المؤسسة على التواضع فهي قوية ثابتة لا تهاب الزوابع ، ولا  
تخشى الصدمات .

فكان الكبriاء هي المانع الاكبر عن قبول الایمان ، كذلك  
التواضع هو الوسيلة الفضلى لاخضاع عقلنا وقابينا لأنوار الایمان  
وحرارته ، فيثبت فيها ويكتيف حياتنا : « اعترف لك يا أبا  
رب السموات والارض لأنك أخفيت هذه عن الحكام والعقلاء  
وكشفتها للأطفال »<sup>(٢)</sup> . فالإنسان المتواضع يقبل حقائق الایمان  
بسذاجة قلب وصفانية ، بلا تردد ولا اعتراض . و اذا ما تأصل  
فيه الایمان فيقويه ويزيده تواضعاً وفضيلة .

التواضع هو ايضاً أساس الرجاء . لأن المتكبر يتكل على  
نفسه فيسقط . اما المتواضع فانه يتكل على الله ويرجو من  
وجوده وعطافه ، نعمة في الحياة وفي الممات ، وملكته في الابدية

السعيدة التي ليس لها فناً .

التواضع هو اساس الحبة . ان الحبة تتنافى مع الكبراء ؛  
لان المتكبر لا يمكن ان يحب ؛ وهو خالٍ من العاطفة ، ما خلا  
حبة ذاته وانانيته . واذا ما تظاهر بمحبة قريبه فليس الا طمعاً بال  
يرجوه منه او جاه يصل اليه بواسطته . اما الانسان المتواضع  
فحبيته صادقة لأنها مجردة .

وهكذا اقل عن سائر الفضائل :

فان الانسان المتواضع لا يأنف من استشارة غيره في اعماله ،  
بل يستأنس برأي قريبه ، وبذلك يكون فطناً حكيمًا .  
الانسان المتواضع يحترم قريبه ويوقره ، ويعلي شأنه ، ويقدس  
حقوقه ؛ فهو خير من قام بواجبات فضيلة العدل .

الانسان المتواضع قوي بما يسبغ الله عليه من قوة ، لانه لا  
يتكل على نفسه بل على الله . والرب لا يخيب المتكلين عاليه .  
لذلك كان المتواضع الشجاع الحقيقى .

الانسان المتواضع يبقى عفيفاً ، لان الدنس غالباً ما يكون  
عقاب الكبار .

الانسان المتواضع يكون صبوراً ، فهو حليم مع قريبه ،  
شفوق عليه ، يعذر هفواته ويتحمل نقائصه ؛ وهو يصبر على  
ما يحلُّ به من الشدائد لانه يعتبرها عقاباً لخطاياه . فهو

متقشف صبور .

فالتواضع هو حقاً اساس الفضائل كلها ينشطها ويغذيها ويعقوبها . وما اجمل ما كتب في ذلك القديس اغسطينوس فيلسوف النصرانية الا كبر في تعليقه على كلام رب : « من وضع نفسه ارتفع » ، قال : « اترید ان ترتفع ؟ ابدأ فاتضع . اطلب ان تشيّد قصراً ينطاح السحاب ؟ فأسسْه على التواضع . وبقدر ما تريده عالياً شامخاً يجب ان يجعل أسسْه غائرة في الارض عميقه » . فالمتواضع ملِكٌ . وللتواضع ملك الدنيا . فهو يلين القلوب ويسيطرها ويربحها للرب .

﴿ انبواضع في الاجل . - ان المبتدئين في الحياة الروحية يارسون التواضع بمقاومة ما يثور فيهم من الميل الى الكبriاء . فانهم يعيدون المجد لله فيما يجدون فيهم من حسنات ومؤهلات ومزايا روحية وادبية وجسدية ، فلا يزهون بصفاتهم ولا يستعملون بآرائهم وافكارهم : « لا لنا يارب ، لا لنا ، لكن لاسمك أعطِ المجد » <sup>(١)</sup> . ويعترفون بأخطائهم ونقائصهم وذنوبهم : « لاي عارف بآثامي وخطاياي امامي في كل حين » <sup>(٢)</sup> . ولا يلتجأون الى اطراء صفاتهم وفضائلهم ؛ ولا يصنعون برهم بفخفة امام الناس دعاية لهم ولا اسمهم ليأخذوا منهم مجدهم ؛ ولا يترفعون على غيرهم ؛

ولا ينتقدون رؤسائهم؛ ولا يعصون اوامر مدبرיהם ومرشديهم .  
بل يعترفون بان الله هو مصدر كل خير فيهم ، وان الشر هو منهم  
ومن ضعفهم ومن قلة فضiliتهم . ويحترمون قرائهم ؛ ويعظّمون  
افضاله ، ويكرّمون فضائله ؛ ويقرّون له بالسبق الى المكارم ؛  
ويصنّعون برّهم بالستر لوجه الله وطلبًا لمرضاته ؛ ويوقرون  
رؤسائهم ، ويقدسون اوامرهם وارشاداتهم ؛ ويقبلون بشكر  
ما يفتقدون به من رزايا ومحن ، لأنهم واثقون من انها  
عقاب لهم على ذنبهم . وهكذا تكون حياتهم حياة مسيحية  
متواضعة .

اما المتقدمون في الكمال المسيحي فانهم يذهبون الى اكثـر  
من ذلك . فيتخدـون السيد المسيح مثـلاً لهم في ممارسة افعال  
التواضع ، كما يتخدـونه دائمـاً مثـلاً اعلى لهم في سائر الفضـائل  
المسيحية الالـمية والادـبية معـاً .

لقد دعا ربـيسـوع جميع الاجيـال للتشـبه بـودـاعـته وتوـاضـعـه :  
«تعلـموـا مـنـي أـنـي وـديـع وـمـتواـضـع القـاـبـ». ولـقد كـانـت فـضـيـلـة  
التـواـضـع حـقـاً مـيـزة حـيـاتـه ، وـشعـارـه الاـكـبرـ في كل اـعـمالـه :  
فـانـه بـتـجـسـدـه حـجـبـ عن النـاسـ انـوارـ لاـهـوتـه وـضـيـاءـ مجـده :  
«ليـكـنـ فيـكـمـ منـ الاـفـكـارـ وـالـاخـلـاقـ ماـ هـوـ فيـ المـسـيـحـ يـسـوعـ  
الـذـي اـذـهـوـ فيـ صـورـةـ اللهـ لمـ يـكـنـ يـعـتـدـ مـساـواـتـهـ للـهـ اـخـتـلاـسـاـ» ;

لكتنه اخلى ذاته آخذآ صورة عبد صائراً في شبه البشر و موجوداً  
كبشر في الهيئة . فوضع نفسه وصار يطيع حتى الموت موت  
الصليب . فلذلك رفعه الله و وهبها اسمآ يفوق كل اسم لكي تجثو  
باسم يسوع كل ركبة مما في السماوات وعلى الارض وتحت  
الارض » <sup>(١)</sup> .

وفي حياته الخفية ستر الرب يسوع حتى غناه وقدرته وعلمه  
وسائر مؤهلاته ليس فقط كإله بل ايضاً كأنسان : ولد في مغارة ،  
واضجع في مذود ، وختن كسائر الأولاد ؛ وهرب إلى مصر من  
وجه الإنسان ؛ وعاش في الناصرة نسياناً منسيأً من الناس ؛ وخضع  
لأمه وليوسف ، وهو الذي كان قد كوننها ، وابدعها ، وزينها  
بكل ما كان فيها من جمال وكمال ؛ وُعرف بين الناس بختاراً  
بساطاً وابن بخاراً .

وفي حياته العلنية كان ايضاً مثالاً مكملاً للتواضع حتى انه  
استطاع ان يدعو الناس ، حتى اعداءه ، ليتشبهوا به . لقد  
اعلن مراراً انه ابن الله ، وانه مساوي للآب ؛ ومع ذلك عاش مع  
الناس اقل من الناس . عمل عجائب باهرة حيرت العقول و اشعلت  
بنار حبه القلوب ؛ ولكنـه كان يتوارى امام الامجاد ، ويهرب  
من الحفاوات . واختار رسـله من عامة الناس ؛ وكان يؤثر مخالطة

المساكين والضعفاء والفقرا، والخطأة والصغار فيبشرهم بالإنجيل، ويشفى مرضاهم، ويغفر ذنوبهم، ويلاطف اولادهم، ويسبح في البراري جو عليهم. وكان تعليمه بسيطاً يفهمه الكبير والصغير وابن القرية وابنة الشعب. ولما اختطفوه وارادوا ان يجعلوه ملكاً افلت من بين ايديهم وتوارى عنهم.

ولقد كان متواضعاً ليس في افعاله فحسب، بل ايضاً في افكاره وفي عواطفه وفي صميم قلبه. فلم يكن يحكم على احد بل يترك الحكم للآب<sup>(١)</sup>. ولم يكن يتكلم من عنده، بل ما كان يسمعه من الآب به يتكلم<sup>(٢)</sup>. ولم يكن تعليمه له بل للآب الذي ارسله<sup>(٣)</sup>. ولم يكن يفتخر باعماله المجيدة بل ينسبها كلها الى ابيه السماوي<sup>(٤)</sup>. ولم يكن يطلب مجده بل مجد الآب الذي ارسله<sup>(٥)</sup>. ولم يكن يسعى ليتسلط وينخدمه الناس؛ بل انا جاء ليخدم ويبدل نفسه عن البشرية جموعاً<sup>(٦)</sup>. وفي العشاء السري قام ولبس ثياب الخدم وخذل يغسل ارجل تلاميذه وينشفها بيديه.

الا انه تجاوز كل حدود التواضع في آلامه. فلقد حمل ذنبنا برضاه وقام يكفر عنها بالآلام والحزى والعار، وهو رب المجد. وبهذا منتهى التواضع. خانه يهوذا فلم يوبخه بل عاتبه

(١) يوحنا ٨ : ٤٥ (٢) يوحنا ١٤ : ٩٠ (٣) يوحنا ٧ : ١٦

(٤) يوحنا ٥ : ٣٠ (٥) يوحنا ٨ : ٥٠ - ١٢ - ٦ : ٢٨ (٦) متى ٢٠ : ٤

بلغف : يا صاح ألمـذا جـئت ؟ — أهـانـه الخـدم وضرـبـوه ولـطـمـوه  
وـهـزـثـوا بـهـ . وـقـالـوا عـنـهـ انهـ مـعـتـوهـ اـحـمقـ ؟ فـصـمـتـ وـلـمـ يـتـذـمـرـ وـلـمـ  
يـتـمـهـلـ وـلـمـ يـرـدـ عـلـىـ قـبـاـحـاتـهـ جـوـابـاـ . — اـنـكـرـ الشـعـبـ وـرـؤـسـاؤـهـ  
حـسـنـاتـهـ وـفـضـائـلـهـ وـعـجـائـبـهـ وـحـنـانـهـ وـقـدـرـتـهـ وـحـسـنـ نـوـيـاهـ ، وـحـكـمـ  
عـلـيـهـ بـيـلاـطـسـ بـالـمـوـتـ مـسـاـيـرـةـ لـلـحـسـدـ وـخـوـفـاـ مـنـ الـلـوـمـ ، وـصـلـبـوـهـ  
بـيـنـ الـصـوـصـ كـأـكـبـرـ الـجـنـاءـ ، وـهـوـ هـوـ الـذـيـ اـقـامـ لـعـازـرـ وـوـحـيدـ  
اـرـمـلـةـ نـائـينـ مـنـ الـاـمـوـاتـ ؟ وـمـاتـ عـلـىـ الـخـشـبـةـ عـرـيـانـاـ مـخـذـلـاـ مـنـكـسـرـاـ  
اـمـامـ اـعـدـائـهـ ، مـهـمـلـاـ مـنـ اـصـدـقـائـهـ وـمـنـ تـلـامـيـذـهـ ، حـتـىـ صـدـقـ فـيـهـ  
قـوـلـ النـبـيـ دـاـوـدـ جـدـهـ : « اـنـ دـوـدـةـ » ، لـاـ اـنـسـانـ ، عـارـ عـنـدـ الـبـشـرـ  
وـرـذـالـةـ فـيـ الشـعـبـ » <sup>(١)</sup> . وـرـغـمـ ذـلـكـ كـلـهـ لـبـثـ خـاضـعاـ  
صـابـرـاـ مـتـواـضـعاـ ، طـالـبـاـ الغـفـرانـ لـمـ صـلـبـوـهـ : « يـاـ اـبـتـ  
اـغـفـرـ لـهـمـ » <sup>(٢)</sup> . وـفـيـ هـذـاـ قـالـ بـطـرـسـ الرـسـوـلـ : « لـاـنـ مـسـيـحـ  
اـيـضاـ تـأـلمـ لـاـ جـلـنـاـ وـابـقـىـ لـكـمـ قـدـوةـ لـتـقـتـفـواـ آـثـارـهـ . الـذـيـ لـمـ يـصـنـعـ  
خـطـيـئـةـ وـلـمـ يـوـجـدـ فـيـهـ مـكـرـ . وـكـانـ يـشـتـمـ وـلـاـ يـرـدـ الشـتـمـ . وـكـانـ  
يـتـأـلمـ وـلـاـ يـرـدـ » <sup>(٣)</sup> .

فـالـمـسـيـحـ مـنـ يـوـمـ اـنـ تـجـسـدـ لـاـ جـلـنـاـ ، وـجـمـلـ خـطاـيـاناـ ، رـضـيـ بـهـذـهـ  
الـآـلـامـ ، وـتـوـاضـعـ هـذـاـ التـوـاضـعـ الـعـمـيقـ ، لـاـنـ خـطـيـئـةـ الـتـيـ جـلـهـاـ  
كـافـتـ تـقـضـيـ بـذـلـكـ . فـهـلـ يـحقـ لـبـشـرـ بـعـدـ هـذـاـ اـنـ يـتـذـمـرـ اوـ يـتـكـبـرـ .

(١) مـزـمـورـ ٢١ : ٧ (٢) لـوـقـاـ ٢٣ : ٣٦ (٣) بـطـرـسـ ٢ : ٢١ - ٢٣

وماذا نقول في حياة الرب يسوع في القربان . ما هذا التلاشي ، وما هذا التحجب وراء اعراض حقيرة مادية . اليه هو صانع الارض والسماء ، ومزين الدنيا بالبهاء . اليه هو مفريض كل صلاح وكل فضيلة وجمال . فما باله يخفى عن الدنيا مجده وقدرته ورحمته . وفوق هذا فانه لا يكتفي بمحبب لا هوته وضياء مجده ، بل يصبر ايضاً على نسيان اصدقائه وبنيه له ، وعلى نكران المسيحيين بجيشه ؛ وعلى اهانتهم له في سر محبتة . ومع ذلك فهو يهتف دائمًا نحونا من اعماق خلوته : « تعالوا الي ، يا جميع المتعبين والمشقين وانا اريحكم . احملوا نيري عليكم وتعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لأنفسكم »<sup>(١)</sup> .

فهل من مثال اعظم من هذا المثال ليحملنا على التواضع ؟ الكبارية بدأت فاهلكت الدنيا ودهورت البشرية الى اسفل دركates السقوط والانحطاط . فجأ ، الرب وخالص العالم بتواضعه وآلامه ، واوصانا ان نقتفي أثره في أمر نجاحنا وخلاصنا .

ولكن كيف غارس نحن التواضع على مثال الرب ؟ — ان الحياة وهي ملائى بالمناسبات المختلفة التي يمكننا ان غارس التواضع فيها ، سواء كان امام الله ، او امام قريتنا ، او امام انفسنا . نتواضع امام الله اولاً بمارستنا روح العبادة نحوه تعالى .

فنتعرف امامه بشكر وارتياح ورضى اننا عدم ، واننا خطأه ..  
ونغتبط لكونه هو الكائن ، وهو القدس ، وهو الخالق ، وهو  
الغفور ؟ ونعبده ، ونسبجه ، ونسجد له من اعماق قلوبنا ،  
ونستغفره ، ونتصاغر امامه ، وننزلذ بمحقارتنا لاظهر عزته  
وجبروته . وكلما خطئنا من جديد نعود اليه متذللين طالبين  
مراجمه . لأن الاستغفار هو التواضع ، والتسلل هو التواضع ..  
وكثيراً ما يسمح الرب بسقوطنا ليزيدنا توسلاً وتواضعاً ، كما  
تقول القدسية تريزا الكبيرة الاฝيلية <sup>(١)</sup> .

نتواضع ايضاً امام الله بمارستنا روح الشكر ومعرفة الجميل .  
لان من شكر تواضع . فالشكر هو الاقرار بجميل المحسن ؟  
والجميل هو عز ورفعه . ولما كان كل ما فينا من خير قد أثنا من  
الله فشكراً له تعالى يحب ان لا يكون له حد . والشكر كما قلنا  
هو تواضع ، وهو يذكينا بحنان الباري وباحتياجنا الدائم الى  
نعمه . والشكر حقاً هو مزيج من الحب ومن التواضع ومن  
الخضوع ومن التسلل ومن الثناء . وما احلى ما قال الشاعر :  
اَكَ الْحَمْدُ حَمْداً تَسْتَلِدُ بِهِ ذِكْرِي وَإِنْ كَفْتُ لَا أَحْصِي ثَنَاءً وَلَا شَكْرَاً  
اَكَ الْحَمْدُ حَمْداً طَيِّباً يَلِذُ السَّمَا وَاقْطَارُهَا وَالْأَرْضَ وَالْبَرَ وَالْبَحْرَا  
اَكَ الْحَمْدُ مَقْرُوناً بِشَكْرِكَ دَائِماً اَكَ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى اَكَ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَى  
نَتَوَاضَعُ امام قربينا . فنبتهج لرؤيتنا ما افاض الله عليه من

(1) *Histoire de St<sup>e</sup> Thérèse, T. II, p. 229.*

محاسن ومواهب ونعم سماوية وخيرات ارضية، ونفرح له ، ونطلب له المزيد ، ونعرف امام الله بانه يستحق الخير اكثر منا ؛ ونشكره تعالى على ما اعطاه؛ ولا نحزن لانه اختاره لاعمال مجيدة وتركنا ، ودعاه الى المناصب واهمنا . نفرح له طالما يتم بجد الله بعمله، وزكره ونعطي شأنه: «لبيادر بعضكم بعضاً بالاكرام»<sup>(١)</sup> . ونتواضع امام قرييننا في افكارنا وفي اعمالنا باذن عذر حتى في باطننا نقائصه ، ونغضن الطرف عن زلاتِه . الا اذا دعانا واجب الرئاسة او الادارة او الارشاد الى تنبئيه او الى توبيقه . وتواضع الفكر معناه ايضاً باذن نقر في دواخلنا اننا لو لا نعمة الله لكان اشقي الناس حالاً ، واكثرهم اثماً ، واقلهم دراية ومرءة وعقلاء وادباً وفضلاً وفضيلة . وهذا ما حمل القديسين على ان يعتبروا ذاتهم اول الخطأ : « ومن اصدق ما يقال والجدير بكل قبول ان المسيح يسوع انما جاء الى العالم ليخاص الخطأ الذين اولهم انا »<sup>(٢)</sup> . هكذا كتب بولس الرسول الى ابنيه تيموثاوس ، وهكذا كان يعتقد . وهذا هو اعتقاد رجال الله الاتقىاء اجمعين . وهم في ذلك على صواب : اولاً لأنهم يعرفون بصدق واحلاص نقائصهم وذنوبهم ، وتقديرهم في حسن استعمال النعم السماوية المعطاة لهم . وثانياً لأنهم يعرفون ان لا حق لهم في الحكم على

(١) رومية ١٢ : ١٥ (٢) ١ تيموثاوس ٦ : ١٥

قريبهم : « لا تدينوا الثلا تدانوا »<sup>(١)</sup> . ولا نهم يعرفون ايضاً ان ما يرونه ظاهراً من سوء عمل القريب ربما يكون له عذر فيه . فهم يجهلون نياته ، ولا يقدرون ان يزِّنوا مقدار النعم المعطاة له بالنسبة لما أتوا هم من نعم ومن انوار . ولا يمكنهم تقدير الوضاع الخصوصية التي وجد فيها ، ولا الوقوف على الظروف والعوامل النفسية والجسدية والداخلية والخارجية التي تعرض لها . ثم انهم يجهلون مقدار فضيلته ، وكمية حسناته ، ودرجة استحقاقاته امام العلي . أما كانت المجدلية انقي واشرف من سمعان الفريسي ؟ اما كان العشار ابرئ من ذلك الفريسي الشديد المحافظة على ظواهر وصايا الناموس ؟ اما كانت المرأة التي أخذت في زفاف اقل اثنا من اولئك المتسertين بلباس الشرف والبرارة ، الذين تألبوا عليها يشكونها ؟ اما كان اللص وهو على الخشبة اكثر فضلاً من رؤساء الكهنة الطلقاء ؟ لذلك حق لبولس الرسول ان يقول ما قال ؛ ولقد كان ملخصاً في كلامه . وحق للناس الانقياء المتواضعين ان ينسجوا على منواله . لأن التواضع هو العدل والصدق والاخلاص والحق . « من انت حتى تدين عبد غيرك ؟ انه مولاه يثبت او يسقط »<sup>(٢)</sup> .

فتواضع امام انفسنا . ان الله يريد ان نعرف ما فينا من خير

وحسنات ومؤهلات ، وان نعترف لنفسنا بها ، لكي نشكره عليها ، لازه هو مصدرها وواهبهما . ولقد قالت القديسة تريزييا الكبيرة الافيلية في هذا المعنى : « ان الواجب يقضي على النفوس التي وصلت الى درجة الاتحاد الكامل مع الله تعالى ان تقدر هذه النعمة تقديرأً سامياً ، وان تذكر دائماً ما وهبها الله من نعم ، وان تخدر ان تنكر هذه الموهب الالهية بداعي التواضع .

اليس ان ذكر النعم يزيد في عاطفة الحبة نحو المنعم ؟ وكيف يمكن المرأة ان يتكلم عن الحيات التي يقتنيها ويوزع حوله منها ان كان يجهل وجودها » <sup>(١)</sup> . ولكن ينبغي ان لا ننسى ايضاً حقارتنا وضعفنا ونقاوصنا ، وما يتزوج في اعمالنا من المأرب الذاتية والمطامع الخصوصية ؟ ينبغي بالاكثر ان لا ننسى ذنبينا للتواضع دائماً امام العزة الالهية . هكذا يتواضع القديس بولس رسول الامم الذي مع انه « اختطف الى السماء الثالثة وسمع كلام سرية لا يحبل لـإنسان ان ينطق بها » <sup>(٢)</sup> ، الا انه يقول عن ذاته : « وآخر الكل تراءى (اعني الرب يسوع) لي انا ايضاً كانه للسقوط لاني انا اصغر الرسل ولست اهلاً لان اسمى رسولاً لاني اضطهدت كنيسة الله . لكن بنعمة الله صرت على ما انا عليه » <sup>(٣)</sup> .

(١) النص نفسه مذكور في كتاب حياة القديسة تريزييا الطفل يسوع ، فصل ١٢

(٢) كورنثس ١٢ : ٤ : ٢ (٣) كورنثس ١٥ : ٨ - ١٠

وهكذا نررض انفسنا على دوام التواضع في افكارنا ، وفي عواطفنا ، و ايضاً في مظاهرنا الخارجية وفي سائر اعمالنا .

اما تواضع الفكر فاننا نمارسه بمحذرنا اولاً من الاتكال على نفسنا ، ومن اعتقادنا بقوتنا وفضيلتنا وصلاحنا ؛ ثم باستسلامنا لارشادات رب وايحاءاته ، عالمين ومقررين بان لا صلاح لنا الا بنعمته وعونته ، ولا ثبات لفضيلتنا الا بجوده وفضله . وبذلك لانعظام مؤهلاتنا فوق ما هي عليه ؟ ولا نتباهى بما ليس فينا . وفي هذا يقول بولس الرسول : « واني بالنعمة المعطاة لي او صي كل من فيكم ان لا يسمو بعقله فوق ما ينبغي بل ان يتتعقل تعقل الحكمة على مقدار ما قسم الله لكل واحد من الاعان »<sup>(١)</sup> .

وقال احدهم يوماً للقديسة تريزا الاقيلية ، وكان قد اعجب كثيراً بما تفعله من الاعمال الحبيبة : « حذاري يا امي الرئيسة من ان تستسلمي للزهو والتجدد الباطل . فاجابته لفورها : المجد الباطل وكيف يمكنني ان اقبل به . اني بالاحرى اطلب من رب ان يعينني لكي لا اقطع رجائی من خلاصي انا الخاطئة المسكونة »<sup>(٢)</sup> .

وتواضع الفكر يقوم ايضاً بان نهرب من الظهور ونتوارى امام اعجاب الناس بنا ؟ وبان نخادر ان نعمل ما يستجلب الانظار

(١) رومية ١٢ : ٣

(2) *Histoire de St Thérèse, T. II, p. 369*

طمعاً في الصيت والشهرة وثناء التقدير . بل يكون رائداً مجرداً عن عمل الخير وتجريد الله وخدمة نفسها في روحياتها ، وخدمة قريبتنا . والا فإننا لا نذكر بال المسيح ، بل بذواتنا . وكان القديس منصور دي بول يحذر كهنة جمعيته من ذلك ويقول لهم : « ماذا يفعل ، يا ترى ، من تعاطي الوعظ ليكرز بنفسه طمعاً في تصفيق الناس له ، وثنائهم عليه ، واعجابهم بصفاته ، وتحدىهم عنه ! انه يقع في خطية انتهاك القدسيات . نعم انه ينتهك القدسيات . لأن من استخدم كلام الله والأشياء المقدسة الالهية ليحصل منها على شرف وجاه ، ينتهك بلا ريب القدسيات » <sup>(١)</sup> .

وتواضع الفكر معناه ايضاً اخضاع العقل لارشادات الكنيسة ، ولرأي الكنيسة ، ولو جهة نظر الكنيسة ، عالمين ان الخبر الروماني ودوازه العالية ، وان بطريركنا واساقفتنا لهم انوار سماوية غير انوارنا ، وان الرب يسد خطواتهم في ارشادهم لنا ، وفي شق الطريق لمسيرنا ، حتى في الامور الثقافية والاجتماعية والوطنية التي تعرض لنا في حياتنا .

وتواضع الفكر يحملنا ايضاً على احترام رأي غيرنا ، وان خالف به رأينا ، وعلى التساهل في حديثنا معه في الامور التي ليست عقيدة دينية لاهوتية مثبتة . لأن لكل انسان حرية

(1) Maynard: *Vertus et Doctrine de St. Vincent de Paul*, p. 214.

الرأي والعقيدة في الامور المباحة .

اما تواضعنا في عواطفنا فعناء اننا نرضى بما قسم الله لنا من رزق ومن مال ومن شرف ومن وظيفة ومن مكانة اجتماعية . ولكن هذا يتنافي مع حقنا في السعي والاجتهاد للحصول على حالة افضل ونجاح اوفر ، اذا كان في ذلك تمجيد الله وخدمته وحسن القيام بواجباتنا . هذا شأن كل التجار والصناع والفنانين والادباء والمخترعين ، ورؤساء ومديري الجمعيات الدينية والادبية والثقافية والاجتماعية . وهذا شأن كل مصلحي الرهبانيات الكاثوليكية ، نظير القديسة تريزا الافيلية والقديس يوحنا الصليبي وغيرهم . ولكن مع السعي والاجتهاد والفلاح والنجاح يبقى الانسان متواضعا ، ويثبت في سلام ورضى وطمأنينة وقناعة ، واضعا امره وعمله بين يدي رب مدبره ومعينه وموفق اعماله .

التواضع في العواطف معناه ايضا ان يرثب الانسان في ان يبقى في الدنيا نسياناً منسيأً ، وان يختار له بين الوظائف المعروضة عليه ما كان حقيراً ؛ وان يسدل ستراً على كل ما من شأنه ان يجلب له حب الناس وثناءهم وتقديرهم واعجابهم ؛ بل كل رغبته في ان لا احد يأتي بذكره .

ويقول صاحب الكتاب الرابع البديع «الحرب الروحية» :

« ازه يجب علينا ان نتذلل في افكارنا وعواطفنا امام الله ، وامام قريبنا ، وامام انفسنا ، لانه لا شيء فينا مما هو لنا يستحق الاعتبار والتمجيد . وان ما فينا من خير يتلاشى امام عظم ما فينا من شر . وكم نستسلم حتى في عمل الخير والصلاح لأفكارا الزهو والطمع ، او لعواطف اغتياط المرء المعجب بنفسه ، المرتاح الى نجاحه في عمله ، ناسين ان الفضل الحقيقي يعود الى الله والى معونة نعمته . كيف نتباهى وقد صممّنا مراراً آذاناً عن اجاية ما يدعونا الله اليه من عمل الخير ! وكم تظهر حقارتنا اذ نقيس انفسنا بقياس الرسل والشهداء وأباء الكنيسة ومعلميهما ومؤسسيه رهبانياتها ؟ اذ نقيس انفسنا بقياس القديسين العظام اثنا سبعين وباسيليوس والذهبي الفم واغسطينوس وايرونوس واغناتيوس دي لويلا وترizia الايقيلية وسواعهم ؟ اذ نقيس انفسنا بقياس يسوع المسيح ، بقياس العزة الالهية »<sup>(١)</sup> .

ولقد كتب في هذا المعنى القديس منصور دي بول الى كهنة جمعيته يرشدهم ، قال : « يجب علينا الا نلقي بنظرنا الى ما نعمله من الخير في سبيل قريبنا ، بل بالاحرى ان نطيل النظر الى المساوى التي تصدر عنا ، لأن ذلك مما يحفظ فضيلة التواضع في قلوبنا . ان موهبة اعادة النفوس الى التوبة وغير ذلك من المزايا

(1) *Le Combat Spirituel*, ch. XXXII.

والمؤهلات الخارجية لم يربها الله لنا لاجلنا بل لاجل قريتنا . فنحن وكلاء عليها وجوالون لها . بل يمكن مع وجودها فينا ان نهلك نفوسنا . لذلك وجب على من يستخدمه الله ليعمل بواسطته اعمالاً عظيمة ان لا يتباهى بذلك ولا يزهو به ولا يتاذبه كأنه منه وله . بل عليه ان يتواضع امام العلي ويعرف بأنه انا هو آلة حقيقة يستعملها رب في تدبيره الاهي »<sup>(١)</sup> .

اما تواضعنا في مظاهرنا الخارجية فإنه يكون مرآة التواضع الداخلي الذي يكون فينا . وهذا التواضع الخارجي يساعد بدوره عواطف التواضع الداخلي وينشطه . وهكذا يكون التواضع عمل الروح وعمل الجسد معاً .

فالتواضع الخارجي يكون اولاً في وضاعة اللباس وحشمته ؛ وفي بساطة المسكن وقلته . فان التائق في الثياب وفي الأناث ، وكل ما هو تبرج وفخامة يعرض للزهو والخيلاء . ولذلك فالمتواضعون من الرهبان والراهبات يرغبون الثياب الخلقية والخداع الفقرية والآلة البسيطة والخدمة المتواضعة .

التواضع الخارجي يكون في هيئتنا ومشيتنا ونظرنا ؟ فلا يفوح من هذا كله سوى عبر الوداعة والمسالمة والعاطفة الطيبة البعيدة عن الترفع والتبرج والعظمة واحتقار الناس .

(1) Maynard: *Vertus et Doctrine...* p. 218

التواضع الخارجي يكون بتوقيرنا لغيرنا، واعطائه المقام الاول علينا، وخدمته بما يمكن من جهودنا ومساعينا، ولا سيما من كان فقيراً او صغيراً او ضعيفاً او قاصراً واحتاج الى معونتنا ومساعدتنا. «ان عادة التواضع الخارجي المسبب عن عاطفة صادقة قلبية تحفظ الشخص الانسان هيئة لطف ووداعة دائمة. وما ذلك سوى مزيج من التؤدة والرصانة والحلم، مما يفرض على الهيئة كلها جمالاً فتاناً وتناسباً كاملاً وسحرأ حلالاً»، يعبر عنه بكلمة واحدة رائعة هي الاحتشام. فيبدو هذا الاحتشام في النظر، وفي الصوت، وفي الضحك، وفي كل حركة واشارة من الانسان. ولا ابعد عن الاحتشام الحقيقى من اندفاع المرء الى الظهور. ولقد قال الرسول : «ليظهر حلمكم امام الناس فان رب قريب»<sup>(١)</sup>. هذا هو السر فيما يbedo من الروعة والقدسية في الهيئة الوضيعة. فان الله قريب من هذه النفس؛ وهي لا تنسى ذلك، بل تعيش في حضرته، وتعمل تحت نظره، وتشتغل بمساعدة ملائكته»<sup>(٢)</sup>.

التواضع الخارجي يظهر على الاخص في كلامنا وفي حديثنا. فنمسك مثلاً عن الكلام لنترك الدور لغيرنا؛ ولا نفيض

(١) فبأي ٢ : ٥

(2) Mgr. Gay: *Vie et Vertus chrétiennes*, T. I, p. 357.

في ذكر اعمالنا ووصف مواقفنا وسرد تاريخ حياتنا؛ ولا  
نستعرض اشغالنا ووظائفنا ومواقفنا، وما نجح من مساعدينا،  
وما هرّ من خطبنا، وما انتشر من كتاباتنا؛ ولا نشيد بذكر  
اقرائنا واصدقائنا ومعارفنا؛ ولا نذم امام الناس انفسنا لاظفر  
بديهم لنا وثنائهم على اجادنا. ان بعض القديسين تظاهروا  
 بالحق طلباً لاحتقار الناس لهم، «فيجب ان نعجب بهم ولكن من  
 غير ان نقف في اثرهم» يقول القديس فرنسيس السالسي، لانه لا  
 بد أن كان لهم اسباب حملتهم على ما اتوه من شذوذ وافراط في  
 اعمالهم. فلا يتحقق لغيرهم ان يأخذوا ذلك منهم»<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

فالتواضع اذا هو فضيلة عملية جميلة النفع، كثيرة الاجور،  
 ترافق الانسان في كل اطواره، وفي كل دقائق وتفاصيل حياته،  
 وتكونه من حسن النجاح في اموره، وتفيض عليه سحرأ وتنشر  
 عنه عرفاً يبقى طويلاً من بعده.

(1) *Introduction à la vie dévote*, III° p, ch. V.

### حادث تارينخي

#### تواضع القديس ارسانيوس

كان ارسانيوس من اشراف روما ، وكان شديد التقرى ، عالي الثقافة ، كثير الادب . فاختاره الامبراطور ثارديوسيوس في اواخر القرن الرابع ليكون استاذًا ومرأةً لولديه اركاديوس واؤنطونيوس . ووصل الى اعلى مراتب الدولة ، ولقب بابي القياصرة ، واصبح من اغنى اعيان دهره . الا ان نفسه الكبيرة كانت تعاف دائمًا تلك المبالغة التي كانت مسراها مزوجة على الدوام بشيء من الاكدرار والنقسان . فلما صار ابن اربعين سنة ، هجر العالم وافراحه واعياده وامواله ، وهرب خلسة الى صعيد مصر ، وطلب من رهبان تلك الصحاري ان يقبلوه فيها ويبيئوه ويرسلوه في طرق العبادة والاختلاه .

وانهم رغم تكتمه عرفوه ؟ فاستمعظمو شأنه ، وتهبوا مقابله ، واخذوا يتسللون من منهم ينكرون ان يكون مرشدًا لهذا لاستاذ الكبير والعالم الخطير .

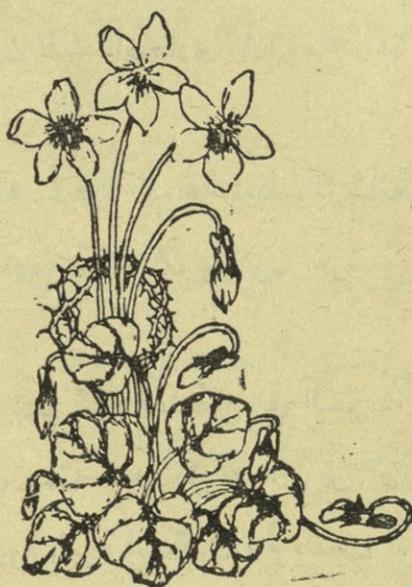
وقادوه الى واحد منهم كان قد طمن في السن . وكان ناسكًا خطأ مجددًا . فدخلوا عليه في عقشه ، ودخل ارسانيوس وراءهم ، وبقي واقفًا على الباب متأدبا . فالمده بامرها فسكت ولم يلتفت اليه .

وحان وقت الفداء فقام الناسك وقدم اضيوفه خبراً ناشئاً وتقرباً مجففاً . ولم يدع ارسانيوس للأكل ، بل تركه واقفًا على الباب كما كان ، وتناسى شأنه . وبعد برهة اخذ ذلك الناسك رغيفاً ورهاه لارسانيوس وقال له : كلّ اذا كان لك رغبة في الأكل . فأكبه ارسانيوس على الارض راحذ

الرغيف وقام يأكله وهو واقف في مكانه .

فلما رأى النساك المحنك منه ذاك التواضع العميق قال جلسته : ان هذا الرجل سوف يصل الى شأو بعيد في القدس . وهكذا كان . لأن ارسانيوس ما عَمَّ ان صار من ائمة النساك وقادة الرهبان وكبار القديسين . ولما سأله بعد حادث الرغيف ماذا خالج فكره من الافكار لما رأمه النساك العجوز له ، اجاب بكل بساطة : اعتبرت نفسي كلباً من الكلاب لا يأنف من أكل ما يرمون به اليه .

تواضع مسيحي !



## الفصل الثاني عشر

### في فضيلة الوداعة

ان الرب يسوع بقوله : « تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب » <sup>(١)</sup> . قد جمع بين التواضع والوداعة لانهما فضيلتان شقيقتان متعانقتان مكملتان الواحدة للآخرى .

يأنها . - الوداعة هي فضيلة مسيحية فاصلة الطبيعة تقف في وجه الغضب ، وذلتفس من ثوراته ، وتحلّم امام نقاده القريب واساءاته ، وتعامله باللين رغم غلطته واثقاله .

والوداعة لا توجد الا فيمن ملك ناصية امور نفسه بالقناعة . وتسلح بالشجاعة ، وكان محباً جواداً كريماً . فالوداعة هي مجموعة طيبة من الفضائل المسيحية ، واثارها غزيرة شهية . فهي بعيدة عن الرداء ، فلا تضرر الحقد والعداوة ، وتتظاهر بالمسالمة والموافقة والمساحة . وهي ليست ضعفاً في الاخلاق وجبانة امام مصاعب الحياة . بل هي فضيلة داخلية يلزم لصاحبها كثير من الشجاعة ، ومن ضبط النفس ، ومن التغلب على نزعات الطبيعة واميالها وثوراتها . خصوصاً وان اطباع البشر متباينة ، ومسارتهم

مختلفة، وثقافاتهم منوعة؟ فاحتلكا كهم ببعضهم يدعو بطبيعته  
إلى المضايقة والنفور والانفعالات النفسية، والثورات الداخلية  
القوية. فالوداعة تلطف جماح النفس وتهدي ثورات الغضب  
لأجل الله ومحبة الله، وتبدل العنف باللين، وانفجار الطبيعة  
بالحلم والتهدئة.

نمارها. - أما نمارها فكثيرة ومنافعها عظيمة، لأنها في ذاتها  
مجموعة فضائل سامية، ولأنها من الوسائل الكبرى لنشر السلام  
في الدنيا. يقول المسيو أوليري: إن الوداعة لا توجد إلا في  
النفوس الندية التي لم تعرف الخطية المميتة. فإن سكنى السيد  
المسيح فيها مدة طويلة قد طبع فيها طابعه الخاص به، أعني الصبر  
العطوف والمساحة الشائنة عن الحبطة.

فشرارة الوداعة كما قلنا هي السلام، السلام مع الله، السلام  
مع القريب السلام مع ذاتنا.

يكون الوديع في سلام مع الله لأن يكون على استعداد  
كامل دائم لقبول ما تسمح به عنایته الاهمية من خير أو شر؟  
ويكون راضياً بما ينزله من ضيق أو سعة. وهكذا يعيش ناعم  
الibal رغم شدائده، ويتمتع بسلام القلب حتى في مضايقه. ويشعر  
ان الله راض عنده وساكن في قلبه. وما احل ما قال الرسول  
في هذا: «لأننا نعلم ان الذين يحبون الله كل شيء يعاونهم

للخير »<sup>(١)</sup>.

ويكون الانسان الوديع في سلام مع قريبه لانه يقابل نفائه ومط معه واثقاله وجده وثوراته حتى اسأاته ايضاً بحمل وهدوه وعطوه ومساحته : « وعبد الله يحب عاليه ان لا يشا جر بل يكون ذارفق نحو الجميع صبوراً مؤذباً بوداعه المخالفين عسى ان يؤتىهم الله التوبة لمعرفة الحق »<sup>(٢)</sup>. فلا يبقى من داع للخصام ، بل تنتصر الحبة المسيحية ويسود السلام : « طوبي للوداع ، فانهم يرون الأرض »<sup>(٣)</sup>.

ويكون الانسان الوديع بسلام مع ذاته لانه يكون قد وطن النفس على الصبر والتواضع ، والرضى بالشدائد للتکفير عن الخطايا ، والتسليم لارادة المولى بقبول ومحبة . عند ذلك لا يبقى محل للغضب . فلا يغضب لما يأته من الحن ؛ ولا يثور لما يصادفه من الشدائيد ؛ ولا يحزن لتفاصيه وغلطاته وهفواته ؛ ولا يغتصم حتى خطاياه . بل يتواضع ويندم ويجدد ثقته بالله ، ويصلّي ، ويستغفر ، ويعود الى السير في عمل الخير ، والى حسن مواظنته على واجباته بكل طمأنينة وسلام . ولا يفعل ما يفعله بعضهم فيغضب لانه غصب ، ويحزن لانه استسلم للحزن ، ويثور على نفسه لانه خضع لنزعات قلبه .

(١) رومية ٨: ٢٨ (٢) ٢ تيموثاوس ٢: ٢٥ (٣) متى ٥: ٦

والمُلْئَ الادعى على الوداعة هو السهر المُسِيح . - فان الوداعة هي شارتة الكبرى . ولقد سبق الانبياء، وبشر وابه انه سوف يكون ملكاً وديعاً : « لكي يتم ما قيل باشعيا النبي القائل : ههذا فتاي الذي اخترقه ، حبيبي الذي سررت به نفسي . أحل روحي عليه فيخبر الامم بالحكم . لا ياري ولا يصبح ولا يسمع احد صوته في الشوارع . قصبة مرضوضة لا يكسر وكتاناً مدحناً لا يطفى حتى يخرج الحكم الى الغلبة ، وعلى اسمه تتوكلا كل الامم » <sup>(١)</sup> .

ولقد حقق هو تالك النبوة ، لانه ظهر في كل اطوار حياته . مثلاً رائعاً لاروع واجمل واكملاً ما في الوداعة من معانٍ سامية . ووصف هو نفسه بأنه وديع ومتواضع القلب . وهو يدعو المتعبين والمشقين والحزان والمضايقين الى نيره الطيب لكي يجدوا راحة لأنفسهم وطمأنينة لقلوبهم وسلاماً لحياتهم <sup>(٢)</sup> .

يكفيانا ان نقرأ بعض صفحات في الانجيل لتتجلى امامنا باكملاً بها وداعه المسيح . ما اجمل حقاً وداعته مع تلاميذه ، وحمله عليهم ، وصبره على نقاوصهم وجهاتهم ومطاعتهم وقصر نظرهم وغلاظة قلوبهم ، وهو مالك الملوك وهم السوقه العجيب . وما اعذب وداعته مع الاولاد ، واحتضانه لهم ، وملطفتهم ، ومنحهم بركته ، ودفاعه عنهم ضد ما بدا من المضايقة

(١) ٤٢ اشعيا : ١ - ٦ ومقى ١٢ : ١٧ (٢) مقى ١١ : ٢٩

عند تلاميذه جلبتهم ، ودعوته الناس لكي يتشبهوا بهم : « حيلئذ قدِمَ اليه صبيان ليضع يديه عليهم ويصلبلي . فزجرهم التلاميذ . فقال لهم يسوع : دعوا الصبيان ولا تنعوهن ان يأتوا الي لان مثل هؤلا ملکوت السماوات . ووضع يديه عليهم » <sup>(١)</sup> .

وما احن دادته مع الخطأة ، وقبوله لهم ، وتحدثه اليهم ، واقتاصه لقلوبهم . ان موافقه الخالدة مع السامرية ، ومع المرأة الزانية ، ومع الخلع ، ومع اللاص ، لهي أروع ما جاء عن الوداعة في تاريخ الدنيا : « لم آتِ لأُدعو صديقين بل خطأة الى التوبة » <sup>(٢)</sup> .

وما ابدع دادته مع الجماهير المختلفة حوله وهي ترجمه وتضايقه . « فلما خرج يسوع أبصر جماعاً كثيراً فتحنّ عليهم لأنهم كانوا كخرفان لا راعي لها وطفق يعلّمهم اشياء كثيرة » <sup>(٣)</sup> . ألم يزجر تلاميذه لما غضبوه العدم قبول السامريين له وقال لهم : « ان ابن البشر لم يأت ليهلك نفوس الناس بل ليخلصها » <sup>(٤)</sup> .

وما اكرم دادته مع المرضى ، وكم تحمل من جاجتهم ، ومن اثقالهم ، ومن مضائقتهم له ، ومن اعتراضهم له في طريقه . ولقد فاقت دادته كل حد في آلامه : مع يهوذا « يا صاحب لا ي شيء جئت » <sup>(٥)</sup> . ومع العبد ملکس ، ومع الخادم الذي

(١) مق ١٩ : ١٣ - ١٥ (٢) مرقس ٢ : ١٢ (٣) مرقس ٦ : ٣٢

(٤) لوقا ٩ : ٥٦ (٥) مق ٢٦ : ٥٠

لطمته على خده، ومع بطرس الذي انكره، ومع اليهود الشاذين عليه : « يارب اغفر لهم » <sup>(١)</sup>.

لذلك حق له ان يوصي تلاميذه والمؤمنين به ان يكونوا وديعين على مثاله :

« اما انا فاقول لكم : أحبوا اعداكم، واحسنوا الى من يبغضكم، وصلوا لأجل من يعنتكم ويضطهدكم » <sup>(٢)</sup>.

« اما انا فاقول لكم : لا تقاوموا الشرير بل من لطتك على خدك الاين فتحول له الآخر . ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فخل له ردئك ايضا » <sup>(٣)</sup>.

« كونوا حكما . كالحيات وودعا ، كالحالم » <sup>(٤)</sup>.

فالمسحي الحقيقي يتأمل في حياة السيد المسيح، ويسمع اقواله ووصياته ويسعى لكي يتشبه به ويسير بحسب تعاليمه . فيتجنب الخصم، وثورات الغضب، وأنواع الشتائم، وقوارص الكلام؛ ويتحلى بالبشاشة في معاملته مع الناس . فالوداعة هي قناصة القلوب، وجذابة النعم، وأصل الخير العميم على الارض . « طوبي للوداع، فإنهم يرثون الارض » <sup>(٥)</sup>.

(١) لوقا ٢٣ : ٣٢ (٢) متى ٥ : ٤٤ (٣) متى ٥ : ٦٩ و ٧٠

(٤) متى ١٠ : ١٦ (٥) متى ٥ : ٥

﴿ حادث تارينخي ﴾

وداعة القديس منصور دي بول

كان القديس منصور دي بول قد اصبح علماء عظيماً في المملكة الفرنسية على عهد الملك لويس الثالث عشر . وكان قد اسس جميات المرسلين الامازريين وراغبات الحبة ، وانشأ الالاجي والمستشفيات ، ورفع مستوى الدروس اللاهوتية ، واضحى رجل المملكة والكنيسة الاكبر في بلاد فرنسا .

وكان الملك قد وكل اليه انتخاب الاساقفة لكرسي الابرشيات وتعيين كبار موظفي الكنائس والمعابد . فصار الكثيرون يطمعون بعطفه لكي ينه لهم شيء من انتظاره وتقديره . لكنه كان رجلاً قديساً متجرداً متنزهاً عن كل اغراض الدنيا ومطامع الارض . ولم يكن يدعوا الى شرف الاسقفية الا من تحقق اهليتها الدينية والعلمية والادارية مما يقطع النظر عن اسمه وشهرة عائلته ، او عن نفوذه وثراته . لذلك كثرا اعداؤه وبغضوه .

ففي ذات يوم بينما كان راكباً فرساً وسائراً في طريقه اذ ادركه واحد من اوثنك الطماءين في الدنيا ، الناقين عليه ، واخذ يكيل له الشتائم بلا حياء ولا حساب . وما قال له : ان كل ما يحمل بفرنسا من المصائب اغا هو نتیجة جهله وغروره ومطامعه .

فيا كان من منصور الا ان تزل عن فرسه وركع امام شاته وقال له بنبيه الحلم والوداعة : نعم ياخي ، الحق معك . انا سبب مصائب فرنسا . يا ايت الملك يعرف ضيقني وجحلي ومسكتني ويطرعني فابقى في الدنيا نسياناً . ويا ليتك تحسن الي وتساعدني على ذلك .

فذهب الرجل من هذه الوداعة وهذا التواضع ، فهمجم عليه يقبل يده ويستغفر منه .

## الباب الثاني

### في الفضائل الالهية

سجدة

#### تأهيل

ان الفضائل الالهية ثلاثة : الايمان والرجاء والمحبة . فالمقدس يوحنا في رسالته الاولى الى اهل كورنثوس يتكلم باسهاب عن المحبة ويسمو الى حد الابداع في كلامه عن هذه الفضيلة الالهية التي اتفا هي الظاهرة الكبدي لتجلي الالوهة ، والشعار الاعظم للديانة المسيحية<sup>(١)</sup> . ثم بعد ذلك يقول : «والذي يثبت الان هو الايمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة واعظمهن المحبة»<sup>(٢)</sup> . وفي رسالته الى اهل تسالونيكى يعود مرتين الى ذكر هذه الفضائل الالهية الثلاث فيقول في الفصل الاول : «متذكرين عمل ايامكم وتعب محبتكم وصبر رجائزكم بربنا يسوع المسيح»<sup>(٣)</sup> . وايضاً في نهاية رسالته : «اما نحن اهل النهار فنصبح لابسين درع الايمان والرجاء وخرزة رجاء الخلاص»<sup>(٤)</sup> . فكلام القديس يوحنا واضح فيما يختص بهذه الفضائل الالهية ، وعليه سارت الكنيسة المقدسة في تعليمها .

(١) ١ كور ١٣ : ٨ - ٩ (٢) ٩ كور ١٣ : ١٣

(٣) ١ تسا ١ : ٣ (٤) ١ تسا ١ : ٨

وتدعى هذه الفضائل الثلاث المية لأن غايتها هو الله . وهي اكبر الوسائل لاتخاذنا به تعالى ، فنسمو فوق ما نحن ، والى اعلى من مطالب طبيعتنا ، ويتبدل الانسان البشري فيصير انساناً مهاوياً ، وهكذا نقترب من الالوهة ، ونتحد بها بواسطة سيدنا يسوع المسيح .

فالإيان يقربنا من الله ، و يجعلنا تتحدد به تعالى التحادأ روحياً وثيقاً ، لأننا بالإيان ندركه تعالى كما شاء ان يتجلى لنا ، ونؤمن بكلامه لانه الصدق الاممى ، ونقبل بلا تردد ايماناته ، ونعد نفسنا للقائهم في السماء الى الابد برؤيته حسب وعده ؟ وهكذا يشاطر فكرنا فكره ، وعلمنا عالمه ، فتتحدد روحنا بروحه ، وقلنا الضعف بحكمته الارلية وكلمته .

وبالرجاء نصعد ايضاً اليه ، ونصبو الى التمتع بنعيمه ، ونعمل آمالنا بان سوف ينيلنا ما وعدنا به من ملكوتة ؟ لانه رحيم وجود وصادق ، ولانه خلقنا وأحبنا وخلصنا ولا يزال شغوفاً بنا ، عطوفاً علينا ، رائياً لفنهننا ، مساعدأ لنا في جهادتنا ، الى ان نخط رحالنا امام عرشه ونسعد مدى الابدية برؤيته .

اما بالحبة فان قلبنا يذوب في نار حبه ؟ لاننا نرى فيه كل الحب وكل البهاء والجمال والكمال ، فنجده بكل جوارحنا وعواطفنا ، حتى نصيرونه بالحبة واحداً . وهكذا يكون اتخاذنا به وثيقاً على الارض ، ريشنا تتحدد به بالحبة في السماء الى الابد .

فبحق سُمَّيَت هذه الفضائل فضائل المية لأن الله هو محورها وغايتها الاولى والقصوى . وها نحن آخذون بالكلام بيجاز عن كل واحدة منها .

## الفصل الأول

في فضيلة الإيمان

أيازها . . . الإيمان هو فضيلة فائقة الطبيعة تحمل ذهتنا ،  
تحت تأثير ارادتنا الحرة وعوننة النعمة الالهية ، على قبول  
وتصديق الحقائق التي اوحاها الله لنا ، لازه هو الحق الاذلي الذي  
لا يمكن ان يغلط ، ولا يمكن ان يضلّلنا .

فعمل هذه الفضيلة هو اذاً عمل روحي عقلي ، لانه عمل  
قبول وتصديق لحقيقة عقائية . كما ان للارادة ايضاً فيه حظاً وافراً .  
لان الحقيقة المعروضة على العقل ليست في ذاتها وجوهرها من  
الوضوح والظهور مما يجعل العقل يقبلها بلا تردد ولا ارتباك .  
لذلك كان لا بد للارادة من ان تنزل هي ايضاً الى الميدان وتعمل  
عليها ، وتحمل الذهن اولاً على بحث الاسباب الموجبة لقبول  
تلك الحقيقة وتصديقها . فاذا ما وجد العقل تلك الاسباب كافية  
منطقية ، وارتاح الى صوابيتها ، عادت الارادة الكرّة عليه وأمرته  
ان يصدق تلك الحقيقة ويقبلها ، فيؤ من العقل حينئذٍ بها . فالإيمان  
هو نتيجة فعل العقل وفعل الارادة معًا .

ولما كانت الحقائق المعروضة على عقلنا لتصديقها وقبولها

والایان بہا هي الھیة سماویة تفوق مدار کنا وتسمو على قوى طبیعتنا کان لا بد لنا من النعمة الالھیة لتضیی عقلنا وتشدد ارادتنا ، فتمکننا من ممارسة افعال الایان ، ويكون لنا من ذلك اجور سماویة غزیرة .

والایان يشمل الحقائق کلها التي اوحاها تعالی للبشر ؟ سواء تلك التي لا يستطيع المرء بانواره الطبيعية ان يدركها ، نظير حقيقة الثالوث القدس مثلا ، او سر التجسد الالھی ؟ او تلك التي يستطيع ان يدركها بقوه عقله ومنطقه ، وهو بالفعل قد ادركها ، ولكنها يزيد بواسطه الوحي معرفة بها وادرا کا لکیفیتها ، نظیر وجود الله ، وابداعه للعالم ، ومكافأته للخير ، ومجازاته للشر .

ومعظم الحقائق التي اوحاها الله قد جمعتها الکنیسة المقدسة في قانون الایان ؟ وهي ترجع کلها الى الله والى السيد المسيح . فالله هو الكائن الواحد الازلي المثلث الاقانيم ، القادر على كل شيء ، خالق ورب الكل . واليسوع ابن الحبیب ، الاقنوم الثاني من الثالوث القدس ، الذي تجسد في احشاء العذراء مريم ، وافتداانا ، واسس کنیسته وسلیحها بسلطانه ، ووضع بين يديها حکنوز نعمه واسراره لتكمل رسالته وتقود البشرية بمعونة الروح القدس الى الملکوت الابدي الذي استحقه المسيح لها

بآلامه . هذه هي المجموعة الكبرى للحقائق الالهية التي اوحى بها الله والتي أمرنا أن نؤمن بها ونصدقها ونسير في حياتنا على ضوئها ، وان كنا لا ندرك كنهها وجوهرها ؟ فيقودنا الإيمان بها والعمل بقتضائها إلى الحياة الابدية : « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك والذي ارسلته يسوع المسيح » (١) .

٢ صنافع الإيمان . — الإيمان هو حقيقة أساس حياتنا المسيحية ، وهو مقدسها ومكيفها ومنشطها ومعزّتها . لأننا بالإيمان نعلم ما هو الله ، وما هي قدراته وسلطاته ورحمته وحنانه ، ولأنّ شيئاً خلقنا وما زلنا نعيش في حياة الله ، وبماذا وعدنا . فهو النور الذي به تسترضي في حياتنا وفيها نصبو إليه من آمالنا ، وهو القوة التي تشجعنا وتتشاطئنا ، وهو التعزية التي تلطّف شدائنا ، وبه الأجر الدائم الذي تغنينا وتضفر للسماء . أكاليلنا .

فالإيمان هو نور لعلّنا لأن به نستمد من الله المعارف الحقة الصحيحة الصادقة ، فيمترج فكرنا بفكرة ، وروحنا بروحه ، وحياتنا بحياته ، فنعرفه كما هو ، ونفهم كيفية وكيفية مخلوقاته على قدر ما تستطيع طبيعتنا البشرية الضعيفة ان تفهم كنهه وطبيعته وعمله . الا ان معرفتنا له بالإيمان تكون صحيحة ،

مزدهة عن الضلال ، بعيدة عن ترهاط الفلسفات السخيفية  
السقيمة الباطلة . « بالاعان يصبح نور الله نورنا ، وحكمته  
حكمتنا ، وعلمه علمنا ، وروحه روحنا ، وحياته حياتنا » (١) .

بالاعان يتميز الانسان المسيحي عن الفياسوف الطبيعي .  
فإن علم الفلسفة ناقص لاعتداه فقط على المنطق العقلي والنور  
ال الطبيعي . أما العلم الصادر عن الاعان فهو كامل لأن الله هو  
مصدره ؛ والله هو رب كل فلسفة ، ومصدر كل علم وينبع  
الأنوار كلها . انتم ابناء النور ، يقول لنا المسيح . واذ نرى  
العقل البشري يتخطى في دائرة ضيقة مظلمة ، ويسير على ممر  
الاجيال من شكوك الى شكوك ، ومن ظلمات الى ظلمات ،  
اذ نرى جموع الفلاسفة يسعون بكل قواهم ليصلوا الى النور ،  
ليظفروا بالحقيقة فلا ينال المقدم منهم الا التزير اليسير منها ، اذ  
نراهم وكل منهم يتبذل ما وصل اليه غيره من افوار ، ويقبح  
طريقته وينكر عليه تعليمه ، نرى المسيحي يسير بطمأنينة في  
بحر فائض بالأنوار ، فلا يتردد ، ولا يخالج فكره شك ، ويعرف  
بخلاف حقائق سامية رائعة بدعة المهيء ، فيرتاح عقله اليها ، وينعم  
بطمانينة بها ، ويسير بسلام وفرح على ضوئها . يعرف ان الله  
موجود ، وأنه روح ازلي سرمدي ، لا حد لقدرته ، ولا حصر

(1) Mgr Gay: *Vie et vertus chrétiennes*, T. I, p. 150

لحكمة ، وانه هو الذي ابدع من العدم الانسان وسائر الكائنات ، وانه واحد في طبيعته ، مثلث في اقامته ، وان حكمته الازلية هي بهذا المقدار سامية حتى انها تؤلف اقنوماً ثالثاً ، هو الكلمة ؛ وان محبتة هي بهذا المقدار فائضة حتى انه يصدر منها اقنوم ثالث هو الروح القدس ، الروح المعزي ، الروح المقدس للنفوس ، الروح الموزع النعم والمفيض النور ؛ وان اقنوم الثاني تجسّد في احشا ، بتول ، ونزل على الارض ، وتردد بين الناس ، وعلمهم حقيقة الاسرار الالهية ، ورفعهم الى الالوهة ، وافتداهم بدمه الاطهر ، وترك لهم اسراراً سبعة مقدسة محبيبة لنفسهم ، وسكن على الدوام في القربان فيها بينهم ، في كنائسهم ، وفي قلوبهم ، وجعل للكنيسة التي اسسها سلطاناً هياً ، وعصها عن اغلاط الفلسفه ، وزرها عن اضاليل العقل البشري الضعيف الساقط المتحزب الطماع المتكبر ، وفتح ابواب الملکوت لجميع الام و الشعوب ، اعني لكل من يريد ان يعبد الله بایمان و تقوی ومحبة .

هذه هي خلاصة الحقائق السامية السماوية الحقة ؛ وعلى ضوئها يسير الادب المسيحي ويسمو على كل ادب فلسطي طبيعي ، لانه يستمد انواره من الحكمة الازلية السامية الالهية .

اما الفلسفة الطبيعية فهي ناقصة ، والعلوم البشرية فقيرة

بائسة فلا تشبّع العقول ولا تروي القلوب . ولقد كتب في ذلك الشاعر الفرنسي الكبير فرنسوا كورييه قال<sup>(١)</sup> : « ان العالم الكيميائي ، في كل مرق تخليلات معمله ، لا يستطيع ان يجد الدواء الواقي من الشكوك والحزان » .

« وان ما يرسله القمر من الانوار مدة صيف كامل ، وهو ما نقدر ان نحصره في قنديل من قناديل اديسون الكهربائية ، لا يتوصّل الى تبديد ظلمات قضية واحدة من القضايا التي تشغّل النفوس البشرية الحاذرة » .

« ما هو قدر الاختراعات العلمية كالماء التي يفاخر مجتمعنا العصري بها ، والتي هيئات ان يصل الى القلب البشري اثرها ، امام الكلمات التي فاه بها المسيح منذ الف وتسع مئة سنة ، على مسمع بعض المؤمنين من سكان الجليل : ان اصبر على آلامك برضى ، واقبا ، على الموت بعاطفة الرجا . هذا هو السر العظيم الذي نزل وحيه علينا من قبة الجبلة . ونحن احوج اليه لاجل اسعدنا من الاستيقليين والفنونغراف » .

فهل من تعلم ياترى ، اسمى من تعلم يسوع على الجبل ، وهل من ادب ارفع واقع في القلوب من ادب الذي يدعوه اليه هذا المعلم الالهي ؟ « طوبي للمساكين بالروح ، طوبي للحزان ،

(1) Cfr G. Hoornaert, S. J.: *A propos de l'Evangile*, p. 226.

طوبى للودعاء ، طوبى للجيعان والمعطاش الى البر ، طوبى للرجماء ، طوبى للانقياء القلوب ». فالقداسة التي يدعوا اليها يسوع هي قداسة القلب ، وقداسة النية ؟ هي القدسية السماوية المترفة عن المطامع الأرضية وعن المصالح السخيفة الذاتية . هي القدسية الصحيحة الروحية ، وليس القدسية المادية الجسدية الظاهرة التي تعنى فقط بالعيون التي ترى وبالاذان التي تسمع . هي القدسية التي تضع حبّة الله في رأس اعمالها ، وتحبّ القريب بحبّة الله ، وتعطف عليه لاجل الله ، وتحسن اليه لوجه الله . هي القدسية التي تجعل السيد المسيح مثالها ، و تعاليمه دستوراً لحياتها . هي القدسية التي تعتمد على نعمة الله في عملها ، فيصبح هذا العمل سماوياً ابداً .

الإيمان هو قوة لارادتنا ؟ فهو خير مشجع لنا في مضائق هذه الحياة وشدائدها . لأننا بالاعيان نعرف ان المسيح سار في طريق الشدائـد قبلنا ، وانه يدعونا الى الملـاحق به ، وانه يعطيـنا القوة لنـسـيرـ في اثرـه ، وانه يـعـدـناـ بالـسعـادـةـ الدـائـرـةـ وـيـعـنـحـناـ ايـاهـاـ اذاـ حـفـظـناـ وـصـايـاهـ وـكـنـاـ اـمـيـنـينـ فـيـ طـاعـتـهـ . بالاعيان نـعـرـفـ «ـ انـ ضـيقـناـ الـحـالـيـ الحـفـيفـ يـنـشـئـ لـنـاـ ثـقـلـ بـجـدـ اـبـدـيـ لاـ حـدـ لـسـمـوـهـ »<sup>(١)</sup> . بالاعيان نـعـرـفـ معـ بـولـسـ الرـسـولـ «ـ انـ آـلـامـ هـذـاـ الـدـهـرـ لـاـ تـقـاسـ بـالـجـدـ المـزـمـعـ اـنـ يـتـجـلـ فـيـنـاـ »<sup>(٢)</sup> . وهـكـذـاـ اـنـتـقـوـيـ وـنـتـشـجـعـ ، لـاـ

(١) ٢ كور ٢ : ١٧ : ٨ (٢) رومية ٨ : ١٨

بل نصل الى حد اتنا «نفتخر ايضاً بالشدائـد لعائـنا بـان الشـدة  
تنـشـي ، الصـير ، والصـير يـنشـي ، الـامـتـحـان ، والـامـتـحـان الـرـجـاء ، والـرـجـاء  
لا يـخـزـي لـان حـبـة الله قد اـفـيـضـت في قـلـوبـنـا بـالـرـوـحـ الـقـدـسـ الـذـي  
اعـطـيـ لـنـا»<sup>(١)</sup> . وما اـبـدـعـ ما كـتـبـهـ بـوـلـسـ الرـسـولـ في رسـالـتـهـ الى  
الـعـبـرـانـيـنـ عنـ اـيـانـ الـآـبـاءـ وـالـأـنـبـيـاءـ وـالـشـهـدـاءـ : «بـالـأـيـانـ نـفـهـمـ انـ  
الـدـهـورـ اـتـقـنـتـ بـكـلـمـةـ اللهـ حـتـىـ انـ الـمـنـظـورـاتـ صـنـعـتـ هـنـ غيرـ  
الـمـنـظـورـاتـ . . . اـنـهـ يـضـيقـ بـيـ الـوقـتـ لـوـ اـخـبـرـتـ عـنـ جـدـعـونـ . . .  
وـالـأـنـبـيـاءـ الـذـينـ بـالـأـيـانـ قـهـرـواـ الـمـهـالـكـ وـعـلـمـواـ الـبـرـ وـنـالـواـ الـمـوـاعـدـ  
وـسـدـواـ اـفـوـاهـ الـأـسـوـدـ وـاطـفـأـواـ حـدـةـ النـارـ وـنـجـواـ مـنـ حـدـ السـيـفـ  
وـتـقـوـواـ مـنـ ضـعـفـ وـصـارـواـ اـشـدـاءـ فـيـ الـقـتـالـ وـكـسـرـواـ مـعـسـكـراتـ  
الـأـجـانـبـ وـاسـتـرـجـعـتـ نـسـاءـ اـمـوـاتـهـنـ بـالـقـيـامـةـ وـعـذـبـ آـخـرـونـ  
بـتـوـتـيرـ الـأـعـضـاءـ وـالـضـرـبـ وـلـمـ يـرـغـبـوـاـ فـيـ النـجـاةـ لـيـحـصـلـوـاـ عـلـىـ قـيـامـةـ  
أـفـضـلـ . . .»<sup>(٢)</sup> . فالـأـيـانـ هـوـ الـقـوـةـ الصـادـقةـ لـنـاـ عـنـدـمـاـ توـشكـ  
انـ تـخـورـ عـزـائـنـاـ اـمـامـ زـوـابـ الـحـيـاةـ وـشـدائـدـهاـ .

ومـاـ اـبـلـغـ مـاـ كـتـبـ الرـوـاـيـيـ الـفـرـنـسـيـ الشـهـيرـ پـولـ بـورـجـهـ اـذـ قالـ :  
«ماـ هوـ قـدـرـ هـذـهـ الـعـلـومـ وـماـ هوـ نـفـعـ هـذـاـ الدـخـانـ عـنـدـمـاـ يـصـلـ  
الـأـنـسـانـ اـلـىـ نـقـطـةـ تـوجـيـهـ الـحـيـاةـ وـيـضـطـرـ اـنـ يـتـخـذـ لـهـ قـرـارـاـ وـطـرـيـقاـ.  
ماـ هـيـ قـيـمـتـهـاـ عـنـدـمـاـ يـحـتـاجـ الـقـلـبـ فـيـ مـحـنـتـهـ اـلـىـ مـعـونـةـ عـلـوـيـةـ ، اـلـىـ

(١) رومية ٥: ٣٣ (٢) عبرانيين ١١: ٣٣

حقیقتہ ثابتہ یستطیع ان یتمسک بہا و یثبت علیہا<sup>(۱)</sup>۔  
وقال الفیلسوف جو فروا: «کیف یکن الاذسان ان یعيش  
بسلام اذا کان لا یعرف من این اتی، وما هو مصیره، وما هي  
الطريق التي یلتزم ان یسیر علیہما».

«اعترف لك يا ابتي رب السموات والارض لانك اخفيت هذه عن الحكماه والعقلاه و كشفتها للاطفال . . . تعالوا الي يا جميع المتعبيين والمشقلين وانا اريكمكم » (٢) . «السلام استودعكم . سلامي اعطيكم » (٣) .

الإيام هو التعزية الصحيحة الكبرى لقلوبنا عند حلول المصائب وهجوم الشدائـد والنــائب . فحين يخطف الموت من بين أيدينا شخصاً عزيزاً علينا ، ولداً محبوباً ، أو أمّا حنوناً ، أو إباً سيداً أستــداً ، أو صديقاً مخلصــاً ، فالإيام وحده يمكنــه أن يعزــينا ، ويطفــىء اجيــح نيرــان قلوبــنا ، ويــبدد الســحب المظلمــة المتــجمــعة في آفاقــنا وفي آمالــنا . لأنــه هو وحــده يستطيعــ ان يــسمعــنا صــوــته عند اشــتدــاد العاصــفة ويــقولــ لنا : « لا تحــزنوا كما يــحزــن باقــي الناســ الذين لا رــجــاء لهم ٠٠٠ من يــسمعــ كلامــي ويــؤمنــ به فــله الحياةــ الــابــديةــ » ؟ وــان الدــنيــا هي دــار شــقاء وفــداء ، وــان الــابــديةــ هي حقــاً دــار النــعــيم

(1) Paul Bourget; *L'Etape*, p. 343.

۲۷ : ۱۶ پوچنا و ۲۸ : ۲۰ می ۱۱ (۳) :

والبقاء ؟ وان الذين يموتون بالرب ، لا يزالون متحدين بال المسيح مع الاحياء ، وعاشرين معنا وهم في النعيم ؟ واننا بصلاتنا لاجل راحة نفوسهم ، وبطلبنا شفاعتهم ، نسجل الى الابد اتحادنا معهم وقربنا اليهم .

الإيمان هو ايضاً ينبع فائض للكثير من الاجور السماوية . او لاً لأن فعل الإيمان هو فعل سامي له اجره واستحقاقاته . فيه تخضع لصوت الله عقلنا وارادتنا ومداركنا وانوار علومنا . وحيينا تعصف حولنا زوابع الاخاذ بالكتابات الكفرية المنوعة ، والخطابة اللادينية ، وانواع المظاهرات العلمانية المعادية للمبادئ القوية الاممية ، فان تمسكنا بيماننا يكون عنوان فضلنا وسبب اجورنا .

والإيمان ايضاً اذا كيفنا به اعمالنا ، وجعلناه اساس حياتنا ، فاصبح الدافع الحقيقى لافعالنا ، فان كل حركة وسكنة من حياتنا تصبح ذات صبغة سماوية ، فنستحق عليها النعم على الارض والاجور في السعادة الابدية . فيبدل ان يكون درسنا مثلاً ، او شغلنا ، او اكلنا ، او شربنا ، لاجل غاية بشرية ، يصبح بالإيمان لاجل الله ، وعملاً بارادة الله ، ومتابقاً لتعليم الله ، وبذلك يكون تمجيد الله ، ومستحفاً لرضى الله ولملائكته . وفي هذا المعنى يقول بولس الرسول : « فإذا أكلتم او شربتم ،

او عملتم شيئاً فاعملوا كل شيء لجلد الله»<sup>(١)</sup>.

٣- كيف نمارس فضيلة اربعاته . - ان الاعيان هو نعمة وموهبة من الله ، وهو ايضاً فعل بشري صادر عن القوى العقلية بخلقه او حريتها . لذلك كان لا بد له من الصلاة التي تستمد له النعمة الملوية فيعمل وينمو ويتفوق ؟ وكان لا بد له ايضاً من الجهد الشخصية لكي يكون عمله صادقاً ومستحقاً للاجر السماوية .

واعمال فضيلة الاعيان هي انواع مختلفة ودرجات متعددة على حسب استعداد وكل فئة من المؤمنين المسيحيين .

فالمبتدئون في الحياة الروحية يثبتون ايقانهم اولاً باصداء آيات الشكر لله على نعمة الاعيان التي انعم بها عليهم ، عالمين ان الاعيان هو اساس سائز النعم : «فشكراً لله على موهبته التي لا توصف»<sup>(٢)</sup> . وشكراً لهم هذا ازداد حرارة وخشوعاً اذ يلقون بانتظارهم الى ما حولهم ويرون ان هذه الموهبة العظيمة قد حرم منها الكثيرون من ذات مواطنיהם العائشين بينهم . وترتفع نفوسهم الى الله بالصلاحة لكي يديم عليهم هذه النعمة ويزيدها في قلوبهم : «يا رب زدنا ايماناً»<sup>(٣)</sup> . وهكذا يرددون فعل الاعيان ما امكنهم .

(١) ١ كورنثس ١٠ : ١٨ (٢) ٢ كورنثس ٩ : ١٥ (٣) لوقا ١٢ : ٥

ثانياً انهم يُقوّون ايامهم بطالعة الكتب العلمية والتقوية والتاريخية والدفاعية التي من شأنها ان تزيدهم معرفة بالله، وبحقيقة ايمانه، وبجمال تعاليمه. ان تيار الكفر قد طفى على البشرية، فكثرت المؤلفات الاخادية التي تهاجم عقول وقلوب المؤمنين لتنزع منها نور الایان وتعزية الایان، وترع بدلاً منها الشك والفساد والحراب المستهترة. ان الكاتب الكبير «بالمس» (Balmes) يقول : «لا ينكر على أحد تمسكي الشديد بالعقائد المسيحية الصحيحة . ورغم ذلك فاني كلما قرأت كتاباً من الكتب الممنوعة اشعر بعوز جديد الى قراءة الانجيل وكتاب الاقتداء باليسوع ومؤلفات لويس الغرناطي . فالى اي المهالك تتعرض تلك الشبيبة الحقى التي تجسر على قراءة كل شيء من غير ان تhattاط لنفسها بما يقوى معارفها ويغذي خبرتها . ان مجرد افتخاري بذلك يلاني خوفاً وأسفاً» .

فالواجب والمنطق معأ يقضيان بان نطالع الكتب التي تثبتنا في ايماناً، وتعلمنا الفلسفة الحقة المسيحية التي هي ثمرة التعاليم الصادقة الالهية الابدية . فكم وكم من الكتب ومن الصور، ومن افلام السينما، ومن المجالات، ومن المحاضرات التي تهاجم المبادئ الالهية مهاجمة علنية لتهدم صرح المدنية الصحيحة الثابتة المهنئة . وكم وكم نرى حولنا من الوسائل الجهنمية التي تعمل

بكل قواها لدك اسوار اليمان المسيحي المقدس ، تحت ستار العالم والحرية والتساهم والاشتراكية الكاذبة .

ثالثاً يصون المبتدئون بالحياة الروحية ايامهم من الضعف والفتور بمقاومتهم ما يثور في عقولهم من روح الكبراء العلمي والتمرد على التعاليم الالهية بداعي الحرية العقلية والمقدرة المنطقية . لأنهم يعلمون ان العقل البشري هو لا شيء بازاء العقل الالهي والحكمة الازلية ، وان الفلسفة الطبيعية الصادقة ، فلسفة ارسطو وافلاطون ، هي سراج ضئيل امام شمس الفلسفة الالهية . ولذلك اذ يتأنّك لهم ان الله قد تكلم بضم انبياته ورسله وكنيسته يبادرون الى اخضاع عقولهم وقلوبهم واعماهم وكل دقائق حياتهم لتعاليم رب واحكام رب .

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . كل به كون وبغيره لم يكون شيء مما كون . فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » (١) .

اما التجارب ضد اليمان فهي اما ان تكون عامةً واما ان تكون خاصةً . اما العامة فهي التي لا تتناول قضية معينة من قضايا اليمان ، بل تهاجم اليمان كله ، كقول احدهم مثلاً : ان الوحي لا وجود له ، او ان كل ما لا يرى هو وهم ؛ او ان كل

ما لا يفهمه العقل فهو مردود . وغير ذلك من الأراجيف التي يظنها أصحابها مبادئ ثابتة ويتمسكون بها ظاهراً منهم أنها تعليلهم فوق سواهم ، ناسين في وهمهم أن الفلسفة الطبيعية هي ارضية ، وان الإيمان هو الفلسفة السامية السماوية .

اما التجارب الخاصة فهي التي تتناول بالاعتراض والشك قضية معينة من قضايا الإيمان ، نظير سر التجسد مثلاً ، او سر الفداء ، او سر القربان ، او بتولية مريم العذراء ، او ابدية جهنم . فامام التجارب العامة يجب علينا ان نردد في اذهاننا ان ايماننا هو مؤسس على كلام الله ؛ وانه لا شك لدينا في ان الله كلامنا ؛ وانه جلت حكمته وقدرته ، لم يترك وسيلة الا استخدمها ليوصل تعاليمه ووصايته الى اذهاننا ، فاوحى لنا كلامه بواسطه الانبياء ، وعلى الاخص بواسطه ابنه الكلمة المتأنس ؛ وان لدينا على ذلك ادلة واضحة اكيدة لا تقبل الشك ولا يمكن ان يتسرّب اليها الريب ، كالعجزات العظيمة التي اثبتتها التاريخ الصحيح الثابت ؛ وان عقولاً عظيمة اسمى من عقلتنا ، واكثر علماء ، واحداً فيها ، قد بحثت في قضايا الإيمان وبيانها وشرحها ، وثبتت حقيقتها وأمنت بها .

وبعد ان نقنع انفسنا بمثل هذه المبادئ الاساسية يجب ان فلنجأ بتواضع وخشوع الى الصلاة ، لأن الإيمان هو فضيلة المحبة

فائقة الطبيعة ، وان نهتف نحو رب : « انا اومن يارب فاعن ضعف ايماني » <sup>(١)</sup> .

اما اذا هاجتنا التجارب ضد قضية معينة من قضايا الايان فيجب ان لا نستسلم للشك في حقيقتها ، بل نبقى على ايماننا بها وريثا نسأل من هو اعلم منا عن معناها وصحتها وثبتوها ؟ او ريثا نبحث نحن بذاتها عنها اذا كان في استطاعتنا وفي متناولنا ان نفعل ذلك . ويجب ايضاً ان لا نغفل عن الصلاة ، طالبين الى رب ان ينير اذهاننا ويقوى قلوبنا لكي لا نذهب ضحية ضعف نظرنا وكبرنا عقلنا . وعلينا ان لا ننسى ان من المصاعب ما لا نستطيع ان نذله الا بعد دروس خصيصة طويلة شاقة . وهذا كثيراً ما يكون فوق متناول حتى بعض الطبقة المثقفة الراقية .  
 لأن ايضاح بعض الحقائق يتطلب علوماً عميقاً في التاريخ والجغرافيا وعلم النفس والمنطق ، وتطورات الشعوب ، وفلسفه الاجيال ، وتغيرات الافكار في مختلف البلدان . فالحكمة تقضي بأن لا نقبل الشك في قضية من القضايا التي تعلمها الكنيسة المقدسة ريثما تمكنا الظروف - ان هي مكنتنا من استقصاء بيانها وشرحها وفهمها ، او الوصول الى هذه النتيجة انها لا تتنافي مع ما يقبله العقل السليم المجرد عن الهوى .

اما المتقدمون في الحياة الروحية فانهم لا يكتفون بان يؤمنوا بما اوحاه الله وتعلمه الكنيسة المقدسة ، بل انهم يعيشون في حياتهم بمحض ايمانهم ، وبروح ايمانهم : « البار بالاعان يحييا » <sup>(١)</sup> . فهم يجعلون السيد المسيح محور حياتهم ، وقبلة اعمالهم . يقرأون الانجيل بامعان وتواضع ومحبة ويقتبسون منه التعاليم السديدة والطرق الصحيحة التي تكفل لهم حياة مسيحية مطابقة لمعتقداتهم وآياتهم . وهكذا ينظرون الى امور الحياة بنظر الاعان ، ويحكمون على الدنيا واهلها وتقلباتها وما فيها من حياة وموت ، وسعادة وشقاء ، وفقر وغنى ، وافراح واتراح ، بروح الاعان ، وتعاليم السيد المسيح ورسله وكنيسته .

اما الكاملون من المسيحيين فان حياتهم وافكارهم واقوالهم واعمالهم تكون مشربة بروح « موهبة العلم » التي يفيضها الروح القدس في قلوبهم ، فلا يحكمون على امر من امور الحياة منها كان كبيراً او صغيراً الا بوجب ما له من علاقة بالله تعالى ، ولا يرون في القريب الا صورة الله ، ولا تبدو لهم في كل ما يشاهدون من الخلائق حولهم الا قدرة الله وحكمته ومحبته وحناته : « السماوات تذبح مجد الله والفالك يخبر باعمال يديه » <sup>(٢)</sup> . فالشمس والقمر وسائر النجوم تبدي بهاءه وقدرته ؛ والسحب تطر رحمته ؛

والا زاهر تفوح بعرف جماله ، والشعوب تترنم بحكمته ، ومجاهير  
 القديسين الذين لمعوا على الارض بكل فضيلة وكل بطولة  
 يتلاّون بانوار نعمه ونعمته ، « فوهبة العلم » تحمل المفوس  
 التقية على ان ترى الله في كل شيء ، وان تسمعه في كل وجود ،  
 في الزهرة الصغيرة المعلقة على ضفاف الغدير ، وفي الدوحة العظيمة  
 المظللة باغصانها الجموع واليابا تأوي اسراب العصافير ؟ وفي حبة  
 الرمل المنسية على شواطئ البحور ، وفي الجبل الاشم الشامخ  
 الذي يناطح السحاب وعلى قمه تس buoy النسور ؟ وفي الطفل  
 الرضيع النائم بهنا ، على صدر امه ، وفي الخطيب الخطير الذي  
 يهزّ المجاهير بفصاحة بيانه . نعم ان الله يبدوا لهم في كل شيء ، في  
 كل حركة وكل سكنته ، فيرونها بأعين قلوبهم ، ويطربون جماله ،  
 ويستحيون عظمته وقدرته وحناته ورحمته وجماله وبهاءه  
 وبيانه في الحياة ، وبيانه في الممات مدى الدهور والآباء .

## حادث تاريخي

اعان الاب دي راتسبيون

كان دي راتسبيون قد بلغ سن الشباب وهو يهودي . وكان معروفاً في الاوساط التجارية بفرنسا . وكان شاباً مستقيماً ومتقدماً ثقافة عالياً . وخطب لنفسه عروسأً من بنات جنسه ومن طبقته . وراح يعلم الآمال بمستقبل باسم وحياة هنيةة .

وقبل زواجه ترك فرنسا وذهب يريد زيارة البلاد الفلسطينية بقصد العبادة والتجارة والسياحة مما . فر في طريقه بروما وتزل عند اناس من اصحابه التجار ممن كانوا يتعاملون معه في اشغاله وتجارته . فاستقبلوه على الرحب والسعفة ، وكانت خيرة العائلات الايطالية الكاثوليكية الطيبة .

وكانت اتلك العائلة ابنة شابة كثيرة التدين ، جميلة التهذيب فأخذت على نفسها خدمة هذا الشاب والعناية به . ورأيت منه اخلاقاً حلوة وآداباً عالية ، فاسفـت اسفـاً شديداً لما علمت انه يهودي . فأخذـت تباـحـته بـلـطـفـ في امور الدين فتارة تـازـحـه ، وـاـخـرى تـنـاظـره بـمـجـدـ وـتـجـادـله . وـكـانـ هوـ يـصـغـيـ اليـهاـ بـلـطـفـ ، ولـكـنـ بشـيـ . كـثـيرـ منـ الرـيـاهـ المـسـتـحـلـعـهـ وـالـتـهـكـمـ الـظـرـيفـ .

وتزل يوماً عند ارادتها فقبل منها ايمونـةـ صـغـيرـةـ لـابـتوـلـ المـجاـنـيـةـ وـعلـقـهاـ فيـ طـيـاتـ تـيـابـهـ .

وراحت الابنة تصوم وتصلي وتتوسل الى البتول لكي تهـيـ هذاـ الشـابـ الطـيـبـ المـهـذـبـ المـسـتـقـيمـ الىـ الـايـانـ المـسـيـحـيـ الـقـدـيمـ .

ومـاـ هيـ ايـامـ قـلـائلـ حتـىـ دـخـلـ ديـ رـاتـسـبـيـونـ يومـاـ اـحـدىـ الـكـنـائـسـ الروـماـنـيـةـ عـلـىـ سـبـيلـ الفـرـجـةـ ، وـاخـذـ يـطـوـفـ فـيـ الـخـانـهـ وـيـنـظـرـ فـيـ بـدـائـهـ .

فروصل الى هيكل للبتول ووقف يتأمل في التمثال المتصوب فوقه وكان عام الشبه ب بصورة المطبوعة على الايقونة التي كان يحملها . وما هي لحظة واذا بذلك التمثال يتحرك والبتول تزل من عرشه ، وتفترط منه ، وتبسم له . وينتشر من حولها نور ساطع يغطي كل ما حوله ضياء وبهاء .

فانطرح على الارض مذهولاً مذعوراً . وشعر كان كل جواره قد تغير وتبدل ، وكأنه قد صار انساناً ثانية . وشعر بقوة لا تعاند تجذب عقله وقلبه الى الديانة المسيحية . فآمن ووعد البتول مويم بان يتقدّم ، ويعتنق ديانة ابنتها الحبيب .

وقام لساعته وذهب الى بيت صديقه وباح لهم بسره ويعزمه . فظنوه في بدء الامر يازحهم ويضحك . ولكنـه أكـد لهم ذلك ، وقص عليهم ما حدث له وما رأى ، وكيف رمقـه الـبتـول بـعيـنـهـا وـظـهـرـتـ لـهـ . فـطـرـبـواـ لـذـاكـ وـهـنـاؤـهـ وـكـانـتـ الشـابـةـ اـبـنـهـ اـكـثـرـ الجـمـيعـ غـبـطـةـ وـحـمـاسـةـ وـتـمـيلـاـ .  
ومـاـ بـلـثـ انـ أـتـمـ ماـ وـعـدـ اللهـ وـالـبـتـولـ بـهـ . فـتـلـمـ اـمـورـ الدـينـ المـسيـحيـ وـاقـتـمـدـ وـاصـبـحـ مـسيـحـيـاـ مـؤـمـناـ .

وـكـتـبـ الىـ خـطـيبـتـهـ فـاعـلـهـاـ باـ جـرـىـ لـهـ وـطـلـبـ اـلـيـهـاـ انـ تـوـافـقـهـ عـلـىـ ماـ عـمـلـ وـتـبـعـهـ . اـلـكـنـهـاـ رـفـضـتـ . فـاتـرـ كـاـ بـعـضـهـاـ .

فـلـماـ صـفـاـ لـهـ الـجـوـ وـتـحـرـرـ مـنـ قـيـودـ الـخـطـوبـةـ وـالـزـوـاجـ دـخـلـ اـخـدـ الـادـيـارـ ، وـتـلـمـ الدـرـوـسـ الـلاـهـوـتـيـةـ ، وـصـارـ كـاهـنـاـ . شـمـ اـسـسـ رـهـبـانـيـةـ لـلـرـجـالـ وـاـخـرـىـ لـلـنـسـاءـ لـاـجـلـ العـنـيـةـ بـالـاـحـدـاثـ وـلـاـسـيـاـ الـيـهـوـدـ مـنـهـمـ .

اما النسائية فهي رهبانية راهبات صهيون Les Dames de Sion ولهن دير ومدرسة في مدينة القدس في المقام الذي قدم فيه الوالي بيلاطس يسوع مكملاً بالشوك ومحضباً بالدم لجمع اليهود الصاخرين وقال لهم : هؤلا الرجل : Ecce Homo .

ورهبانية الرجال تدعى رهبانية مار بطرس و لهم ايضاً دير عظيم ومدرسة  
للآيتام على شرفة عالية من ضواحي القدس .

### عظمة الخالق

«ما اعظم اعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت»<sup>(١)</sup>.

ان عظمة الخالق تتجلی في كل ذرة ، وفي كل ظاهرة ، وفي كل وجود من هذا الكون . الا انها تظهر بنوع اروع ، نقف امامه حيالى وقد اخذتنا الدهشة والاندھال امام النجوم والکروادب التي تتلألأ فوق رؤوسنا ، مما نراه باعيننا في سماء صافية ، وما لا نراه الا بالمنظارات العظيمة المعلقة في قباب المراسد الفلكية .

ان الانسان لا يستطيع ان يرى باعيين الحجرة اكثـر من ستة آلاف نجم اذا كان جو الليل غاية في الصفاء . اما في رحاب الفضاء فان علم الفلك يقول بوجود ملايين من المجموعات الكونية التي هي على شاكلة مجموعةتنا الشمسية ، بل تفوقها عظمة بشموسها و كواكبها وسياراتها و نظام دورانها . ان الضوء يسيراً بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية ومع ذلك فانه يوجد مجموعات شمسية تبعد عنا ٣٠ الف سنة ضوئية تقريباً .

حدثنا الرحالة موريس ماركي<sup>(٢)</sup> انه صعد الى المرصد القائم على جبل واسون في كاليفورنيا ، قال : وجدت في هذا المرصد اكبر مizar في العالم وانك لترى من انبوبة هذا المizar الجبار الف مليون نجم . وكان يراقبني

(١) مزمور ١٠٣ (٢) مجلة «المختار» عدد ايلول ١٩٦٢ ، ص ٥ - ٩

في مشاهداتي احد علماء المرصد . فحرك الانبوب الكبير الذي يحمل المرأة العظيمة فرأيت سديماً هائلاً يشبه مجموعتنا الشمسية ، وقد صدر عن شمسه ضوء منذ مليون سنة ، وهو لا يزال يقطع الفضاء ولم يصل بعد الى ارضنا رغم سرعة الضوء .

وفي الفضاء سُدُم لا تتحصى على شاكلة هذا السديم ، بل قل ملايين من الاكوان ، واكتراها اضخم من كوننا ، ومنها ما يسير بسرعة عشرة آلاف ميل في الثانية ، ويبلغ قطرها مئتي مليون ميل بل اكثراً ، اي ان قطرها يفوق بُعد الشمس عن الارض ضعفين ويزيد .

وادر الانبوب مرة اخرى فادا في زجاجته ضوء لامع متوجج ، وهو ضوء طائفقة جميلة من الدقائق الصغيرة تتلالاً كأنها مثات من حجارة ماس منشورة على بساط من المخمل الاسود . فقال العالم الفلكي : هذا عنقود النجم الكبير وهو يبعد عنا ثلاثة الف سنة ضوئية تقريباً .

وفي المرصد خمسة او ستة من العلماء يذوقون حياتهم كلها في دراسة الشمس . ويظهر ان البقع التي على سطحها تزيد وتنقص وتذهب وتهدو بانتظام فتتحدث في جو الارض اضطرابات كهربائية مغناطيسية عنيفة فتضطرب امواج الراديو واسلاك الہرق وتؤثر في حالة الجو . وان قد يتمكن العلماء في المستقبل القريب من معرفة حالة الجو قبل وقوعها بكثير ، من دراسة نشاط البقع الشمسية .

وادر العالم المنظار فرأيت خوخة عظيمة ذهبية كدت أمسها ييدى . فقال : هذه هي الزهرة اقرب الكواكب السيارة الى الارض ، وجوهاً يشبه جوهاً ، وربما شاعت فيها الحياة كما على الارض .

ثم نظرت فرأيت اروع المشاهد : رأيت زحل ، زحل البرتقالية اللون مع ملقاتها الثلاث الحبيطة بها ، وهي كالعروس المزينة الساجدة في الفضاء

ترهوا بحسنها ولعانها واساورها وحلالها .

ثم قلت للعالم رفيقي : هل لي ان ارى « يد الجوزاء » ؟ فضبط المنظار ووجد النجم فإذا هو مليون شمس في ممسم واحدة ، او هو غبار من الشموس . ففهمت اذ ذاك ما قاله العالم جيزيز : ان عدد النجوم يساوي عدد الرمال التي على شواطئ البحور .

فلا هبطت من قمة الجبل بدت لي المدينة اصغر شأناً واقلَّ وقماً في النفس . واحسست ان مركبات الترام ودور السينما والمباني الشاهقة ليست سوى اعب اطفال . وشعرت بالضمة تلاؤ نفسي من بعد نظرني الى تلك الاجرام الهائلة المادرة في رحاب الفضاء وهي تنطق بمعظمه رب السهام .

« السموات تذيع مجد الله ، والفالك يخبر باعمال يديه » .

## الفصل الثاني

### في فضيلة الرجاء

١ يافرا . - الرجاء هو فضيلة الهمية يها نصبو الى التمتع بالله لكونه هو تعالى سعادتنا الكاملة ، مع الامل الوطيد بان نحظى بهذه السعادة الابدية وبان فنال النعم الكافية التي توصلنا اليها ؛ وذلك اعتقاداً منا على حنان الله وقدرته تعالى ومواعيده الالهية . فالرجاء المسيحي هو حقاً فضيلة الهمية ، لأننا به نزيد الله ونرغب في التمتع به في ملكته ، ونأمل من رحمته ما وعدنا به من النعم لنصل الى هذه الغاية الشريفة الفائقة الطبيعية التي دعانا اليها .

ان الرجاء هو من الاموال المفسية ، وهو ايضاً عاطفة انسانية ؛ لأننا به نصبو الى ما نراه خيراً لنا ، ونرغب في الحصول عليه ، ونقتصر ما يعترضنا من المصاعب طمعاً بالوصول اليه ، مع الامل باننا سوف نفوز به . وهذه العاطفة وهذه الرغبة هي التي تكيف اعمالنا وحياتنا كلها . لأن رغائب الانسان هي التي تدفعه في مختلف الاتجاهات في حياته ، سواء كان ملكاً جالساً على عرشه ، او فلاحاً مكبباً على محاربه . فان ما يؤمله الانسان

من الخير، او ما يظنه الخير، يحمله على بذل كل ما لديه من فكر وقوة وصحة وقت في سبيل الوصول إليه؛ فيتجمّم لاجله المصاعب، ويتحمل الشدائـد، ويـاـهـدـ وـيـخـاطـرـ وـيـسـهـرـ وـيـسـافـرـ، غير مبالٍ بما يـنـالـهـ من تعب او نصب ليصل الى ما يطمع بالحصول عليه، والتمتع به.

والرجاء المسيحي يحمل على مثل هذا بعينه. لأن الإنسان المسيحي الحقيقي يعلم بالإيمان أن خيره الأسـىـ هو الله، وإن سعادته القصوى الحقة هي التمتع به في ملـكـوـتـهـ. لذلك فهو ينـكـرـ كلـ شـيـءـ منـ نـعـيمـ هـذـهـ الـذـنـيـاـ، وـيـعـافـ كـلـ سـعـادـةـ زـمـنـيـةـ، في سبيل الحصول على السعادة الـاـلهـيـةـ الـاـبـدـيـةـ. وـاـذـيـرـىـ المصـاعـبـ تـعـرـضـهـ فيـ طـرـيقـهـ، وـقـوـاهـ الذـاتـيـةـ دونـ انـ تـمـكـنـهـ منـ الـوصـولـ الىـ ماـ يـشـتـهـيهـ، يـعـمـدـ الىـ الـاصـلـاةـ، وـيـتوـسـلـ الىـ اللهـ لـكـيـ يـمـدـهـ بـعـونـهـ الـاـلهـيـ، فـيـنـتـصـرـ عـلـىـ الشـدـائـدـ، وـاـثـقـاـ بـاـنـ اللهـ الـذـيـ دـعـاهـ الىـ هـذـهـ السـعـادـةـ السـمـاـويـةـ وـوـعـدـهـ بـهـ لاـ يـبـخلـ عـلـيـهـ بـاـ يـقـوـدـهـ وـيـوـصـلـهـ الـيـهـ. فـقـوـامـ الرـجـاءـ المـسـيـحـيـ هوـ هـذـاـ الـأـمـلـ، الـأـمـلـ بـالـنـعـيمـ السـمـاـويـ وـبـالـوـسـائـلـ الـاـلـهـيـةـ الـفـائـقـةـ الـعـابـيـعـةـ الـتـيـ تـمـكـنـ منـ الـوصـولـ الـيـهـ.

٢ كـفـ قـرـسـ فـضـيـلـةـ الرـجـاءـ، قـرـسـناـ.ـ انـ فـضـيـلـةـ الرـجـاءـ تـقـدـسـ نـفـوسـنـاـ بـاـنـوـاعـ ثـلـاثـةـ :

اولاً - بان تزهنا عن الارضيات ، وتجعلنا ننظر الى الله ونصبو الى السماويات .

ثانياً - بان تجعلنا على ان نبتهل اليه تعالى بحرارة ومحبة وثقة لكي يوجد علينا بالنعيم الابدي في الحياة الاخرى ، وبالنعم التي توصل اليه في هذه الحياة الدنيا .

ثالثاً - بان قد دعونا الى ممارسة الفضائل المسيحية رغبة منا في الحصول على سعادة الملائكة الابدية .

ان الانسان ميّل بطبيعته الى السعادة ، وهو مدفوع بفطرته الى طلبها . لذاك يجد في اثرها ، ويظل يغذي آماله في الحصول عليها منها كلّفه الامر بالظفر بها من مشقة وعنا ، وطول وقت ، وبعد مسافة ، واسهار واسفار . ولما كانت الدنيا هي التي تبدو امام عينيه بنعيمها وخيراتها ، وملذاتها وجاهتها وكبرياتها ، فان طبيعته الضعيفة تندفع نحوها اندفاعاً ، املاً منها بالظفر بها والتمتع بغضتها . وهنا يبدأ الصراع في قلب الانسان ما بين طلبه لسعادة السما ، وطلب سعادة الارض . فتنزل فضيلة الرجاء الى الميدان وتعمل عملاها ، فترىه على ضوء الايان انه شتان ما بين السعادتين ، وان سعادة السما هي الصحيحة الدائمة الابدية ، وان سعادة الارض هي الحقيقة الواقتية الزائلة ؛ وان الله وحده هو الذي يمكنه ان يشبع نفوسنا ويروي غليل قلوبنا . وما اصدق

ما قال في ذلك إمام فلاسفة النصرانية القديس أغسطينوس : «انك ايها رب الاله خلقت قلوبنا لاجلك ، لذلك هي تبقى حازة الى ان ترتاح بك». اما خيرات الدنيا فانها مهما كثرت ومهما كملت تبقى ناقصة ، ولا يمكنها ان تشبّع <sup>نَهَمَ</sup> قلوبنا . ولذتها مزوجة ابداً بشيء من المراد ؟ وهي ان دامت يوماً فلا تدوم كل يوم . من هو الانسان الذي يستطيع ان يقول انه سعيد في هذه الدنيا ، وانه شبع حقاً من نعيمها . وما اوقع في النفس ما كتبه في ذلك القديس يوحنا الدمشقي اذ يقول : «اي نعيم في الدنيا يستمر خالصاً من الحزن ، او اي مجد يثبت على الارض من غير تحول . جميع ما فوقها اوهى من ظل ، جميعه اخدع من منام . وما هي الا لحظة واحدة حتى تصبح كل هذه الموجودات في قبضة الموت »<sup>(١)</sup> . وقد قال الشاعر :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يُغَرِّ بطيب العيش انسان  
هي الامور كما شاهدتها دول من سرّه زمن ساته ازمان  
وهذه الدنيا لا تبقى على احد ولا يدوم على حال لها شأن  
فبالرجاء المسيحي يزدرى الانسان الارضيات ويصبو الى  
السماءيات ، ويتحقق الى الاتحاد بالرب الى الابد ، وبذلك يتقدم  
في الفضيلة والنعمـة ويترقـد .

(١) من صلوات الجنائز .

ان فضيلة الرجاء تقدس ايضاً نفوتنا لأنها تحملنا على الصلة  
الحارة وعلى الابتهاج المتواصل الى الرب لكي يمنحك النعم التي  
توصلنا الى ملائكته والتمتع به . فيسارع الرب الى معونتنا ،  
ويفيض نعمه في قلوبنا ، فتنتعش افئدتنا وتتقدس نفوتنا .

وهذا ما جعل الكتاب المقدس يدعونا الى الرجاء ببراحم الله  
ومعونة في كل صفحة من صفحاته : « انظروا الى الاجيال  
القديمة وتأملوا هل توكل احد على الرب فخزي » او ثبت على  
مخافته فخذل ، او دعاه فأهمل . فان الرب رؤوف رحيم يغفر  
الخطايا وينخلص في يوم الضيق » <sup>(١)</sup> .

والانجيل يفيض بكلام الرب يسوع داعياً البشرية جماعة  
الى الرجاء : « الحق الحق اقول لكم ان كل ما تسألون الآب  
باسمي يعطيفكم » <sup>(٢)</sup> . وايضاً : « اي انسان منكم يسأله ابنه  
خبزاً فيعطيه حمراً » او اذا سأله سككة يعطيه حية . فاذا كنتم  
انتم الاشرار تعرفون ان تمنحو اعطایا الصالحة لابنائكم فكم  
بالحربي ابوكم الذي في السماءات يمنح الصالحات لمن يسأله » <sup>(٣)</sup> .

ان رجاءنا بالله وبتصديق مواعيده وبفائق قدرته يسره  
تعالى أيما سرور ، ويبعشه على افاضة انواره وهباته علينا  
بلا حساب .ليس انه هكذا اعمل مع الاعمى في اريحا ، ومع

<sup>(١)</sup> سيراخ ٢ : ١١ و ١٢ <sup>(٢)</sup> يوحنا ١٦ : ٢٨ <sup>(٣)</sup> مق ٧ : ١١ - ٩

البرص العشرة، ومع نازفة الدم، ومع رئيس المجتمع، ومع قائد المئة، وغيرهم وغيرهم.

الرجاء يقدس ايضاً نفوسنا لانه يحملنا على مباشرة اعمال كثيرة في سبيل الحصول على سعادة الملائكة. لان رغبتنا في الله وفي التمتع به مدى الابدية يجعلنا نبذل الجهد الصادقة في هذا السبيل مدى الحياة، ونقتصر المصاعب الشديدة، طمعاً في الوصول الى هذه السعادة الخالدة. لاننا اذا ما عرفنا بالایمان عظم النعيم الذي وعدناه ربنا، ومقداره ودوامه، لا نتردد في بذل كل غال ورخيص في سبيل الحصول عليه. قال ربنا : «يشبهه ملائكة السماوات رجالاً تاجراً يطلب لأنّي حسنة ؟ فوجدها لؤلؤة كثيرة الثمن فمضى وباع كل ماله واشتراها»<sup>(١)</sup>. وهكذا لا يكون المسيحي في طلب الآخرة اقل جرأةً واقداماً وجهوداً من اولئك الذين في سبيل خيرات ارضية وسعادة وهمية زمانية لا يهابون المصاعب، ولا يهربون امام المشقات والاخطر والاسهار والاسفار، سعيأً وراء مال او جاءه او وظيفة او علم او عشق او صحة. «وكل من يجاهد يمسك نفسه عن كل شيء اما اولئك فليتناعوا اكليلاً يفني، واما نحن فإكليلاً لا يفني»<sup>(٢)</sup>.

٣ كيف يحارب المسيحية فضيلة الوجا، . . . اننا نثبت قلوبنا

في الرجاء ونقوي نقوسنا فيه بتأملنا بمواعيد رب ، وبما كتبه الرسل والآباء القديسون عنه . فما ابدع ما قاله بولس الرسول : « اذا كان الله معنا فلن علينا ! الذي لم يشفق على ابنه بل اسلمه عن جميعنا كيف لا يهبنا ايضاً معه كل شيء . من يشكو مختارى الله ! الله هو المبر . فمن يقضى علينا ! المسيح هو الذي مات بل قام ايضاً وهو عن يمين الله وهو يشفع ايضاً فينا . فمن يفصلنا عن محبة المسيح ! اشدة ام ضيق ام جوع ام عري ام خطر ام اضطهاد ام سيف ... »<sup>(١)</sup> . وما ادعى الى الرجاء ما قاله رب في ليلة مبارحته هذه الدنيا : « لا تضطرب قلوبكم ، انتم تؤمنون بالله فاما نوابي ايضاً . ان في بيت ايي منازل كثيرة والا لقلت لكم فاني منطلق لأعدكم مكاناً . واذا ازطلقت واعددت لكم مكاناً آتي وآخذكم لتكونوا انتم حيث اكون انا ... فكل ما تسألون الآب باسمي فانا افعله ليتمجد الآب في الابن ... كما احبني الآب كذلك انا احببكم ... سميتكم احبائي لأنني اعلمتكم بكل ما سمعت من ايي ... الحق الحق اقول لكم ان كل ما تسألون الآب باسمي يعطيكموه »<sup>(٢)</sup> .

الا ان الله لا يريد ان يخلصنا وان يوصلنا الى سعادة المملكت بدوننا وبدون جهودنا وعملنا : « فإذاً نحن عاملون مع

(١) رومية ٨:٣٥ - ٣٦ (٢) يوحنا ١:١٦ - ١٣ و ١٥:١٥ و ٩:١٦ : ٢٣

الله»<sup>(١)</sup> . لا ريب في ان الله هو اصل كل خير، وانه هو المفيف  
لكل نعمة ، واننا بدونه لا نقدر ان نعمل شيئاً . ولكن لا بد  
لنا من مشاركته في عمل خلاصنا بمحض ارادتنا ونقام حرمتنا  
وصدق جهودنا . وفي هذا قال بواس رسول الرسول :

«لکني بنعمة الله صرت على ما أنا عليه . وزعمته التي في لم  
تكن باطلة بل تعبد أكثراً من جميعهم . ولكن لا أنا بل نعمة  
الله معى»<sup>(٢)</sup> .

وايضاً : «وبما أنا معاونون نسألكم أن لا يكون قبولكم  
نعمه الله في الباطل . . . بل نظهر في كل شيء انفسنا كخدم الله  
في الصبر الكبير والمضائق والضرورات والمشقات»<sup>(٣)</sup> .

وكتب ايضاً إلى تلميذه تيموتاوس : «احتمل المشقات  
كجندى صالح المسيح يسوع»<sup>(٤)</sup> .

والقديس بطرس يعلم بوضوح تام ويقول : «إيهـا الأخـوة  
اجتهدوا بالآخرـى ان تجعلـوا دعـوتـكم وانتـخـابـكم ثـابتـينـ بالاعـمالـ  
الصالـحةـ»<sup>(٥)</sup> .

لأجل ذلك فإن المبتدئين في الحياة الروحية يارسون فضيلة  
الرجال، أو لا بخدرهم من الطمع برجمة الله ومن اليأس ايضاً

(١) ١ كورنثس ٩:٣ (٢) ١ كورنثس ١٥:١٠ (٣) ٢ كورنثس ٦:١٥

(٤) ٢ تيموتاوس ٣:٢ (٥) ٢ بطرس ١:١٠

من رحمة الله تعالى .

فالطمع برحة الله يحمل بعض الناس على الاتكال على مراحم الله اتاكلاً كسولاً، بل اتاكلاً اثيماً . فانهم يهملون حفظ الوصايا، ويدهبون وراء الدنيا ، وينسون واجبات العبادة ، ويقولون ان الله رحيم غفور ، فيصفح عنهم ولا يهلكهم . او انهم يتکلون على قوتهم وتقواهم فيتهرون لمخاطر ، ولا يکترثون لها ، وينسون ان من تعرض للخطر وقع فيه . اليهذا كلام الرب : « اسهو واوصلوا لئلا تدخلوا في تجربة » <sup>(١)</sup> ؟ والرسول بولس يوصي ايضاً ويقول : « اعملوا خلاصكم بخوف ورعدة » <sup>(٢)</sup> .

اما اليأس من رحمة الله فهو مرض النفوس المosome والقلوب الضعيفة التي اما الكثرة سقوطها في الخطايا ، او لأجل شدة واستمرار تجاهلها ، او بسماح من الباري لاجل افتقادها وتبريرها ، او بسبب الارشادات الضئيلة التي تسمعها ، تضطرب وتتبيل وتقطع رجاءها من خلاصها . ومنها من ترمي حينئذ سلاحها ، وتستسلم لا هؤلئها ، وتتنغم في معاصيها ظناً منها انها تسكت بذلك صوت ضميرها الذي يعذبها . فاليأس هو اخطر تجربة يهاجمها الشيطان بها ليهدم اساس الحياة الروحية في نفوسنا . فعليينا ان نطالع الانجيل المقدسة ورسائل القديس بولس وكتب

(١) مرقس ١٤ : ٣٨ (٢) فيليبي ٢ : ١٢

المعلمين الروحيين ، فهي تنعش فينا روح التقوى والنشاط والرجاء : « كونوا انتم ايضاً متسعين » ، يقول القديس بولس <sup>(١)</sup> .

فبعد ان يكون المبتدئون في الحياة الروحية قد اخذوا حذرهم من هذه المفاسد ، وتحرروا من شرهما ، فلكي يقولوا فيهم فضيلة الرجاء ويتقدسوها بها ، لا بد لهم من ان يمرنوا ذواتهم بواسطة التأمل والصلة على الزهد بالدنيا وكبح جماحهم عن السعي وراء خيراتها ونعمتها ، لكي تصبو قلوبهم الى السعادة السماوية والخيرات الابدية : « اذن ان كنتم قد قدمتم مع المسيح فابتغوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . افطنوا لما هو فوق لا لما هو على الارض » <sup>(٢)</sup> .

اما المتقدمون في الحياة الروحية . فانهم يمارسون ليس افعال الرجاء فحسب بل تكون لهم بالله ثقة بنوية يغذونها في قلوبهم بتأملهم في مواعظ ومواعيد وافعال السيد المسيح . فيرون ان يسوع تألم ومات على خشبة لكي يفتدينا وينال لنا من ابيه السماوي غفران خطايانا ، ويفتح ابواب الملائكة امامنا ؛ وانه ترك لنا جسده ودمه قوتاً وهناءً لنفسنا وقلوبنا ؛ وانه هو رئيسنا واخونا وصديقنا ؛ واننا به ممتهنون التي وعدنا بها ننتصر على

(١) ٢ كورنثوس ٦ : ١٣ (٢) كولسي ٣ : ٢٩

اعداه خلاصنا ؟ وان محبته التي احبنا بها لا حد لها . « وكذلك الروح ايضاً يعتصد ضعفنا . فإننا لا نعلم ماذا نصلى كما ينبغي . ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأذنات لا توصف . . . ونحن نعلم ان الذين يحبون الله كل شيء يعاونهم للخير . . . فان الذين سبق فعرفهم سبق فحدّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنه حتى يكون بكرأ ما بين اخوة كثيرين »<sup>(١)</sup> . لاجل ذلك فما زلنا نرجو معونة الله ونعمته وتحقيق مواعيده بعاطفة بنوية وقلب مطمئن مهما اشتدت علينا وطأة المعاكست ، وثارت في وجهنا زوابع الشدائـد . لأننا نعلم ان الله هو معنا ، يريـي لضعفنا ، ويـشدـ ازـرـنا ، ويـسرـ باـنتـصـارـنا على شـدـائـدـنا ، ويـحـفـظـ لنا في السـمـاـواتـ كـنـوزـنا واجورـنا . فـهـلـ من باـعـثـ لنا على الشـفـقـةـ بالـلـهـ اـقوـىـ منـ كـلامـ الـرـبـ فيـ الـاـنجـيـلـ : « ايـ اـنـسـانـ مـنـكـمـ يـسـأـلـهـ اـبـنـهـ خـبـرـاـ فـيـعـطـيـهـ حـجـراـ »<sup>(٢)</sup> ؟

والقديس منصور دي بول كان يقول لرهبانه : « حينما تشور الأرض كلها علينا تهلكنا فلا يمكن ان ينالنا منها الا ما يسمح به الله الذي وضعنـا عليه اتكلـنا ». وكان اذا ما اصابـهم ضـرـ او حـلـتـ بهـمـ مـصـيـبةـ يقولـ ايـضاـ : « انـ كـلـ ماـ يـفـعـلـهـ اللـهـ ، يـفـعـلـهـ لـاجـلـ خـيـرـناـ الاـكـبـرـ ». لذلك يجب ان نضع فيه ثقـتناـ كلـهاـ مـوقـفينـ

بان هذه المصيبة ستكون خيراً لأن الله هو الذي سمح بها »<sup>(١)</sup> .  
 وهذه الشقة البنوية بالله تحمل النفوس التقية على استمرار  
 اعتقادها بالله حتى في أيام النجاح والتوفيق واقبال الدنيا عليها  
 بأنواع الخيرات والمسرات . لأنها تعلم أن السرور غرور ، وأنه  
 أشد خطراً عليها من شدائدها . لأن الراحة والطمأنينة تبعث  
 مراراً على الفتور في العبادة ، وعلى نسيان الخيرات الابدية ،  
 وعلى الزهو والكبرياء والاعتداد بالنفس . وما أحق ما قال في  
 هذا المعنى المنسنior دولست : «عندما تبسم الدنيا لآمالنا الأرضية  
 ورغائبنا الزمنية يصعب علينا ان نفلت من عنق المسرات اذ  
 تأتينا وتحل في بيتنا وفي قلبنا ؛ يصعب علينا ان نقول لاسعادة  
 المرفرفة فوق رؤوسنا : إنك لا تكفيني ولا تشبعيني »<sup>(٢)</sup> .  
 فالنفوس التقية لا تنسى ان افراح هذه الدنيا غرور ، وأنها تعيقنا  
 في صعودنا الى العلي . « باطل الباطل كل شيء باطل »<sup>(٣)</sup> . ما  
 خلا عبادة الله وخدمته . وكتاب الافتداء بال المسيح يقول :  
 « الاقامة بدون يسوع هي جحيم شديدة ؛ والسكنى مع يسوع  
 هي نعيم لذيد »<sup>(٤)</sup> .

ومسيحي التقى الحقيقي لا يحزن ولا ييأس من نقصه ،

(1) Maynard: *Vie et doctrine* (2) Mgr. d'Hulst: *Carême 1892.*

(٣) الجامدة ١ : ٩ (٤) الافتداء بالمسيح : س ٢ ، ف ٨ ، ع ٢

و لا من هفواته ، حتى ولا من ذنبه ، لأنها تكون له سبب  
تواضع وندامة وثقة اعظم ببراحم الله وحذاته .

« ماذا تظنون ؟ اذا كان احد له مئة خروف ، فضل واحد  
منها ، افلا يترك التسعة والتسعين في الجبال ، ويضي في طلب الضال ؟  
فاذا وجده ، الحق اقول لكم ، انه يفرح به اكثرا من التسعة  
والتسعين التي لم تضل . هكذا ليس من مشيئة أبي الذي في  
السماوات ان يملك احد من هؤلاء الصغار » <sup>(١)</sup> .

« حينئذ دنا اليه بطرس وقال له : يا رب كم مرة يخطأ إلي أخي  
فاغفر له ، إلى سبع مرات ؟ فقال له يسوع : لا اقول لك الى سبع  
مرات ، بل الى سبعين مرة سبع مرات » <sup>(٢)</sup> .

« اقول لكم انه يكون في السماء فرح بخاطئ واحد يتوب  
اكثر مما يكون بتسعة وتسعين صديقا لا يحتاجون الى  
التوبة » <sup>(٣)</sup> .

وفي هذا المعنى كتب القديس منصور دي ٻول يقول  
لرهبانه : « ازکم تذکرون لي نقائصکم ؟ فهم يخلو ياترى احد  
من النقائص في هذه الدنيا ؟ أمّا الشيء فهو ان نعرفها وان  
نرضى بما تسببيه لنا من الاذلال ، كما تصنعون انتم . انا علينا  
ان لا نقف امامها لنتأمل بها إلا لزيادة ثقة بالله بسببيها ، فنكون

حيث قد بنينا على الصخر ، فلا تخاف من الزوابع »<sup>(١)</sup> .  
 أخيراً أن رجاءنا بالله وثقتنا ببراحمه تحملنا على الصلاة الحارة  
 اليومية في طلب الميّة الصالحة : « يا قديسة مريم ، يا والدة الله ،  
 صلي لاجلنا نحن الخطأ الآن وفي ساعة موتنا ». وكم مرة يطلب  
 الكاهن كل يوم من أجله ومن أجل الشعب قائلاً : « نهاية  
 حياتنا مسيحية سلامية بلا وجع وبغير خزي ، وجواباً حسناً  
 لدى المنبر الرهيب من رب نسأل » .

فالصلاحة هي مجابة النعم . ولا يمكن أن نبتهل بها إلى الله ،  
 ولا سيما بشفاعة ابنه الحبيب ووالدته الطاهرة وملائكته  
 وقديساته ، إلا وينحننا بجود ومحبة ما نطلبه ، وعلى الأخص هذه  
 النعمة العظيمة ، نعمة الخلاص الابدي والت坌مع به في ملائكته  
 على حسب ارادته ودعوته .

(1) Magnard: *Vie et doctrine.*

## ﴿ حوادث تاريخية ﴾

### طوبايا البار (١)

ان سيرة طوبايا البار وابنه طوبايا الصفيو هي من اروع الحوادث التاريخية التي تحملنا على الشقة بالله وبرحمته وبصدق مواعيده .

لقد دعي طوبايا بالبار لصلاحه وتقواه وتسككه بشرعية رب الاه . كان من الجليل ، من مملكة اسرائيل المعادية لمملكة اورشليم . ولما كان الكثيرون من مواطنيه يعبدون عجول الذهب الذي اقامها ياربعام وخلفاؤه لهم منعاً لذهبهم الى هيكل سليمان ، كان طوبايا يتختلف عنهم ويذهب يعبد الله في اورشليم . ولما سبى الملك شلهوناسر اهالي مملكة اسرائيل الى نينوى سنة ٢١٨ قبل المسيح جلي ايضاً طوبايا مع امرأته وولده . الا انه حتى في بلاد الفربة وبين الشعوب الوثنية بقي يتراء نفسه ليس عن النجسات الشرعية فحسب ، بل عن كل ما تحرمه ايضاً شريعة الله من المآثم والمعاصي .

ومات شلهوناسر وملك ابنه سنحاريب مكانه . فقام هذا يضطهد اليهود ويذلمهم ويقتلهم ويمنع دفنهم لكي تأكل الوحش اجسامهم . اما طوبايا فكان يطوف كل يوم على مواطنية وابناء عشيرته يعزفهم ويؤاسي كل واحد منهم ويساعد الفقير من امواله على قدر وسعه . فيطعم الجائع ويكسو العراة ويدفن الموتى والقتلى خاطراً بحياته في سبيل ايمانه .

ورغم هذا كله ، او لاجل هذا ، امتحنه الله ببلوى شديدة . فافقده بصره . « وانا أذنَّ لله ان تعرض له هذه التجربة لتكون لمن بعده قدوة صبره كايلوب الصديق . فإنه اذا كان لا ينفك عن تقوى الله

(١) راجع سفر طوبايا .

منذ صغره وحافظاً لوصايته، لم يكن يتذمر على الله لما ناله من بلوى الممئي . ولتكنه ثبت في خوف الله شاكراً له طول أيام حياته . وكما كان القديس أبوب يعيثه الملوك كان أنسباء هذا وذروه يسخرون من عيشته قائلين : أين رجاؤك الذي من أجله كنت تبذل الصدقات وتدفن الموتى . فيزجرهم طوبياً قائلاً : لا تتكلموا كذا فاغنا نحن بنو القديسين ، وإننا ننتظر تلك الحياة التي يهبها الله للذين لا يصرفون إيمانهم عنه أبداً » .

ولم يخزِّ الله رجاء طوبياً ؟ فأنه تعالى أرسل ملاكه فرافق ابنه الصغير في الطريق ، وسهَّل له الزواج من سارة بنت رعونائيل وأعاده إلى والديه سالماً . وأفاضَّ الخيرات عليه وعلى ولده ، وأعاد إليه بصره بعد أن بقي أعمى أربع سنوات ، ووهبه اثنتين وأربعين سنة حياة من بعد تلك الحينة ، وأراه بني حفنته . « واذ بلغ من تقوى الله غاية حسنة انتقل بسلام »

\* \* \* \* \*

رجاء القديسة تريزييا الطفل يسوع

تقول القديسة تريزييا الطفل يسوع في سيرة حياتها :

« لقد ترتفع نفسي إلى الله بمعاطفة الثقة والمحبة ، ليس لأنها تزهت عن الخطيئة المميتة . لأنني أشعر في دواخلي باني ولو تراكمت فوق رأسي أحمال تقال من أنواع الخطايا والماثم ، لا أفقد شيئاً من ثقتي بالله تعالى ورجائي . بل أقوم وأذهب بقلب منكسر تائب وارتدي بين يدي يسوع الخاص . لأنني

اعلم انه يحب الابن الشاطر . ولقد سمعت ما قاله المجدلية القديسة ، والمرأة الخاطئة ، وللسامرية . كلام كلها لا يمكن ان يخالف قولي لاني اعلم علم اليقين ان هذه المعاصي كلها ، منها تعددت ، فانها تتلاشى كما تتبخر نقطة من الماء في اتون مضطرب ..

« آه يا امي الرئيسة لو ان النفوس الضعيفة الناقصة ، كما هي نفسي ، تشعر بما اشعر انا فاقد يستحيل عليها ان تستسلم للقنوط ، ولا يمكن ان تخاف من انه يعسر عليها الوصول الى قمة جبل الحب الالهي ، لعلها بان يسوع لا يطاب اعمالاً فائقة ، بل مجرد الاتكال عليه والشكر لآلازه »<sup>(١)</sup> .



« نبال من الله بقدر ما نرجو »  
(من كلامها)

(١) سيرة حياها فصل ١١

## الفصل الثالث

### في فضيلة المحبة

هي اسمى الفضائل كلها، واعظمهن مقاماً، واشرفهن عاطفة، واعذبهن غبطة. ويقول في ذلك بواس رسول : «الذي يثبت الان هو الايمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة واعظمهن الحبة»<sup>(١)</sup>. ذلك لأن «الله محبة»<sup>(٢)</sup>، ولأن «الحب هو اقوى من الموت»<sup>(٣)</sup>.

فالمحبة هي فضيلة إلهية تجعلنا نحب الله فوق كل شيء، محبة له تعالى لاجل جمال صفاته وكاملاته. الحب هو اندفاع النفس نحو ما تراه خيراً لها وملائماً لأمراضها. فهو أساس حياة الإنسان في هذه الدنيا، كما انه حمور الغبطة الالهية.

والحب في الانسان، أنواع متنوعة. فهو حسي اذا وجد الانسان هو في نفسه نحو شيء مادي محسوس من غير ان يكون له في هذا الموى عمل اراده او رضي. وهذا ما نراه كل يوم في الدنيا من حب الانسان للانسان مجرد النظر اليه، او سماع

(١) سكور ١٣: ١٣ (٢) ١ يوحنا ٤: ١٦ (٣) نشيد ٨: ٦

رُّنَّة صوته، من غير ان يكون للعقل او للارادة شأن في ميله او رغبته.

ويكون الحب عقلياً اديباً اذا ما كان الاندفاع نحو الخير المرغوب فيه مؤسساً على العقل الذي يرى ويحكم بحسن هذا الشيء الذي يستحق ان ترغب فيه وتفيل اليه. ولا شيء يحول دون ان يكون الحب حسياً وعقلياً معاً، وذلك اذا اقتنى الميل الطبيعي الفطري بالمنطق العقلي.

ويكون الحب روحياً سماوياً فائق الطبيعة عندما يكون الايمان المسيحي مسبباً له وداعياً اليه. هكذا يكون شأن المسيحي الذي يحب الله لانه يعرف بالإيمان انه كلي الكمال، وانه احبنا ويجبنا على الدوام، وانه اعطانا ابنه الوحيد لكي يخلصنا، وانه اوصانا بمحبة قريبنا حباً له تعالى؛ فهذا الحب الناشئ عن الايمان، والمكيف بالنعمة الالهية هو الحب المسيحي السماوي الفائق الطبيعة، وهو الذي كتبت له الاجور السماوية في الحياة الابدية.

فموضوع الحب المسيحي هو الله اولاً، وهو القريب ايضاً لاجل الله ومحبته الله. فنجبه تعالى لاجل كمالاته التي لا حد لها؛ ومن هذه الكمالات محبته الفائقة لنا، وعطافه علينا، وجوده معنا. ونخب القريب ايضاً لاجل صفاته ومؤهلاته وامواله ومحاسنه، ولا لأجل قرباته لنا او مصلحته معنا، ولا لأجل ما

نجو فيه من منفعة ذاتية او من تحقيق منافع بشرية زمنية ، بل لاجل انه صناعة الله وخلائقه ، وابن العلي بالتبني ، واخو المسيح يسوع بالفداء ، وهي كل الروح القدس بالنعمة . فالحب المسيحي هو حقاً حب سماوي ، حب روحي ، حب عقلي ، مجرد عن المادة والحس والمنفعة والعاطفة .

وستكلم عن كل من المحبة نحو الله ومن المحبة نحو القريب في البحثين التاليين .

### البحث الأول

#### في محبة الله

١ يائراً . - ان موضوع المحبة المسيحية هو الله ، وهو الذي يجب علينا ان نحبه فوق كل شيء ، وان نفضله على كل شيء ، وان لا نرغب في شيء سواه الا بإذنه ولاجله .

ولكن لماذا يجب علينا ان نحب الله فوق كل شيء ؟ ما هو السبب المنطقي الحقيقى لذلك ؟ هل يا ترى لأنه هو امرنا بمحبته ؟ انه لوم يأمرنا بها ، هل كان يسوع لنا ان نحب شيئاً سواه اكثر منه ؟ هل كان يحق لنا ان نفضل ذاتنا عليه ، او أن نحب خيراً

او لذة او خلية مهما كانت سامية اكثرا منه ؟ ان السبب الا الكبر  
الذي يحملنا على محنة الله، ويلزمنا بذلك الزاماً، هو كمال الله وجمال  
الله وبهاء الله .

ان الكمال في كل شيء يسرع العقل ويشير الاعجاب . كمال  
النفس ، وكمال الجسد ، وكمال العقل ، وكمال الادب . فلما كان الله  
هو الكمال الاكبر ، « كُونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو  
كامل » <sup>(١)</sup> : كامل في جماله ، كامل في قدرته ، كامل في حناته ،  
كان لا بده من ان يستهوي القلوب فتتشدقه . لأن لا مجال  
يعادل جماله ، ولديه صفات وكمالات كل مازاه ونسمع به في  
هذه الدنيا الا ظلا ضئيلا لصفاته وكمالاته . لذلك وجب ان  
يكون هو الموضوع الاول لمحبتنا ولتفضيلنا اياه على كل  
ما سواه .

لاجل هذا قال الله : « أَحِبَّ الرَّبِّ إِلَهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَكُلِّ  
نَفْسِكَ وَكُلِّ قَدْرَتِكَ » <sup>(٢)</sup> . اعني احبب ، ايها الانسان ، ربك  
والمهك بكل قواكه العقلية والجسدية ، ولا ترغب بخلية سواه  
في حياتك وفي كل مطلب من مطالبك .

الا ان الحب الذي يطلب منا نحو الله ليس هو الحب العاطفي  
الحسي الذي نشعر احياناً بعذوبته ، وغالباً ما ينسينا ويهجر

(١) مقى ٥ : ٤٨ (٢) تشنيه ٦ : ٥

قلوبنا ، ويتزكنا في صحراء قاحلة لاندى ينعشها ، ولا عاطفة تخلّيها . اما الحب الحقيقي هو الحب المنطقي ، الحب العملي ، الحب الصادر عن العقل والارادة ، الحب المؤسس على الایمان المسيحي ، الحب الذي يحملنا على خدمة الله وحفظ وصاياته مهما تقلب علينا ظروف الزمان والمكان ، ومهمها انتابنا من عذوبة او يبوسة ، ومهمها اصابتنا في اعمالنا من نجاح او اخفاق .

ويشرح القديس فرنسيس السالسي هذا التعليم بقوله : « ان محبتنا الله يجب ان تسمو فينا على محبة كل ما هو سواه . ويجب ان تكيف اميانا . ان الله يريد منا ان يفوق حبنا له كل حب فينا لسواه . وان يكون هذا الحب مخلصاً عطوفاً ، وان يأخذ بجماع قلباً ، وان يتسلك علينا مشاعر نفسها . يجب ان يكون هذا الحب عاماً فيشمل كل قوانا . وان يكون ساماً فيملأ عقلنا ، وان يكون كامل الثبات فيلزمنا للقيام به ان نبذل كل ما فينا من جهود وقوى » . ثم يختتم القديس بهذه الصلاة البدية : « انا لك يا الهي . ويجب عليّ ان لا اكون الا لك وحدك . نفسي هي لك ويلزمها ان لا تحيى الا لاجلك . ارادتي هي لك والواجب يقضي ان لا تحب شيئاً وان لا ترغب في شيء الا لاجلك . ان حبي لنفسي هو ملك لك ويلزم ان لا يصبو الا اليك . نعم انه لفرض علىّ ان احبك لاذك انت سبب وجودي ومنك خرجت .

واجب علي ان احبك لأنك انت غاليتي وراحتي ، ومنك اتيت .  
واجب علي ان احبك اكثر من حبي لكباقي ، لأن كباقي نفسه  
لا قوام له الا بك . واجب علي ان احبك اكثر من حبي الذي  
لان كل ما في هو ملك لك ، ولان حياني هي منك » <sup>(1)</sup> .

فموضوع المحبة اذاً هو الله ، الله فوق كل شيء ، وكل شيء  
لاجل الله . ولكن لما كان عقلنا ضعيفاً لفهم كمالاته تعالى ، وقلبنا  
فاتراً ليشغف بجهاله ، وحواسنا الجسدية تغالب قوانا العقلية فيعسر  
 علينا مراراً ان نتذوق حلاوة بداعيه ، فإن نظرنا الى حنانه نحونا ،  
وتأملنا باحسانه اليها يغذى حبنا له ويُثْبِت تعلقنا به . فنحبه لأجل  
احسانه ورحمته وتعطفه وتوازله . الا ان هذه الصفات الالهية التي  
نجد فيها منفعتنا يحب ان لا تكون الباعث الاكبر لنا على حبنا  
له وتفضيلنا اياده على ماسواه . بل علينا ان غالباً عقلنا من كمالاته ،  
وقلبنا من بديع صفاتيه لكي لاننعم الابه ، ونردرى كل ماسواه  
لاجله . وليس في هذا شيء من الغرابة . أليس أن القلب يعشق  
اصحاب العقول الفذة والقلوب الكبيرة . ليس انه يهوى من  
يجودون باسمه او باتعاهم او باوقاتهم في سبيل المسكين والفقير  
والبائس واليتيم ، ولو لم يبنلنا نحن من هؤلاء شيئاً لمنفعتنا  
ومصلحتنا ؟

(1) *Traité de l'amour de Dieu, L. X, ch. VI.*

ولكن هل يكون الشكر على الاحسان ياترى محبة كاملة خالصة متنزهة عن الغاية ؟ — نعم ، ولا : فإذا كان شكرنا ناشئاً عن فرحتنا بالاحسان تكون محبتنا ناقصة . اما اذا كان الشكر ثمرة الفرح بجود الله وحنائه ورحمته وقدرته فالشكر يكون حقاً محبة كاملة .

ان عاطفة الشكر تحمل عادة على المحبة الكاملة لانها عاطفة شريفة سامية ، ولا تنبت الا في القلوب الكبيرة المؤسسة على التواضع وعلى العاطفة الصادقة المخلصة . لذلك نرى الكتاب المقدس والآباء القديسين لا يفتاؤن يذكروننا ببر احمد الله واحساناته نحونا ليذكروا فيما عاطفة الشكر والمحبة نحو هذا الحسن الاكبر والجواد الاعظم . ولقد بلغت بعض النفوس التقية ذروة كمال المحبة بتأملها الدائم باحسانات الله نحو البشرية ونحوها ، وبكل ما فعله رب يسوع في سبيلنا بتتجسد وصلبيته وقربانه وسائل الاسرار التي رسماها لاجل تقديسنا وتشريفنا واسعادنا .

وما ابدع ما جاء في كتاب الاقتداء بال المسيح <sup>(١)</sup> في موضوع تعلق النفس بالرب يسوع :

«يا نفسي استريحي دائمأ في الرب فوق كل شيء وفي كل شيء لانه هو راحة القديسين الحقيقة . هبني يا يسوع الحبوب في

الغاية ان استريح فيك فوق كل خلقة : فوق كل عاطفة وجمال ، فوق كل مجد وكرامة ، فوق كل جاه ومرتبة ، فوق كل علم وحذاقة ، فوق كل غنى وصناعة ، فوق كل فرح وبهجة ، فوق كل صيت ومديح ، فوق كل عذوبة وسلوان ، فوق كل رجاء . وموعد ، فوق كل استحقاق وبغية ، فوق كل الموهب والعطايا التي تستطيع انت ان تمنحها وتفيضها ، فوق كل سرور وتهلل يمكن ان يدر كه العقل ويشعر به . اخيراً فوق الملائكة ورؤساً الملائكة ، وفوق جميع جنود السماء . فوق كل ما يرى وما لا يرى . وفوق كل ما ليس هو ايام يا الهي » .

« لانك يا ربى والهي انت وحدك الصالح فوق كل شيء . انت وحدك العلي . انت وحدك القدير . انت وحدك الغنى عن كل من سواك والواسع الجواد . انت وحدك الكل العذوبة والسلوان . انت وحدك ذو الجمال والحب . انت وحدك المتعالي في الشرف والتسامي في العزة والجلال . وفيك مجموع الخيرات وكلها ، وهذا ما كان منذ الازل وسيكون الى الابد » .

٢ كيف تقدس فضيلة المحبة نفوسنا . — ان فضيلة المحبة هي اجل الفضائل كلها و اكثرها عملاً في تقديس نفوسنا . فيها الكمال المسيحي كله ، لأننا بها نمارس افعال الفضائل كلها . هذا ما اوضنه الرب في جوابه لأحد علماء الناموس لما قام بجريأ له قائلاً :

«يا معلم ماذا اعمل لأرث الحياة الابدية ؟ فقال له: ماذا كتب في الناموس وكيف تقرأ ؟ فاجاب وقال : اححب الرب المرك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك وكل ذهنك وقربيك كنفسك. فقال له بالصواب اجبت ؟ اعمل هذا فتحيا» <sup>(١)</sup> . ولقد جاء في النجيل متى ايضاً ان الناموس كله ، اعني الوصايا كلها تقوم في محبة الله ومحبة القريب : «فسأله واحد من علماء الناموس مجرباً له : يا معلم ما اعظم الوصايا في الناموس . قال له يسوع : اححب الرب المرك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك . هذه هي الوصية العظمى وال الاولى . والثانية التي تشبهها: اححب قرببك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء» <sup>(٢)</sup> . والقديس بولس يقول : «فانه من احب القريب فقد اتم الناموس . لان هذه الوصايا : لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشنطه ، وما كان من الوصايا غير ذلك ، اما هي متضمنة في هذه الكلمة ان أحبيب قرببك كنفسك . ان المحبة لا تصنع شرًا بالقريب فالمحبة اذا هي الناموس بتمامه» <sup>(٣)</sup> .

وما ابدع ما كتب القديس يوحنا الحبيب ، رسول المحبة ، عن طبيعة ومفاسيل هذه الفضيلة الالهية السامية : «ايهما الاحباء لنحب بعضنا بعضاً فان المحبة من الله . فكل من يحب فهو مولود

(١) لوقا ١٠: ٢٠ - ٢٨ (٢) متى ٣٥: ٢٢ - ٤٠ (٣) رومية ١٣: ٨ - ١٠

من الله وعارف به . ومن لا يحب فانه لا يعرف الله لأن الله محبة . بهذه تتبين محبة الله لنا ان الله ارسل ابنه الوحيد الى العالم لنجيئا به . واغا المحبة في هذا اننا لم نذكر نحن احبينا الله بل هو احبنا فارسل ابنه كفاره عن خطايانا . ايها الاحباء ان كان الله قد أحبنا هكذا فعليينا نحن ايضاً أن نحب بعضنا بعضاً<sup>(١)</sup> .

ثم يوضح الرسول معنى كلامه باجلی بيان فيقول : « فلنحب الله نحن اذ قد احبنا هو اولاً . ان قال احد اني احب الله وهو مبغض لأخيه فهو كاذب ، لأن من لا يحب اخاه الذي يراه كيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يراه »<sup>(٢)</sup> . ثم ايضاً : « فبهذا نعلم أننا نحب ابناء الله لأن نكون محبين لله وعاملين بوصاياه لأن هذه هي محبة الله ان نحفظ وصاياه . ووصاياته ليست بشقيلة »<sup>(٣)</sup> .

وايضاً : « الله محبة . فمن ثبت في المحبة فقد ثبت في الله والله فيه »<sup>(٤)</sup> .

فكلام الرسول يوحنا يدور كلها حول كلام السيد المسيح الذي يعلم ان محبة الله تتم في حفظ الوصايا وفي محبة القريب . وبهذا يقوم الناموس كلها ، كما يقول رب المجد ، وبهذا قيام الفضائل كلها ايضاً .

فالمحبة هي إمام الفضائل كلها وخلاصتها . فهي الاولى

(١) ١ يوحنا ٤ : ١٩ - ٧

(٢) ١ يوحنا ٥ : ٣ - ٢

والاسمي والافعل في تقدیس نفوتنا .

وليس الكتاب وحده يعاتنا ذلك ، بل المنطق العقلي ايضاً .  
الليس انه لا شيء افضل من الحب ؟ الليس ان الله نفسه هو محبة ؟  
ومن شأن الحب ان يوحد العقول والقلوب بين المتحابين . فتصبح  
افكارهم واحدة ، ورغائبهم واحدة ، وزعامتهم واحدة ، وارادتهم  
واحدة . فمحبتنا لله تجعلنا ايضاً نتحدد به فيصبح فكره فكرنا ،  
وارادته ارادتنا ، واحكامه نوراً لنفسنا ، وانجيله وتعاليم كنيسته  
دستوراً لحياتنا وبهجة قلوبنا وقوة لأعمالنا : ليأتِ ملوكك ،  
لتكن مشيئتك . فالمحبة هي اذن ملكة الفضائل كلها لانه ليس  
من فضيلة تجعل اتخاذنا بالله كاملاً نظيرها .

ونعيد القول ثانية ان هذه المحبة ليست هي المحبة العاطفية  
الحسية ، تلك التي تحضر وتغيب ولا قرار لها في قلوبنا . بل هي  
المحبة القاعدة بحفظ الوصايا بامانة وثبات وصبر وشجاعة .

وما محبة القريب الحقة سوى ثمرة محبتنا الصحيححة لله . لأن  
محبتنا للقريب ، وخدمتنا له ، ومساعدتنا لضعفه ، واحترامنا  
لشخصه ولعائلته ولماله ، لا يكون لاجل صفاته او مؤهلاته او  
لأجل علاقته بنا ، او لما يجد فيه من منفعة لنا ؟ بل يكون ذلك  
لأجل الله ومحبة له تعالى وعملاً بأوامره . وهكذا تكون محبتنا  
للقريب مظهراً من مظاهر محبتنا لله . فتعلو وتسمو على سائر

الفضائل وتعمل أكثر منها على تقديس نفوسنا .

وهذا ما حمل بواس الرسول على كتابة ذلك الفصل الشائق في رسالته إلى أهل كورنثس ، وكله فلسفة وكله شعر فياض وعاطفة رائعة ، أذ يقول :

« لو كنت انطق بالسنة الناس والملائكة ولم تكن في الحبة ، فاما أنا نحاس يطن او صنج يرن . ولو كانت لي النبوة و كنت اعلم جميع الاسرار والعلم كله ، ولو كان لي الایمان كله حتى انقل الجبال ، ولم تكن في الحبة ، فلست بشيء . ولو بذلت جميع اموالي لإطعام المساكين واسلمت جسدي لأحرق ، ولم تكن في الحبة ، فلا انتفع شيئاً . الحبة تتأني وترفق . الحبة لا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفع ولا تأتي قباحتها ولا تلتمس ما هو لها ولا تختد ولا تظن السوء ولا تفرح بالظلم ، بل تفرح بالحق وتحتمل كل شيء . وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء . الحبة لا تسقط ابداً » <sup>(١)</sup> .

وان ما لفضيلة الحبة من نتائج رائعة يساعدنا كثيراً على زيادة النعمة والقداسة في نفوسنا .

فالحبة لا توحد القلوب فقط ، بل تجعل بينها شعوراً متبادلاً من التفاهم والتقارب والارتباط ، بحيث ان الصديق بشعر

(١) كورنثس ١٣ : ٨ - ٩

شعوراً داخلياً بما يجول في قلب صديقه من عاطفة أو ميل أو رغبة. ذلك نرى في حياة القديسين بعضاً منهم كان يجهل العلوم البشرية ولكن يعرف إلى أحد بعيد أسرار العلوم الروحية وطريقة ارشاد النفوس إليها . هكذا كان كاهن قرية ارس القديس يوحنا ماري فياني ؟ وهكذا كان الكثيرون من القديسين الرهبان والنساك . لأن محبتهم لله ، وتعلقهم به تعالى ، واتحاد أفكارهم بأفكاره وعواطفهم بعواطفه قد عالمتهم ما لا تستطيع الأئمة والمدارس ان تفهمهم ايامه . ان التأمل اليومي امام الصليب لهو من ارفع وأسمى الدروس الدينية والاجتماعية . «شتان ما بين حكمة الرجل العابر المستنير وبين عام الاكليريكي الفقيه المكب على الدرس والمطالعة : فان العلم الصادر من فوق من لدن الفيض الالهي هو افضل من المكتسب بجهد العقل البشري »<sup>(١)</sup> .

ثم ان الحب اذ تتأصل في القلب تضاعف قواه ، وتحمله على المظالم ، وتجعله يستهين بالمصاعب . لأن « الحب هو قوي الموت »<sup>(٢)</sup> .

ومن شأن الحب ايضاً ان يبعث في القلب نشوة غبطة وارتياح . فحبتنا الله تتشىء فيما حتى ونحن على الارض شعور ببهجة داخلية صادقة لا يشوبها كدر ارضي . نشعر بسلام

(١) الاقندة باليسوع : س ٣ ، فصل ٣٤ ، ع ٢ (٢) نشيد ٨ : ٦

وطمأنينة لا يضاهيها نعيم في هذه الدنيا . « انت تجعل القلب  
طمئناً وتخوله سلاماً عظيماً وفرحاً جزيلاً » <sup>(١)</sup> .

وهكذا يكون اتحادنا بالله بالمحبة ، وما نجد فيه من قوة  
ونشاط وبهجة وارياح وسلام وطمأنينة ، مدعاة لكي نتفاني  
في خدمته ، وفي تعلقنا به . فتكون نتيجة ذلك تقدمنا في  
النعمة والقدسية .

٣ - كيف تمارس فضيلة المحبة . - يجب قبل كل شيء أن  
يغرب عن بانيا انه لا محابة على الارض بلا تضحية . لأن المحبة  
الآمنة المطمئنة المتنعمّة التي كلها سرور وحبور من غير ان  
يختلطها الم او وجع لا توجد الا في السما . اما على الارض فان  
طبيعتنا الفاسدة وما ينطليها من المطامع والاهواء ، وما يشور  
فيها من الرغائب والشهوات ، لا يمكنها من ان تكون الله  
وخدمته ، ولا يحتملها على ان توفي القريب حقه وما هو ايضاً فوق  
حقه ، الا بالتضحية وبذل الذات وذكر ان الشخصية . لذلك قال  
الرب : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبيه  
ويتبعني » <sup>(٢)</sup> . ومن بعده قال بطرس الرسول : « وان كنتم  
تتأملون وازتم فاعلو خير فصبرتم فهذا نعمة لدى الله . ولهذا دعوكم  
لان المسيح ايضاً تألم لاجلنا وابقى لكم قدوة لتقتفوا آثاره » <sup>(٣)</sup> .

(١) الانداء بال المسيح : س ٣ ، فصل ٣٦ ، ع ١ (٢) بق ١٦ : ٢٤

(٣) ا بطرس ٢ : ٢٠ و

وفي معنى ما تقدم قال ايضاً بولس الرسول : « والذين لله مسيح صلبووا أجسادهم مع الآلام والشهوات » <sup>(١)</sup>.

والرسول يوحنا ايضاً يقول : « لا تحبوا العالم ولا ما في العالم . ان كان احد يحب العالم فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة ، وليس ذلك من الآب بل من العالم » <sup>(٢)</sup>.

فبعد ان اثبتنا بان التضحية يجب ان تكون اساس المحبة فلنبحث الان في كيفية ممارسة هذه الفضيلة الالهية السامية .

اولاً - كيف نمارس فضيلة المحبة نحو الله ؟

ان المبتدئين بالحياة الروحية يقونون بواجب فضيلة محبة الله :

- ١° - باجتنابهم انواع الخطايا وما اليها . فيجددون كل يوم وفي كل آن عواطف الندامة على ما فرط منهم من الذنب ، مع القصد الصادق على عدم الرجوع اليها . وهكذا تتأصل المحبة في قلوبهم .

- ٢° - بقبولهم ، بعاطفة الرضى والتسليم لأحكام رب ، ما يتتحقق به من انواع الشدائـد والاحزان ، صابرين على المحنـة ، مستسلمين لاحكام الله في انواع الشدة .

- ٣° - بايقاد عاطفة الشكر في قلوبهم نحو الله المحسن اليهم .

(١) غلطة ٥ : ٢٦ (٢) ١ يوحنا ٢ : ١٥ و ١٦

لأنهم ينظرون إلى مراحم العلي تفليس عليهم رغم ما آثأه لهم ونقاوئتهم  
فتطفح قلوبهم بالشّكر . ولما كان الشّكر يذكي عاطفة المحبة نحو  
المحسن ، فبشكيرهم تكثر محبتهم .

اما المتقدمون في الحياة الروحية فانهم فوق الافعال السابقة  
يارسون فضيلة المحبة على انواع منوعة ايضاً . فتكون محبتهم  
للله محبة ارتياح وغبطة ، محبة شوق ورغبة ، محبة وفاق واتحاد ،  
محبة صداقة ووفاء .

ان الظاهرة الأولى للحب الحقيقي هي ما يُتعَّد به المحب من  
الارتياح والغبطة بحصوله على موضوع حبه . فالنفس التي  
اعتدلت ان تنصرف إلى محبة الله تتلذذ بان يكون الله الله ، وبان  
يكون الكمال كلّه ، والحكمة السامية كلّها ، والقدرة التي لا  
حدّ لها ، والحنان الذي ليس بعده حنان . وتفرح بهذه الكمالات  
الالهية أكثر من فرحاها بما هو لها . وقد تذوب في عاطفة السجود  
والعبادة والتقدير والاعجاب والفرح الداخلي الصميم . وبذلك  
يصبح الله كأنه المها وحدها . فتتغذى بكمالاته ، وتتغنى بحنانه ،  
ورحمته . لأن غذا القلب هو التلذذ بما احب . وتصرخ من اعمق  
وجودها مع القديس فرنسيس السالسي : « يكفيني ويكتفي  
نعمي ان يكون الله الله ، وان يكون حنانه لا حد له ، وان  
 تكون كمالاته لا نهاية لها . واني إنْ حبّيت وان متْ فسيان عندي

لان حبيبي الذي يهواه قلبي هو حي لا يموت وهو دوماً ظافر  
منصور »<sup>(١)</sup>.

وهذا الحب يصبح أهيّ ولو عة اذ تنظر النفس المحبّة الى  
عذابات يسوع وآلامه فتذوب حزناً عليه . وربما أدى هذا الحب  
بها الى ان ترسم جراحات يسوع على جسمها واعصامها كما حصل  
للقديس فرنسيس الأسيزي ، والقديسة كاترينينا السينانية ،  
والقديسة تريزا الافيلية ، والراهبة الكرملية مريم يسوع  
المصلوب .

والظاهرة الثانية للحب هي الشوق الى ان يكون المحبوب  
مقدماً ومعظماً وممجدأ . فالنفس التي تحب الله تتوقع الى ان ترى  
الدنيا باسرها تتجده وتحبّه وتعبدّه وتعرف بجوده ومحنته ورحمته:  
«باركي رب يا جميع اعمال رب . سبّحه وارفعيه الى  
الدهور .

«باركوا رب يا ملائكة رب . سبّحوه وارفعوه الى  
الدهور .

«باركي رب ايتها السماوات . سبّحه وارفعيه الى الدهور .

«باركوا رب يا بنى البشر . سبّحوه وارفعوه الى الدهور .

«باركوا رب يا كهنة رب ... باركوا رب يا عبيد

(1) Amour de Dieu, L. V. ch. III.

الرب بار كوا الرب يا أرواح ونفوس الصديقين . . .  
 «بار كوا الرب ايها القديسون والمتواضعون القلوب» <sup>(١)</sup> .

والظاهرة الثالثة للحب هي الوفاق والاتحاد بين المتحابين .  
 الحب يوفق بين القلوب ويوحد عواطفها فتصبح قلباً واحداً ،  
 وعاطفة واحدة ، وشعوراً واحداً . فالنفس التي تحب الله تجعل  
 ارادتها مع ارادته تعالى واحدة . فلا ترحب الا فيما يرغب هو  
 تعالى فيه ، ولا تبغى الا ما يبغيه ، ولا ترضي الا بما يأمر به ، ولا  
 يطيب لها امر في الدنيا الا ما كان موافقاً لارادته واحكامه :  
 «لتكن مشيئةك كما في السماء كذلك على الأرض . . .» <sup>(٢)</sup> ليس  
 كمشيئتي بل كمشيئتك » <sup>(٣)</sup> .

وهكذا تكون النفس دائمة التنبه لكي تخضع ارادتها لارادة  
 الله على الدوام . فتقوم بحفظ وصاياته ، لا بل بممارسة المشورات  
 الانجيلية التي دعا اليها . وتصلفي الى ارشادات النعمة ، وتكون  
 طائعة لأحكامه في كل ما يواجهها من امور الدنيا من حلو ومر ،  
 وسعنة وضيق ، وصحة ومرض ، ونجاح وإخفاف ، وإقبال وإدبار ،  
 وغم وسرور . ويصبح سيان عندها نوع الحياة التي سمح الله  
 بها لها طالما تجد في ذلك اتفاق ارادته الالهية . وهكذا يتم لها

(١) دانيال ٣ : ٥٧ - ٨٧ (٢) مق ٦ : ١٠ (٣) مق ٢٦ : ٣٩

السلام الداخلي والطمأنينة القلبية . « لان الذين يحبون الله كل شيء ، يعاونهم للخير » <sup>(١)</sup> .

وفي ذلك يقول الخطيب الفرنسي الكبير بوسيه : « ان اتحاد ارادتنا مع ارادة رب يجعلنا نرتاح في الام ارتياحنا في السرور . فما يحسن في عين الرب يحسن في اعيننا ، لازمه تعالى يعرف ما هو الحسن لنا . وهكذا نطلب ارتياحنا ليس في عمل ما يسرنا ، بل فيما يريده ربنا . ونتوسل اليه تعالى لكي تكون دائماً موضوع سروره ومرضااته ، ولكي يسّرنا في الحياة كما يتراءى له بحسب طرقه واحكامه » <sup>(٢)</sup> .

والظاهرة الرابعة للحب هي الصدقة بين المתחاين وحبة نفوسهم لبعضهم . فحبة الله تجعل هذه الصدقة حقاً قائمة بيده تعالى وبين النفس المغمرة به . فهو ينحها ذاته مع كنوزه وخيراته ؛ وهي تتفاني في خدمته وفي بذل حياتها من اجله . ان الله أحبنا منذ الازل . « اني احببتك حباً ابدرياً » <sup>(٣)</sup> .

يقول رب لأساطير بني اسرائيل . وحبه تعالى كان وما زال مجردأ . بجيث انه يحبنا ليس لأجله ، بل لأجلنا ولأجل سعادتنا ونعمتنا . وحبه حب كريم جود يحب كإله بلا حساب ولا

(٢) *Elévations, XIII<sup>e</sup> ser. 7<sup>e</sup> élévation.*

(١) رومية ٨: ٢٨

(٣) ارميا ٣١: ٣

ميزان . وحبه حب مبادئ . فهو الذي بادأنا بالحب ؟ وهو الذي تنازل ودعانا الى محبتة : « يا بني أعطني قلبك » <sup>(١)</sup> . وايضاً : « نعيمي مع بني البشر » <sup>(٢)</sup> .

لذلك فان النفس المحبة الصادقة في حبها ، الصديقة لله ، تحب الله حباً متواصلاً ، بلا كمل ولا ملل ولا تذمر . ولا تهاب الضيقات ، ولا تتواري امام المشقات . بل تلمث ثابتة في حبها ، راضية بسرور بكل ما يسمح تعالى ان يجعل بها في حياتها ، أمينة على خدمته وعبادته وحفظ وصايتها ومحبّة قريبها لاجله . وهي تكتثر من افعال المحبة وعواطف المحبة وصلوات المحبة . وتغذى عقلها بدوام الافكار به تعالى ، وقلها بالشوق اليه . وتحبّه محبة منزهة مجردة ليس لأجل خيراته واحساناته ، بل لأجله تعالى ، ولأجل كمالاته وجماله وقدرته وحنان قلبه . وهكذا تهبه ذاتها بكمالها كما يهبهها هو ذاته لها .

وما احلى ما كتبته القدسية تزييراً الكبيرة الايقيلية في هذا المعنى اذ قالت : « ابني أرى ان الرب يسوع رغم سؤدده وسلطانه يسهل عليّ ان اعامله معاملة الصديق لصديقه . فهو ليس كأمراء الارض واسيادها الذين يحملون عظمتهم في الفخفة والظهور . نعم انه إله ؛ ولكنه انسان ايضاً . لذلك فهو لا يعجب

(١) امثال ٢٣ : ٢٦ (٢) امثال ٨ : ٣١

لما يراه من نقادنا . وهو يعرف ان طبيعتنا المسكينة الضعيفة معرضة على الدوام للسقوط والخطأ . وهو يسمح لنا ان نأتي اليه وان نقترب منه من غير ان نحتاج الى رئيس تشريفات يقدمنا اليه »<sup>(1)</sup> .



## البحث الثاني

### في محبة القريب

يا ايتها : — محبة القريب معناها العطف عليه . وخدمته . ومساحة سيناته وغض الطرف عن نقاده لاجل الله ومحبة الله . وهكذا ترتبط محبة القريب بمحبة الله فتكون فضيلة المحبة .  
اما اذا عطفنا على القريب وخدمناه وضحينا من اوقاتنا ومن راحتنا ومن اموالنا ومن عاطفتنا في سبيله لجرد ميلنا الطبيعي اليه لا سبب آخر ، او طمعاً في كسب عطفه او ماله او نفوذه ، من غير ان يكون الله شأن في عملنا هذا ، فيكون ذلك منا عاطفة انسانية او اطهاعاً زمانية بعيدة عن العوامل السماوية ، لا شأن الله فيها ، ولا حق لها في بر كنته تعالى ومكافأته . اما اذا

(1) *Histoire de Sainte Thérèse*, t. I, p. 343.

كان الدافع لخدمتنا للقريب ومحبتنا له كونه ابنًا لله وآخرًا ليسوع المسيح، من غير أن نصغي إلى ما نجد فينا من ميل عاطفي إليه، أو من كراهة طبيعية نحوه، فمحبتنا له تكون أذ ذاك حبة الهيئة سماوية نستحق عليها نعم العلي في الدنيا والنعيم الابدي في الآخرة.

وقد أوضح ذلك المعلم الالهي بقوله: «الحق اقول لكم انكم كلما فعلتم ذلك بأحد اخوتي هؤلا الصنار في فعلتموه»<sup>(١)</sup>.

٢ كيفية محارسة المحبة الاغروبة . — ان المبتدئين في الحياة الروحية يمارسون المحبة الاخوية على نوعين : نوع سلبي ونوع ايجابي : فهم يتتجنبون اولاً ما ينافيها من الرذائل ، وثانياً يقومون بما تأمر به الوصايا من الفضائل .

فيتجنبون الدينونة الباطلة والنميمة والافتراء وما اليها من الرذائل التي تناقض ليس فضيلة المحبة فحسب ، بل فضيلة العدل ايضاً .

ويقاومون ما يشعرون به من البغض ، والجفاء الطبيعي نحو هذا او ذاك ، فلا يسمحون لإرادتهم بان تصادق على ميلهم لهذا الطبيعي وشعورهم الجديهي الداخلي .

ويترفعون عن الكلام الذي يحرج ويضرم نيران الخصم

والاحقاد .

ويلجمون لسانهم عن المزاح الذي كثيراً ما ينفع حياة  
القريب ويرؤدي إلى المنازعات وقطع الصلات .

ويجذرون الآسأة إلى القريب بشهادة الزور والأخبار  
المفققة التي تكون مراراً سبب اضرار خطيرة يصعب فيها بعد  
تلافيها واصلاحها .

ويحرصون الحرص كله على ان لا يسبوا شكوكاً للقريب ،  
فيتجنبون لا ما هو محرم فحسب ، بل ايضاً ما يكون حلالاً  
ولكن يكون مثيراً للشكوك في نفس القريب الساذج  
الضعيف . فلا يتناولون اللحم مثلاً امام الاولاد في ايام الصيام  
 ولو كان الزفر حلالاً لهم ؛ ولا يستصحبون منهم غلماهم وبناتهم  
إلى محافل اللهو المريبة وان كانوا هم لا يتضررون منها ؛ ولا  
يقرأون امام السدج كتبآ منوعة عن هؤلاء وان سمح لهم  
بقراءتها . والقديس بولس يوصي قائلآ : « ان كان الطعام يشكك  
اخي فلا آكل اللحم الى الابد لئلا اشكك اخي » <sup>(١)</sup> .

اما الفضائل التي يتحلى بها المبتدئون في الحياة الروحية فيما  
هو من سحبة القريب فهي كثيرة جميلة :

فانهم يصبرون على نقصان القريب ولو كانت عديدة

(العنصر الرابع لكتاب العزيز)

ووثقيلة ، لأنهم يعلمون أن لهم هم ايضاً نقادهم ، ويعلمون أن المرء ميال بفطرته إلى تعظيم نقاده القريب ولا سيما من كان يسلكه ويتبرّم منه . ويدركون قول ربنا : « ما بالك تنظر القدى الذي في عين أخيك ولا تفطن للخيبة التي في عينك » <sup>(١)</sup> .

وهم يصفحون أيضاً عن الإهانات ، ولا يضمرون الشر لآعدائهم ، ويصالحون من عاداهم ، لأن السيد المسيح يأمر بذلك : « فإذا قدّمت قربانك إلى المذبح وذكرت هناك أن لأخيك عليك شيئاً فدع قربانك هناك أمام المذبح وامض أولاً فصالح أخاك وحيثند أثث وقدّم قربانك » <sup>(٢)</sup> .

والقديس بولس يحرض المسيحيين على اطراح غضبهم ويقول : « لا تغرب الشمس على غضبكم » <sup>(٣)</sup> .

ولقد أكد لنا رب المجد أن الله يغفر لنا بقدر ما نكون قد غفرنا لقريينا : « واغفر لنا ذنبنا كما نغفر لمن اساء اليانا ... فإنكم ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ابوكم السماوي زلاتكم . وان لم تغفروا للناس فابوكم ايضاً لا يغفر لكم زلاتكم » <sup>(٤)</sup> .

اما المتقدمون في الحياة الروحية فانهم ينسجون على مثال رب يسوع في ممارسة فضيلة المحبة .

(١) متى ٢ : ٥ و ٢٣

(٢) متى ٢ : ٥

(٣) افسس ٤ : ٨

(٤) متى ٦ : ١٢ - ١٥

فيفيد كرون اولاً ان وصية المحبة هي وصيته الخاصة به  
وشعاره الجديـد : « اني اعطيكم وصية جديدة »<sup>(١)</sup> . بل (جعل)  
فضيلة المحبة العـلامة الفارقة التي يمتاز بها تلاميذه عن سواهم .  
« بهذا يعرف الجميع انكم تلاميـدي اذا كنتم تحبون بعضكم  
بعضـاً »<sup>(٢)</sup> .

ولقد قال في ذلك الخطيب الفرنسي الكبير بوسـيه : « ان  
هذه الوصـية هي جديدة لأنـ الـرب يـسوع يـأمرـنا بـأن نـحبـ بـعـضـنـا  
بعـضاً كـما هـوـ أـحـبـنـاـ . فـكـيفـ هـوـ أـحـبـنـاـ . اـنـهـ بـادـأـنـاـ بـالـحـبـ لـمـاـ كـنـاـ  
نـخـنـ بـعـدـ لـاـ نـفـكـرـ بـهـ . هـوـ الـذـيـ اـتـىـ الـيـنـاـ اـوـلـاـ . وـفـوـقـ ذـلـكـ فـانـهـ  
دـائـماـ يـغـضـ الـطـرـفـ عـنـ خـيـانـاتـنـاـ وـعـنـ نـكـرـانـاـ جـمـيلـهـ وـنـسـيـانـاـ  
لـكـارـمـهـ . اـنـهـ يـجـبـنـاـ لـكـيـ يـقـدـسـنـاـ وـلـكـيـ يـسـعـدـنـاـ . وـمـاـ ذـلـكـ الاـ تـكـرـمـاـ  
مـنـهـ وـتـفـضـلاـ . لـأـنـهـ لـاـ مـصـلـحةـ لـهـ بـذـلـكـ اـذـ لـاـ يـحـتـاجـ الـيـنـاـ فـيـ  
شـيـءـ » . فـالـمحـبةـ الـاخـوـيـةـ هـيـ الـعـلـامـةـ الـفـارـقـةـ الـتـيـ يـحـبـ اـنـ  
يـتـازـ بـهـاـ الـمـسـيـحـيـوـنـ عـنـ سـوـاـهـمـ مـنـ الـامـ . هـذـهـ هـيـ وـصـيـةـ  
الـرـبـ وـارـادـتـهـ .

وـكـيفـ أـحـبـنـاـ مـسـيـحـ ؟ لـقـدـ أـحـبـنـاـ مـحـبةـ مـُبـادـيـةـ ، مـحـبةـ عـطـوـفـاـ ،  
مـحـبةـ جـوـادـةـ .

انـ الـرـبـ يـسـوعـ هـوـ الـذـيـ بـادـأـنـاـ بـالـحـبـ . « اـمـاـ اللـهـ فـيـدـلـ عـلـىـ

(١) يـوـحـنـاـ ١٣ : ٢٥ (٢) يـوـحـنـاـ ١٣ : ٤٣

محبته لنا بانه اذ كنا خطأة بعد ففي الأوان مات المسيح عنا»<sup>(١)</sup>.  
 اليه انه هكذا فعل مع السامرية ، ومع المرأة الخاطئة ،  
 ومع المخلع ، ومع اللص ؟ اليه هو الذي بدأ فقال لنا : « تعالوا الى  
 يا جميع المتعبين . . . . »<sup>(٢)</sup> . فعلينا نحن الذين نحب الرب يسوع  
 ونرغب في ان نقتفي اثره ان نبادر قريتنا بالمحبة . هذا ما يفعله  
 الذين يعودون المرضى ، ويزورون الفقراء في بيوتهم ، ويعزون  
 الحزان والمصابين ، ويدهبون الى السجون فيؤاسون المسجونين ،  
 ويبذلون المساعي الصادقة اللطيفة العاطفية في اعادة البعيدين عن  
 الله الى واجباتهم ، ويساعدون المدمنين على لقاء ربهم .

ان الرب يسوع احبنا محبة رأفة وشفقة وحنان . أشفق  
 على الجماهير في البرية لما رأها جائعة متغيبة بعيدة عن مآخذ الطعام  
 فاشبعها . — تخنن على الشعوب فغذّاها بتعاليم سامية المهمة حبّية  
 تركت بعيداً وراءها تعاليم كل فلسفة وكل ديانة سواها . —  
 جعل مثله في حنانه مثيل الراعي الذي يترك قطيعه كله ليذهب  
 في طلب الخروف الضال منه .

وكم مرة شفى امراض النفس قبل ان يهب الصحة للأجسام .  
 ليعلمها ليس الشفقة فحسب ، بل ايضاً تنظيم افعال الرحمة والشفقة  
 بأن نهتم بنفس القريب قبل اهتمامنا بحسده ، وان نتخيّل الاحسان

إلى جسده سبيلاً للوصول إلى قلبه ونفسه .

فعلى مثال السيد المسيح غارس الشفقة نحو القريب في اسقامه وأثقاله وجهله وغباؤته ، فلا نبخل عايته بشيء من مالنا ومن وقتنا ومن قوانا ومن معارفنا ومن عاطفتنا .

ان الرب يسوع أحبنا محبة سخية جودة . ليس انه لاجل حبنا رضي بان يتجسد ويتألم ويتعب ويشقى الى ان قضى نظير اللصوص على خشبة : « احبنا وبذل ذاته لاجلنا » (١) .

وعلى اثره سارت جاهير الرهبان والراهبات والمسيحيين والمسيحيات في مدارس التعليم ، وفي الملاجئ والمستشفيات وسائر محطات البر والرحمة في مختلف البلدان وفي كل زمان ومكان . فان الملايين من هؤلاء الرهبان والكهنة والراهبات والمسيحيين الاتقياء والمسحييات الفيورات يكرسون في سبيل القريب والمريض والضعيف والجاهل والبائس والفقير والأعمى واليتيم واللقيط وسواهم من المساكين ، يكرسون قواهم وآوقاتهم واموالهم وحياتهم ، مضحّين بكل شيء في سبيلهم محبة للمسيح الذي اوصى بهم ، وتخلّا به اذا انه مات لاجلهم . هذه هي الطريق الملكية التي سلكها الرب يسوع في حياته وسارت عليها جاهير أصفيائه من بعده .

اما الكاملون من المسيحيين فانهم لا يحجمون عن بذل حياتهم عند الاقتضاء في سبيل قريتهم . « بهذا قد عرفنا المحبة ان ذلك قد بذل نفسه من اجلنا فيجب علينا ان نبذل نفوسنا من اجل الاخوة »<sup>(١)</sup> . هذا ما يفعله المرسلون في البلاد القاسية . هذا ما فعله الكاهن القديس بطرس داميانيوس لما تخصص لخدمة البرص . هذا ما فعله القديس منصور دي بول لما استسلم للأسر لينقذ احد المسؤولين . هذا ما فعله احد الاسرى الاشراف في سجون الثورة الفرنسية لما اتي رفيقاً له وقال : « يا اخي انت رب عائلة وانا اعزب . فاذا طلبوك قبل ليعدموك فدعني اذهب بدلاً عنك فلربما عفوا عني فتخاص انت باسمي . لأنهم لا يميزون بين هذا وذاك . وهكذا تبقى انت لعائلتك واولادك ، وانا فلا بأس علي اذا الموت تعجلني » .

وفضيلة المحبة هذه الكاملة حملت بعض الكهنة على ابراز « نذر العبودية » في سبيل خدمة النفوس . فانهم يقيمون ذواتهم عبيداً للنفوس التي يخدمونها ، فيتخصصون لها بكل ما في حالة العبد من التجرد عن ذاته وعن ارادته وميوله ومطالبه . وبذلك لا يعودون يملكون شيئاً مما لهم لا من علم ، ولا من اراده ، ولا من مال ، ولا من وقت ، حتى لا من حق على الحياة . لأن

العبد هو ملك اسياده . نعم ان محبة المسيح تصل بالتفوّس  
الكبيرة الى مثل هذا الحد من التضحية .

ولكي ننهي هذا البحث نورد تعليقاً رائعاً للقديسة تريزا  
الطفل يسوع في موضوع الحبّة ؛ قالت في شرح هذه الآية :  
« اني اعطيكم وصية جديدة ان يحب بعضكم بعضاً كما  
احببتم انا » <sup>(١)</sup> .

« وأخذت ابحث عن الكيفية التي بها احبّ يسوع نلاميذه ،  
فرأيت انه لم يحبهم لاجل ما لهم من مزايا طبيعية ، فانهم كانوا  
جهلة ومسوقين بعطاهم الارضية . ورغم ذلك فهو يدعوهـم  
اصحابه واخوته ، ويرغب في ان يراهم معه في مملكت ابيه .  
ولكي يفتح لهم هذا الملکوت يرضى بان يموت على الصليب ،  
ويقول : « ليس لاحد حب اعظم من هذا أن يبذل نفسه  
عن احبابه » <sup>(٢)</sup> .

« فلما تأملت في هذا الكلام رأيتكم هي ناقصة محبتي  
لأخواتي وكم هي بعيدة عن محبة يسوع لهن . اني الان افهم  
ان المحبة الحقيقية تقوم باحتمال نقائص القريب كلها ، وبعدم  
العجب من ضعفه ، وبالاغتناط بفضائله .

(١) يوحنا ١٤ : ٣٢

(٢) يوحنا ١٥ : ١٣

« في العهد القديم ، لما امر الرب شعبه بان يحب المرء اخاه كما يحب ذاته ، لم يكن بعد قد تجسد ونزل على الارض . فلما كان يعام مقدار محبة المرء لنفسه لم يكن يستطيع ان يطلب من شعبه اكثرا من هذا . ولكن لما اعطى يسوع لرسله وصية جديدة ، وصيته الخاصة به ، لم يكن حينئذ بان يطاب منا ان نحب قريينا كما نحب نفсяنا ، بل امر بان تكون محبتنا لهذا القريب كما هو يحبنا و كما سوف يحبنا الى انقضاء الدهر » .

والقديسة تريزيا تتكلم بعد ذلك عن طريقة سهلة لمارسة فضيلة المحبة فتقول :

« عندما يأتي الشيطان ويضع امام عيني نقاوص فلانة او فلانة من اخواتي الراهبات ، اسارع انا وابحث عن فضائلها وعن نياتها الحسنة واقول في نفسي : اذا كنت قد رأيتها سقطت مرة ، فلربما انها انتصرت مرارا على تجربتها وزعاتها ، وهي تخفي ذلك تحت ستار التواضع . وربما ان ما اراه فيها زلة ، ليس هو سوى فضيلة حقة بسبب حسن نيتها وصلاح طويتها » <sup>(١)</sup> .

ويحدّر بنا ان ننهي هذا الفصل بعض ملاحظات ونصائح للكاتب الروحي الاب لوجون P. Lejeune في اعمال الحب قال :

(١) في كتاب حباغا ، الفصل الثاني

«ليس الحب العاطفي كالحب العملي . فالحب العاطفي هو سعير متوجج في القاب . اما الحب العملي فهو الحب الخارجي الذي يبدو للعيان باعماله .

«ففي الحب العاطفي ، عاليك بمعاملة قابك كما تعامل فرسك . فازنك اذ تكون راكباً فرساً ، وتكون صاعداً اكمة ، تترك لها العنان ؛ اما اذا نزلت منحدراً تشد اليك عنانك . وهكذا في الحب : فاذا اندفعت في حب الله وهو حب سام ، فسر دركها راهي العنان . . . ولكن حينما ينحدر قابك الى اسفل ، الى حب الخليقة ، فعليك بالاحتراس . لانه يجب عليك ان لا تسمح لقابك بان يخوض في لجج من المشاعر والعواطف الحسية . لان الحب الروحي يَنْسُد احياناً ، كما يقول القديس بنو زبورا ، فيه قاب الى حب شهواني ، لاسيما مع الجنس الثاني .

«اما الحب العملي فان الله يريد منك ان تبدأ اولاً فتتجه الى القريب ، وتخدم به قريبك اكثر من خدمتك لخالقك . لان الله يريد ان تترك احياناً خدمته لخدمتم قريبك لاجله تعالى وخدمته . مثال ذلك اذك لو كنت لا تقدر ان تحضر القدس يوم الاحد إلا اذا تركت مرضاً هو بحاجة اليك والى اسعافك ، فان الله يريد منك ان تترك القدس لاجل خدمة ذلك المريض :

«أني أريد رحمة لا ذبيحة». لأن الله بعفي عن عباداته، ولا منفعة له بضحايانا. أمّا أعمال الرحمة والشفقة نحو القريب فهي كثيراً ما تكون نافعة له، لا بل ضرورية أيضاً».

---

### ﴿حوادث تاريخية﴾

#### الاب بطرس دميان رسول البرص

ان بين جزر الساندويتش المنتشرة في اواسط المحيط الهادئ جزيرة تدعى مولوكاي جمعت فيها الحكومة الهريلطانية جماهير المرضى المصابين بداء البرص لكي يقنعوا بذلك من ان تسري عدوا هذا الداء الفتاك الوابل في الجزر العديدة الكبيرة والصغيرة التي تلا ذلك المحيط العظيم.

ففي جزيرة مولوكاي هذه تجد خليطاً من البشر من جميع الاجناس والاديان قد جمعتهم المصيبة، وقربت بينهم البلوى. فتقابلوا على مرض، وباتوا يقضون حياتهم المرة في انتظار الموت الايم بينما اطافهم المبتورة تناسق شيناً فشيناً.

وليس من تعزية لهذه الجماهير من المرضى سوى ما تقدّم به الحكومة والمسنون من اعمال الشفقة والرحمة. والمسيحيون منهم، ولاسيما الكاثوليك ينسون همومهم وآلامهم في المساعدات والخدم الدينية التي يقدمها لهم المرسلون الارديتون من ربانية القلبين الاقدين. لأن الكهنة يأتونهم من حين الى حين حاملين اليهم مع كلام التعزية رب التعزية.

ورأى احد هؤلاء المسلمين الفيورين ، وهو الاب بطرس دميانت ان تلك الزيارات، وان تعددت، لا تفي بالارض المطلوب، وان اقامه وسكنى واحد او اكثر من المسلمين فيها بين اولئك المصابين تعود عليهم بالفائدة الكبيرة ، دينية وادبية ومادية ؟ وانه قد يكون لها الاثر الكبير الطيب ليس في خدمة المسيحيين فحسب ، بل في ارتداد الكثيرين الى الاعان بال المسيح ايضاً . ففكرا هذا المرسل القديس ملياً في الامر ، ثم عزم على التضحية بصحته وحياته في سبيل اولئك المرضى المبتلين بذلك الداء الوخيم . وكان عالماً بأنه باقادمه على ذلك العمل لا بد له من ان يصاب هو ايضاً بداء البرص الشنيع وبهتان فيه . ولكن الحبة المسيحية انتصرت فيه على الحافر البشرية ، فطلب من رؤسائه ان يسمحوا له بان يجعل مقامه الدائم في تلك الجزيرة لكي يقوم بخدمة مرضاهما . فاجابوه الى طلبه . فذهب واقام هناك . وكان اذ ذاك ممتلئاً صحة وشباباً واقداماً ونشاطاً . فاخذ يخدم اولئك البوسنه ويؤاسيهم ويمني بأمورهم . وتسليم ادارة المستشفى الكبير هناك ، فبدأت الحياة في تلك الجزيرة . ودهش الوثنيون لتلك التضحية وتلك الفضيلة فأمن الكثيرون منهم بال المسيح . ان اعمال الرحمة المسيحية كانت ولا تزال افصح لسان واجلى بيان اشرح عقائد الاعان والدعوة الى الاعان . وكان ما لا بد ان يكون . فابتلي الاب دميانت ايضاً بداء البرص . فتشوه وجهه واخذت تتساقط اطرافه . ولكنها بقي مثابراً على عمله بلا كلل ولا ملل . فقضى السنين الطوال يخدم ويبشر ويؤاسي ويعزى ويشجع وينفق الاموال الطائلة في تخفيف الالم عن تلك الفئة المسكينة من البشرية المتألمة الى ان مات بداء البرص شهيد الحبة والرحمة . فدعاء التاريخ رسول البرص . وكان ذلك سنة ١٨٨٩ .

« ان محبة المسيح تحثنا »

الصدقة انواع <sup>(١)</sup>

السيدة « سوريد » كانت مقعدة . وكانت تتنقل من مكان الى مكان وهي جالسة على كرسي ذي عجلات تدفعه بيديها . وكان هذا حالها منذ حداثتها حتى أربت على الحسينين . الا انها رغم هذه العادة فقد كرست ايامها الطويلة لاجل تسلية الاطفال المرضى في المستشفيات . فكانت تسألهن عن اهتمامهن واحوالهم ؟ ومن غير ان تعرفهن تراسلهم وتتضمن رسائلها طائفة من الاخبار التي تلذ قرائتها لهم . وكان هؤلاء يتذبون رسائلها بفارغ صبر ويقرأنها بارتياح ، ويعيدون قرائتها ، وينسون ما هم به من ألم وسام .

فكانت كل صباح قاتي على عربتها الصغيرة وهي تدفعها بيديها ، وتحمل الى مقر البريد رزمة من الرسائل المختلفة تبعث بها الى المستشفيات في مختلف انحاء البلاد .

وما اجمل ايضاً ما كانت تفعله تلك الابنة الصبية التي كانت تذهب كلما سمعت لها الفرصة ، الى محطة السكك الحديدية ، وهناك قبضل مساعدتها للسيدات المسافرات بلاحظة الاطفال والسمير على الحقائب وما شاكل ، خدمة لذكرى والدتها المتوفاة التي كانت في اسفارها تلاقي مشقة وعذاء مع اولادها .

الصدقة انواع منوعة ، وما احلها !

(١) عن مجلة « المختار » .

العاطفة البنوية الصادقة<sup>(١)</sup>

دخلت حانوتاً لبيع الأزهار فوجدت غلاماً ينتقي أجمل ما يجد من الورد الأحمر . فقالت له بائعة الزهور : ارجوك ان تكتب على هذه البطاقة الاسم والعنوان حتى نرسل لك الورود حينما ت يريد . فاجاب الغلام : شكرأ ساحها بنفسه . ثم اردد وقال للبائعة : بل ارجوك ان تكتبي لي على هذه البطاقة : عيد سعيد يا ماما .

وبعد برهة ركبت القطار وكان يسير بنا المஹينا في ضواحي المدينة . وبينا كنت اطلع من النافذة فإذا بي ارى الغلام يحمل باقة الورد ويدخل مقبرة صغيرة .

ما اجمل عاطفة هذا الغلام نحو والدته الراقدة في تلك المقبرة الصغيرة ! فهو يذهب الى زيارتها في مرقدها يوم عيدها ليحيي ويعي عظامها بعاطفته نحوها .

الصدقة انواع، وما الذي مذاقها !



(١) « جانيت جالو » في مجلة « المختار » عدد تشرين الاول ١٩٢٧ ص ٣٦

## ملحوظ في الصلاة

اولاً - بيانها وضرورتها - الصلاة هي مناجاة الخالق . هي رفع القلب الى الله بافعال العبادة . وتشمل هذه الاعمال السجود لعزته الالهية ، والشكر له على نعمه العديدة ومواهبها السنية ، والاستغفار من حنانه ورحمته على الذنوب الظاهرة والخفية ، والطلب من فيض كنوزه ما يلزم من النعم الروحية والزمنية . فالصلاحة هي صلة بين الله والانسان . فالله هو الخالق ، هو رب والسيد ، وهو المنعم الاعظم المتفضل على مخلوقاته بضرورب النعم . والانسان هو الخليقة الضعيفة المسكونة الخاطئة ، ولكن المحبوبة ، المحتاجة الى مراحم الله ومعونته ورحمته . فالصلاحة هي اذاما من ضروريات الحياة :

- ١ - لأن للخالق الحق المطلق على احترام وطاعة خليقته واكرامها لما دامت في الوجود .
- ٢ - لأن هذه الخليقة هي بحسب طبيعتها في اشد الاحتياج الى النعم السماوية لكي تستطيع ان تعمل الاعمال الروحية التي تؤهلها للحياة الابدية السعيدة الالهية .

فِلْقَدْ قَالَ الرَّبُّ : « إِنَّ الْكَرْمَةَ وَإِنْتُمُ الْأَغْصَانُ . مَنْ يُثْبِتُ  
فِيْ وَإِنَّ فِيهِ فَهُوَ يَأْتِي بِشَهْرٍ كَثِيرٍ . لَا زَكْرُمْ بَدُونِي لَا تَسْتَطِعُونَ أَنْ  
تَعْمَلُوا شَيْئاً » (١) .

وقال القديس بولس : « لا أَنَا كفَاءَةٌ لَان نَفْتَكِر فِكْرًا  
بِأَنفُسِنَا كَأَنَّهُ مِنْ أَنفُسِنَا بَلْ كفَاءَتِنَا مِنْ اللَّهِ »<sup>(٢)</sup> .— وَكَتَبَ  
إِيَضاً إِلَى اهْلِ فِيلِبِيِّ يَقُولُ : « فَانَّ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ فِيْكُمْ  
الْأَرَادَةُ وَالْعَمَلُ عَلَى حَسْبِ مَرْضَاتِهِ »<sup>(٣)</sup> .

٣ - الصلاة هي ايضاً ضرورية للانسان لكي يتقي التجارب ولاسيما السقوط في الخطايا. لذلك علمنا رب يسوع في الصلاة الربية ان نتوب الى الآب السماوي في صلاتنا كل يوم وكل ساعة ونقول له بشفقة بنوية : « ولا تدخلنا في التجارب لكن نجنا من الشرير » .

(١) يوحنا ١٥ : ٥ (٢) ٢ كورنثس ٣ : ٥ (٣) فبلي ٢ : ١٣

وشعبها ضد اليقانا المتكبر وجيشه ، ولا يوب في محنته ، ولطوبيرا  
في امواله واسفار ابنه ، ولا استير الملائكة عندما كان هامان يهدد  
شعبها بالفناء .

وكم مرة منح الرب يسوع النعم الزمنية اجابة لصلة ودعا  
الطالبين رحمته اشفى العميان والمقطعين والجانين ، واقام من  
الاموات ابنة الرئيس واعازر اخا مريم ومرتا . بل ان تосلات  
الكتناعية ارغمه ارغاما على شفاء ابنتهما . وهكذا نازفة الدم  
ايضاً نظيرها .

ألم يقل هو جل اسمه ويعيد القول بالاح : « اسألوا فتغطوا ،  
اطجو فتجدوا » اقرعوا فيفتح لكم » <sup>(١)</sup> . واكي يوصل كلامه  
وارادته الى الذهان باجل ببيان يستعير تشبيهاً رائعاً ويقول :  
« اي انسان منكم يسأله ابنته خبزاً فيعطيه حمراً . او اذا سأله  
سكة يعطيه حية . فاذا كنتم اذن الاشرار تعرفون ان تمنحو  
العطايا الصالحة لأبناءكم فكم بالحربي ابوكم الذي في السماوات  
ينحي الصالحات لمن يسأله » <sup>(٢)</sup> .

وان الصلاة المثلثة التي علمنا الرب ان نصليها تطلب لنا مراحم  
الآب السماوي النعم السماوية والارضية معاً : « اعطنا خبزنا كفاف  
يومنا ، واغفر لنا خططيانا » .

فالصلاحة هي ضرورية اذن لحياتنا الروحية والزمنية معاً،  
ولا قوام لها إلا بها. ويرد في ذلك القديس توما اللاهوتي: «ان  
كل ما لا يكون مؤسساً على الصلاة في آمالنا ورغائبنا تكون  
نتيجه الفشل. لانه لما كان لا واجب يلزم الله الزاماً ليمنحكنا ما  
نخوا بحاجة اليه من النعم، ولما كانت النعمة من طبيعتها مجازية،  
فهي لا تزال الا بواسطه الصلاة».

«لا ريب في ان الله يعرف ما نحتاج اليه قبل ان نسألة. إلا  
انه تعالى يرغب في ان نعرض ذلك عليه لكي يهبنا ما نحتاج  
اليه. وهكذا نذكر دائماً عطفه علينا، واحسانهلينا، وضعفنا  
ومذلتنا» <sup>(١)</sup>.

والجمع التريدينوني يقول في الكتاب الذي وضعه: «ان  
الصلاحة اعطيت لنا كواسطة فعالة لنجاة من الله ما نريده منه.  
لان مواهب كثيرة لا يمكننا ان نحصل عليها الا بواسطه  
معونته» <sup>(٢)</sup>.

ثانياً - شروط الصلاة. - لكي تكون الصلاة حسنة  
ومقبولة لديه تعالى ومستجابة، يجب ان تتتوفر فيها شروط  
عدة رئيسية. وهي تعود الى قسمين: (ا) ماذا ينبغي لان  
نطلب، (ب) كيف نطلب.

(1) Sum. Theol. IIa IIae, Q. 83, a. 1, ad 3.

(2) Cat. Trid. p. IV, c 1 n° 3.

(ا) مازا ينفعني إنما أمه نطلب — لكن تكون صلاتنا مقبولة  
يجب أن نجعل في رأس توسّلاتنا وطلبتنا ما يلزمها من النعم  
الروحية التي توصلنا إلى غايتها القصوى السماوية . ثم يجب أن لا  
نطلب من النعم الزمنية إلا ما يتفق ولا يتناقض مع هذه الغاية  
العليا الأبدية التي أعدها الله لنا ودعانا إليها .

ان الخيرات الزمنية لا يمكنها ان تلأ قلبتنا ، ولا هي تدوم  
لما وليس لها ان تتحققنا من السعادة ما يكفيها ويريحنا ويسعدنا .  
الآن بعضها هو قوام حياتنا الزمنية وليس باستطاعتنا ان تستغنى  
عنها . لذلك يمكننا ان نجعلها هي ايضاً موضوع صلاتنا وطلبتنا  
وتوسّلاتنا . ولكن يجب ان لا ننسى ان الخيرات الزمنية يلزمها ان  
تبقى في محل الثاني ، وان يبقى للخيرات الروحية المقام الاول .  
لان غاية هذه ابدية ، وغاية تلك زمنية وقتصية . وشتان ما بين  
هذه وتلك . لذلك كثيراً ما تناقض الخيرات الزمنية مع الموهب  
الروحية وتكون عائقاً كبيراً لنا في طريقنا إلى غايتها السماوية  
الدائمة . فيكون طلبنا لها ضرراً علينا . فالواجب يقتضي ومنفعتنا  
ايضاً بان لا نرغب في الزمتنيات الا بقدر ما تتناسب مع منفعتنا  
الروحية ، لكي لا تكون الخيرات الأرضية سبباً لخسارتنا  
الخيرات السماوية السامية . اليـس ان الكثـيرـين يـهـلـكـون بـسـبـبـ  
غـنـاهـمـ ، او بـسـبـبـ رـتـبـهـمـ ، او بـسـبـبـ وـظـائـفـهـمـ ، او بـسـبـبـ

سكناتهم في المدن الكبيرة بدل الارياف المتواضعة .

لذلك وجب على من يصلى ان يطاب اولاً ملوكوت الله وبره<sup>(١)</sup> ، وان يبقى ارادته خاضعة لارادة الله واحكام الله وتدبير الله ، وان يطلب منه تعالى ان لا ينفعه الا ما يؤول الى خلاصه الروحي ونجادله الابدي .

اننا كثيراً ما نطلب من الله نعماء ارضية فيذكرها تعالى علينا لعلمه بأنها سوف تكون سبب خسارة روحية لنا . وينكرها احياناً ايضاً علينا لانه يعرف أنها تكون سبب ضرر مادي لنا قد خفي علينا . لذلك يحسن بنا في صلاتنا ان نخضع دائماً ارادتها لارادة الله مولانا وابينا ومدربنا ومرشد حياتنا . وهو اذا انكر علينا ما نطلب خدمة لنا ولمنفعتنا ، فانه لا يدخل علينا بما هو حقاً نافع ل فهو سنا واجسادنا . فيعطيانا نعمة نافعة نجهلها بدل منة نطالبها ونجهل ضررها . وهكذا لا يترك صلاتنا بلا فائدة نجهلها منها . اليه على هذا النحو تعامل الام ولدها . او ليس ايضاً شتان ما بين محبة الام لولدها ومحبة الله لبنيه وعباده !

(ب) كيف ينبعي اذا انه نطلب - ان صلاتنا ، لكي تكون مقبولة وذات فائدة ؟ يجحب ان نقرنها بالتواضع الصحيح والثقة البنوية واليقظة الكافية .

اما التواضع فلقد طالما كان مزية الطالب المتسل : لا يمكن ان ينال الطالب الواقع مناً .

ولما كانت النعمة الالهية مجانية كان لا بد لنا من ان نطلبها بتصاغر وتذلل . والله لا يريد صلاة من تواضع امامه : « القلب المتخشع المتواضع لا يرذله الله » <sup>(١)</sup> . هكذا استجواب الله صلاة العشار المتواضع ، ورذل خطاب الفريسي المتشامخ . اما قال رب : « من وضع نفسه ارتفع » <sup>(٢)</sup> .

ويقول القديس يعقوب في رسالته بكل جلاء : « ان الله يقاوم المتكبرين ويعطي النعمة للمتواضعين » <sup>(٣)</sup> .

وهذا التعليم هو مبني على المنطق ، لأن المتكبر لا يقر بمحسن ، ولا يمْرُّف لمنته فضلا ولا قيمة . لذلك تحرم صلاته من الاستجابة ويعود صفر اليدين . لكن المتواضع يستجيب عطف المحسن فتقبل صلاته ويستجاب له .

والتواضع ينشئ الثقة ويحمل الانسان على الرجاء ، والرجاء لا يخزي كما يقول بولس الرسول ، لأن اعتماده على رحمة الله وحزنه ، وعلى استحقاقات آلام المخاص الالهي . ان رحمة الله واسعة وتنسخ أكثر للذى يعرف ذله وفقره وضعفه ، ويقر بذلك امام العزة الالهية .

(١) مزمور ٥٠ : ٦ (٢) لوقا ١٨ : ٩ (٣) يعقوب ٤ : ٦

والكتاب المقدس لا يفتأ يذكرنا بان الله يصغي الى صلاة من يتكل عليه . فصاحب المزامير يقول على لسان الرب : « انجييه لانه تعلق بي . ارقيه لانه عرف اسمي . يدعوني فاستجيب له » <sup>(١)</sup> .

وكم يشدد علينا رب يسوع في انجيله لكي نضع ثقتنا كاملة فيه : « من منكم يسأل اباه خبزاً فيعطيه حجراً، او سكّة فيعطيه حية بدل السكّة ، او اذا سأله بريضة يعطيه عقرباً . فاذا كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تذنحو اعطائيا الصالحة لابنكم فكم بالحرى ابوكم من السماء ينحي الروح القدس لمن يسأله » <sup>(٢)</sup> . وفي الليلة الاخيرة التي قضاها يسوع مع رسليه او صاحبهم مراراً لكي يضعوا فيه ثقتهم ويصلوا ويطابوا واعداً اياهم باستجابة طلباتهم :

« فكل ما تسائلون الآب باسمي فانا افعله لي تمجد الآب في ابن . وان سألتم شيئاً باسمي فاني افعله » <sup>(٣)</sup> .

« الحق الحق اقول لكم ان كل ما تسائلون الآب باسمي يعطيكموه . الى الان لم تسألوه باسمي شيئاً . اسألوا واطورو ليكون فرحاكم كاماً » <sup>(٤)</sup> .

(١) مزمور ٩٥: ١٢ : ١١

(٢) لوقا ١٢ : ١٢

(٣) يوحنا ١٦ : ١٣ و ١٢

(٤) يوحنا ١٦ : ١٢

فلا يمكن للإنسان أذن أن يقنط من رحمة الله . بل يصلى  
بتواضع ويرجو بشارة في الحال ما يلزمها من موهب ونعم .  
وإذا كان الله يبظاهر أحياناً كمن يضمّ أذنيه عن صلاتنا  
وتوصياتنا ، فما ذلك منه إلا يحملنا على الاستمرار في الصلاة ،  
وعلى دوام اتكلانا عليه ورجائنا ببراهمه ، وعلى الاستزادة من  
معرفة فقرنا واحتياجنا إليه . وهكذا نعرف للنعمات التي نطلبها  
قيمتها وقدرها . هكذا كانت صلاة المرأة الكنعانية :

« ثم خرج يسوع واتى إلى تخوم صور وصيدا . وإذا بأمرأة  
كنعانية قد خرجت من تلك التخوم تصيح وتقول : ارحمني إيها  
الرب ابن داود فإن ابنتي بها شيطان يعذبها جداً . فلم يجدها  
 بكلمة . فدنا تلاميذه وسألوه قائلين : اصرفها فإنها تصبح في  
اثرنا . فاجاب وقال لهم : لم ارسل إلا إلى الخرفان الضالة من آل  
اسرائيل . فأتت وسجدت له قائلة : اغثني يا رب . فاجاب قائلًا :  
ليس حسناً أن يؤخذ خنزير البنيين ويلقى الكلاب . فقالت : فعم  
يا رب فإن الكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد  
أربابها . حينئذ اجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم أيامك ،  
فليكن لك كما اردت . فشفيت ابنته من تلك الساعة » <sup>(١)</sup> .

ومع التواضع والشقة يجب لحسن القيام بالصلاحة أن يكون

الانسان متتبه الذهن وعندما يصلى وعندما يقول للرب وعندما يطلب .

ان تشتت الفكر وقت الصلاة هو امر طبيعي . فاذا حدث عفواً وقت الصلاة ، من غير قصد ولا قبول ولا رضى ، فانه لا يعيق الصلاة ولا يقف حائلا دون مفعولها ، على شرط ان تكون قد احتطنا لأنفسنا لكي نبتعد عن اسباب الشتت وقت صلاتنا .

اما اذا رضينا بتشتت الذهن فلا تخلو حينئذ من الخطأ ، لاسيما اذا كانت صلاتنا من الفروض المتوجبة علينا . ان الصلاة هي مخاطبة الله ومناجاته بافعال السجود والشكرا والاستغفار والطلب . فكيف نسجد سجدة حقيقة ونحن لا هون ! وهل نشكر المنعم الاعظم على نعمه وآلاته ونحن غافلون عنه وعنها ! وهل نستغفر من اسأنا اليه ونحن مشردو الفكر ! وهل نطلب نعمه وهباته وما نحتاج اليه من أفضاله ونحن بعيدون عنه بفكernا وعاطفتنا ! الا نستحق اذ ذاك ان نسمعه يوبخنا ويقول : « ان هذا الشعب يذكرني بشفتيه واما قلبه فهو بعيد مني » <sup>(١)</sup> .

فلكي تكون صلاتنا مقبولة ، وجب علينا ان ندفع عنا بارادة صادقة كل تشتيت لافكارنا وكل اسباب التشتيت التي تعترضنا . وان افضل طريقة للوصول الى ذلك هي حصر انتباها

(١) مق ١٥ : ٨

« الاخلاق المسيحية »

او فيها نقول من الكلام ، او في معناه ، او في مناجاة الخالق او السيد المسيح بعواطف الاعان او الرجاء او المحبة البنوية ، كما ينادي الابن اباه في خلواته .

~~~~~

حادث تاريني

القديس بناديككتوس و اخته القديسة سكواستيكـا

كان القديس بناديككتوس ، منشى الطريقة الراهبانية في بلاد الغرب ، يقيم في ديره على رأس جبل كاسيلينو بالقرب من مدينة روما . و كانت اخته سكواستيكـا تقيم هي ايضاً في دير مع راهباتها في أسفل ذلك الجبل . و كان بناديككتوس يتزل كل سنة مرأة إليها فزيورها ويقضى نهاره عندها ثم يودعها و يعود إلى ديره ليأتيها في السنة التي بعدها .

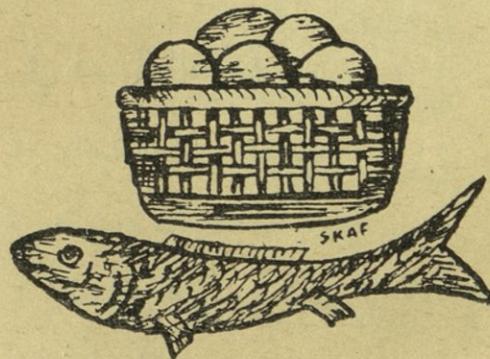
فجاءها مرة وكانت هي الأخيرة في حياتها . فقضيا النهار يتحدثان عن نعيم السماء وهناك الابرار في ذلك النعيم الاهلي الابدي . فاشروا الا والشمس قد مالت إلى المغيب . فقام بناديككتوس يريد ان يعود إلى ديره . فتمسكت به اخته وجعلت تتسل إليه لكي يطيل . كونته لديها ويتابع حدشه السحري الذي كان قد أخذ بجماع قلبها . لكن بناديككتوس تمسك بواجبات القانون الراهباني ، فرفض طلبها وسار على بركة الله وتركها .

فجئت سكواستيكـا القديسة على ركبتيها وجعلت رأسها بين يديها وأخذت تبتهل إلى الرب بدمع وحرارة وبيان لكي يعيد إليها أخاه . وإذا بالسماء تلتلي بالسمحب ، ويكتهر الجلو ، والرعد يتصف ، والامطار تمطر ،

وتشعر زوجة هاجاء هائلة فتقطّع على الراهن السبيل . فاضطر ان يعود من حيث اتي ، ويرجع الى اخته هرباً من الزوجة .

فأبادرته اخته بالكلام وقالت : « توصلت اليك لتبقى معي » فرفضت طلي . فتوسلت الى الرب فسمع دعاء قلبي ». فقال بناديكتوس : « يكن اسم الرب مباركاً » .

وقضيا الليل في حديث المهام . وكانت تلك الزيارة هي الاخيرة في حياة سكواستيكا لانها ما عتمت ان ذهبت تنعم بذلك النعيم الابدي الذي طالما بهرها في حياتها وسحرها .



فهرس الكتاب

صفحة

٥

توضية

و

المصادر

١

مقدمة

بحوث تمهيدية

البحث الاول : نظرة عامة في اصحاب الفضائل المسيحية ٦

البحث الثاني : في الفضائل المسيحية المohoبة اي الفائقة الطبيعية ١٢

البحث الثالث : عمل المسيح في حياتنا الروحية ١٨

اباب الاول : في الفضائل المسيحية

الفصل الاول: في فضيلة الفطنة

البحث الاول : ماهية الفطنة وقوامها ٣١

البحث الثاني : ضرورة فضيلة الفطنة ٣٧

البحث الثالث : الوسائل التي من شأنها ان تزيد فضيلة الفطنة

٤١ غوا وكمالاً

صلوة سليمان الملك : في طلب الحكمة ٥٧

الفصل الثاني: في فضيلة العدل

البحث الاول : في طبيعة فضيلة العدل وأحوالها ٥٨

البحث الثاني : فيها تأمر به وتنهى عنه فضيلة العدل ٦٢

صفحة

- حوادث تاريخية : الرسولان بطرس وبولس امام محفوظ اليهود ٦٩
 ٢١ او زبدي الكاهن الأعظم وهليودورس
 ٧٣ فرنسيسكي روقي عنوان الأمانة

الفصل الثالث : في فضيلة العبادة

- ٧٨ البحث الأول : في طبيعة فضيلة العبادة
 ٨٣ البحث الثاني : في ضرورة فضيلة العبادة
 ٨٨ البحث الثالث : في كيفية القيام بعبادة الله
 ٩٢ حادث تاريخية : الاسكافييان
 ٩٣ ستانسلاس ملك بولونيا

الفصل الرابع : في فضيلة الطاعة

- ٩٤ البحث الأول : في طبيعة فضيلة الطاعة
 ١٠١ البحث الثاني : في درجات الطاعة المسيحية
 ١٠٥ البحث الثالث : في صفات الطاعة المسيحية
 ١١٠ البحث الرابع : في فوائد فضيلة الطاعة
 ١١٧ حادث تاريخي : شجرة الطاعة

الفصل الخامس : في فضيلة الشجاعة

- ١١٨ البحث الأول : في ماهية فضيلة الشجاعة
 ١٢٣ البحث الثاني : في درجات فضيلة الشجاعة
 ١٣٦ البحث الثالث : في كيفية الحصول على فضيلة الشجاعة ،
 وفي طرق تقويتها
 ١٣٩ حادث تاريخية : القديسة جربارة

صفحة

- الفصل السادس : في فضيلة الشهامة ١٤٠
- حادث تاريخي : كاسيلدا الكرملية الشريفة ١٤٢
- الفصل السابع : في فضيلة السخاء ١٤٤
- حوادث تاريخية : في السخاء المسيحي ١٤٧
- الفصل الثامن : في فضيلة الصبر ١٤٩
- البحث الاول : في ماهية فضيلة الصبر ١٥٣
- حدث تاريخي : صبر أيب ١٦١
- الفصل التاسع : في فضيلة الشبات ١٦٣
- حادث تاريخي : أغسططينوس ومونيكا ١٦٥
- الفصل العاشر : في فضيلة القناعة ١٦٦
- البحث الاول : القناعة في الأكل والشرب ١٦٧
- البحث الثاني : في فضيلة المغافف ١٧٢
- المغافف في الزواج ١٧٤
- العفاف في العزوبة والمتولية ١٧٩
- حوادث تاريخية : الشابة بوتامينا ١٩٦
- مدام دي لا فالير ١٩٧
- أنوفريوس الناسك ١٩٨
- الفصل الحادي عشر : في فضيلة التواضع

١ بيانها

٢ درجات فضيلة التواضع

١٩٩

٢٠٤

صفحة

- | | |
|-----|--|
| ٢٠٧ | ٣ جمال التواضع وفوائده |
| ٢١٠ | ٤ التواضع في العمل |
| ٢٢٧ | حادث تاريخي : تواضع القديس ارسانيوس |
| ٢٢٩ | الفصل الثاني عشر : في فضيلة الوداعة |
| ٢٣٠ | حدث تاريخي : وداعة القديس منصور دي بول |

الباب الثاني : في الفضائل الارثوذكية

٢٣٦ تمهيد

الفصل الاول : في فضيلة الايان

- | | |
|-----|-------------------------------------|
| ٢٣٨ | ١ بيانها |
| ٢٤٠ | ٢ منافع الايان |
| ٢٤٨ | ٣ كيف غارس فضيلة الايان |
| ٢٥٠ | حدث تاريخي : ايامن الاب دي راتسبيون |
| ٢٥٢ | عظمة الاخلاق |

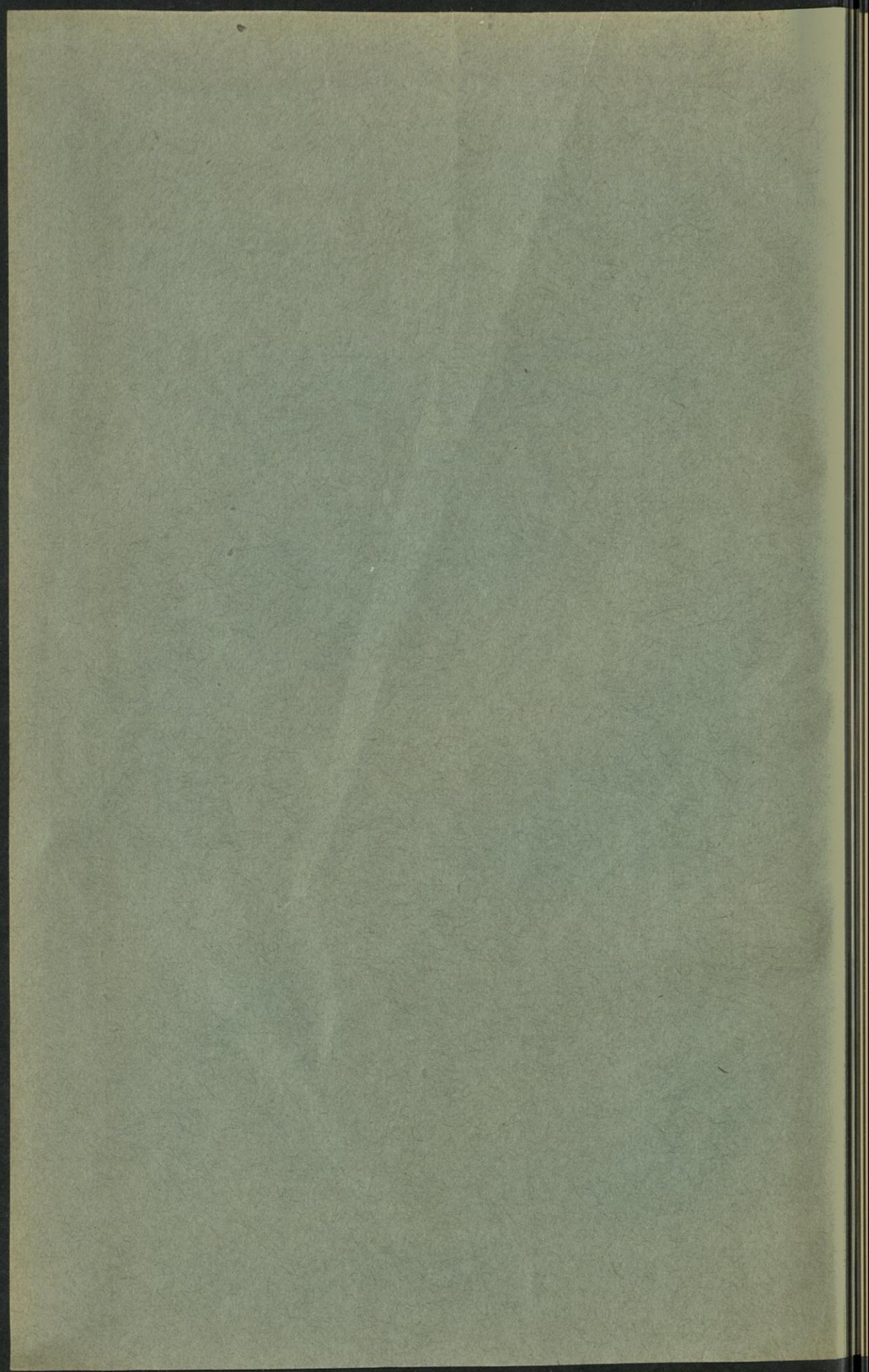
الفصل الثاني : في فضيلة الرجال

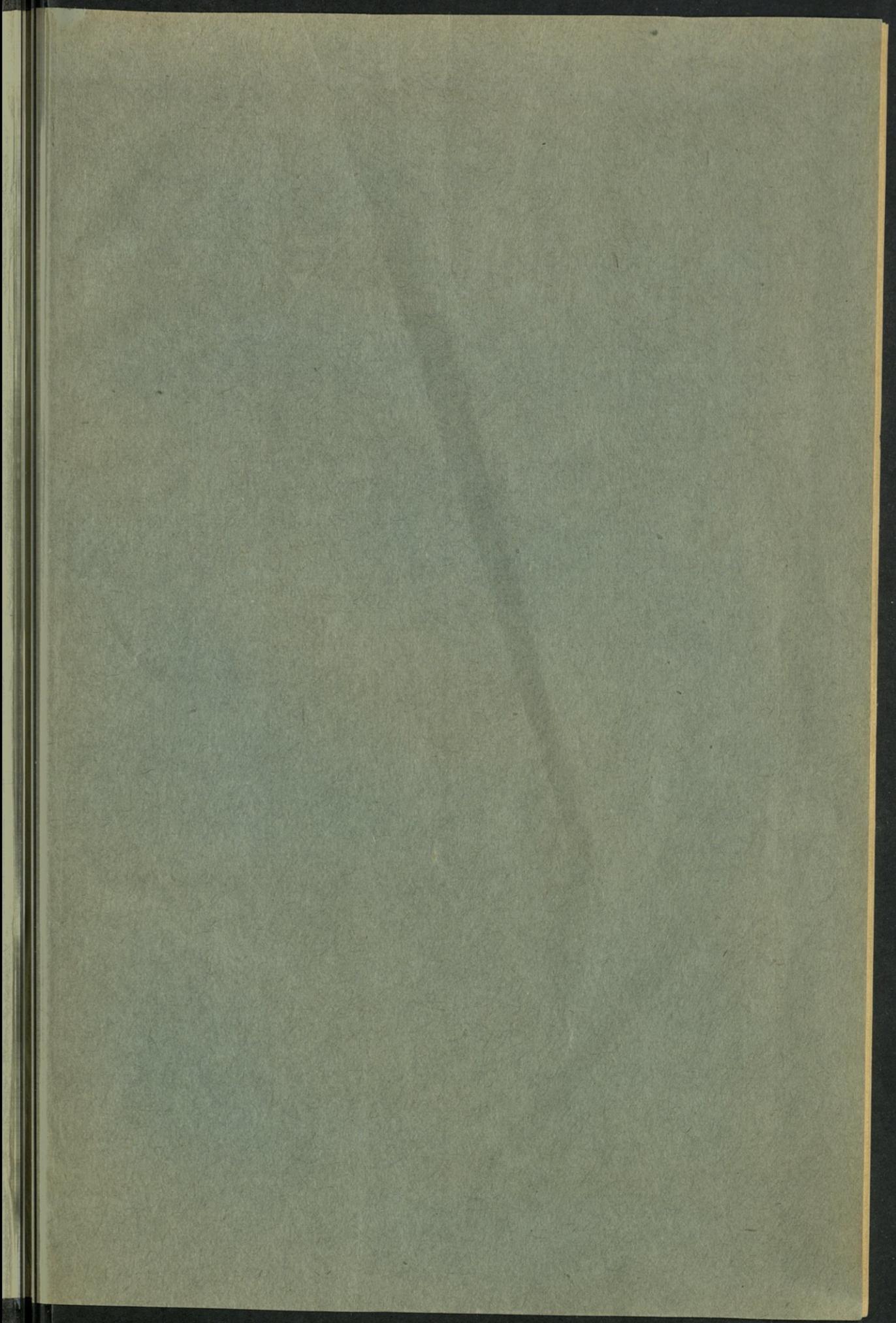
- | | |
|-----|---------------------------------------|
| ٢٦٠ | ١ بيانها |
| ٢٦١ | ٢ كيف تقدم فضيلة الرجال نفوسنا |
| ٢٦٥ | ٣ كيف يارس المسيحيون فضيلة الرجال |
| ٢٢٤ | حوادث تاريخية : طوبينا البار |
| ٢٢٥ | رجاء القديسة تريزييا الطفل يسوع |
| ٢٧٧ | الفصل الثالث : في فضيلة الحببة |

صفحة

- | | |
|--|--|
| ٢٧٩ | ✓ البحث الاول : في محبة الله |
| ٢٧٩ | ١ بيانها |
| ٢٨٤ | ٢ كيف تقدس فضيلة الحبة نفوتنا |
| ٢٩٠ | ٣ كيف غارس فضيلة الحبة |
| ٢٩٢ | البحث الثاني : في محبة القريب |
| ٢٩٢ | ١ بيانها |
| ٢٩٨ | ٢ كيفية ممارسة الحبة الاخوية |
| ٣٠٨ | حوادث تاريخية : الاب بطرس دميان رسول البرص |
| ٣١٠ | الصدقة انواع |
| ٣١١ | الماءففة البنوية الصادقة |
| ملحق في المصادقة | |
| ٣١٢ | ١ بيانها وضرورتها |
| ٣١٥ | ٢ شرطها |
| حادث تاريخي : القديس بناديكتوس واخته القديسة | |
| ٣٢٢ | سكولستيكا |







American University of Beirut



179

A84aA

General Library

